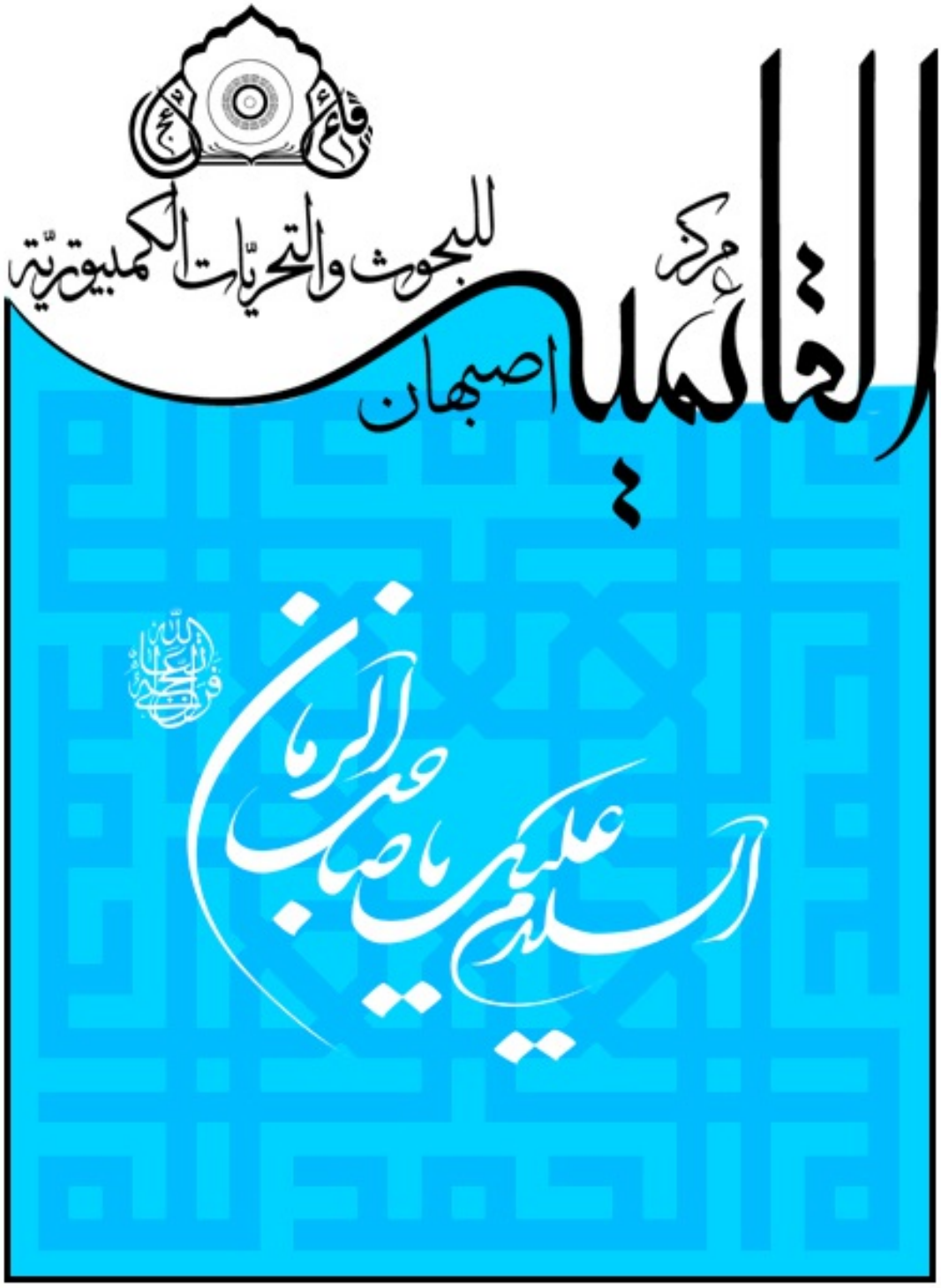

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

حياة الامام الحسين

تأليف

الشيخ باقر شريف القرشي

٢

إعداد

الشيخ احمد الخاتمي

من منشورات

بسم الله الرحمن الرحيم

حیاه الامام الحسین بن علی علیهاالسلام: دراسه و تحلیل

کاتب:

باقر شریف قرشی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه العلمیه الایروانی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حیاة الامام الحسین(ع) المجلد ۲ ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
المقدّمة ----- ۲۵
- ۱- ----- ۲۵
- ۲- ----- ۲۶
- ۳- ----- ۲۷
- ۴- ----- ۲۸
- ۵- ----- ۲۸
- ۶- ----- ۲۹
- ۷- ----- ۳۰
- ۸- ----- ۳۱
مع القاسطین و الناکثین ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
الناکثون: ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
دوافع التمرد: ----- ۳۳
خدیعة معاویة للزبیر: ----- ۳۳
مؤتمر مکة: ----- ۳۳
قرارات المؤتمر: ----- ۳۴
تجهیز الجیش بالأموال المنهوبة: ----- ۳۴
الخطاب السیاسی لعائشة: ----- ۳۴
عائشة مع أم سلمة: ----- ۳۵

الزحف الی البصرة: ۳۶
عسکر: ۳۶
الحوأب: ۳۷
فی ربوع البصرة: ۳۷
النزاع علی الصلاة: ۴۰
رسل الامام الی الکوفة: ۴۰
التقاء الجیشین: ۴۱
رسل السلام: ۴۱
الدعوة الی القرآن: ۴۱
الحرب العامة: ۴۲
مصرع الزبیر: ۴۲
مصرع طلحة: ۴۴
قیادة عائشة للجیش: ۴۴
عقر الجمل: ۴۵
متارک الحرب: ۴۶
القاسطون: ۴۷
اشارة ۴۷
ایفاد جریر: ۴۸
معاویة مع ابن العاص: ۴۸
رد جریر: ۴۹
قمیص عثمان: ۵۰
زحف معاویة لصفین: ۵۰
زحف الامام للحرب: ۵۰
احتلال الفرات: ۵۱

رسل السلام: ۵۱
الحرب: ۵۱
منع الحسنين من الحرب: ۵۲
مصرع عمار: ۵۲
مكيدة ابن العاص: ۵۴
التحكيم: ۵۶
وثيقة التحكيم: ۵۷
رجوع الامام للكوفة: ۵۸
مع المارقين: ۵۸
اشارة ۵۸
اجتماع الحكمين: ۵۹
تمرد المارقين: ۶۲
قتال المارقين: ۶۳
مخلفات الحرب: ۶۴
اشارة ۶۴
انتصار معاوية: ۶۴
تفلل جيش الامام: ۶۵
احتلال مصر: ۶۵
الغارات: ۶۶
اشارة ۶۶
الغارة على العراق: ۶۶
اشارة ۶۶
۱- عين التمر: ۶۷
۲- هيت: ۶۷

۳- واقصة: ۶۸
الغارة على الحجاز و اليمن: ۶۸
عبث الخوارج: ۶۹
دعاء الامام على نفسه: ۷۰
حكومة معاوية ۷۱
اشارة ۷۱
سياسته الاقتصادية: ۷۲
اشارة ۷۲
الحرمان الاقتصادى: ۷۲
اشارة ۷۲
۱- يثرب: ۷۳
۲- العراق: ۷۴
۳- مصر: ۷۴
الرفاه على الشام: ۷۴
استخدام المال فى تدعيم ملكه: ۷۴
المنح الهائلة لأسرته: ۷۵
منح خراج مصر لعمرو: ۷۵
هبات الأموال للمؤيدين: ۷۵
شراء الاديان: ۷۵
عجز الخزينة المركزية: ۷۶
مصادرة اموال المواطنين: ۷۶
ضريبة النيروز: ۷۷
نهب الولاة و العمال: ۷۷
جباية الخراج: ۷۸

اصطفاء الذهب و الفضة: ۷۸
شل الحرکة الاقتصادیة: ۷۸
حجة معاویة: ۷۹
سیاسة التفریق: ۷۹
اشارة ۷۹
اضطهاد الموالی: ۷۹
العصبیة القبلیة: ۸۰
سیاسة البطش و الجبروت: ۸۱
اشارة ۸۱
احتقار الفقراء: ۸۲
سیاسة الخداع: ۸۳
اشاعة الانتهازیة: ۸۴
الخلاعة و المجون: ۸۴
اشاعة المجون فی الحرمین: ۸۶
الاستخفاف بالقیم الدینیة: ۸۶
استلحاق زیاد: ۸۷
انکار الامام الحسین: ۸۸
الحقد علی النبی: ۸۸
تغییر الواقع الاسلامی: ۸۹
مع أهل البیت: ۹۰
اشارة ۹۰
۱- تسخیر الوعاظ. ۹۰
۲- استخدام معاهد التعلیم. ۹۱
۳- افتعال الاخبار. ۹۱

اشارة ----- ۹۱
الطائفة الأولی: وضع الاخبار فی فضل الصحابة لجعلهم قبال أهل البیت، ----- ۹۱
الطائفة الثانیة: وضع الاخبار فی ذم العترة الطاهرة و الحط من شأنها ----- ۹۱
الطائفة الثالثة افتعال الاخبار فی فضل معاویة لمحو العار الذی لحقه و لحق أباه و أسرته فی مناهضتهم للاسلام، ----- ۹۲
حدیث مفتعل علی الحسین: ----- ۹۳
سب الامام امیر المؤمنین: ----- ۹۴
ستر فضائل أهل البیت: ----- ۹۵
التحرج من ذکر الامام: ----- ۹۶
مع الشیعة: ----- ۹۷
القتل الجماعی: ----- ۹۷
ابادة القوی الواعیة: ----- ۹۸
اشاره ----- ۹۸
۱- حجر بن عدی: ----- ۹۸
اشارة ----- ۹۸
مذکرة الامام الحسین: ----- ۹۸
۲- رشید الهجری: ----- ۹۹
۳- عمرو بن الحمق الخزاعی: ----- ۹۹
اشارة ----- ۹۹
مذکرة الامام الحسین: ----- ۱۰۰
۴- اوفی بن حصن: ----- ۱۰۰
۵- الحضرمی مع جماعته: ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
انکار الامام الحسین: ----- ۱۰۱
۶- جویریة العیدی: ----- ۱۰۱

۷- صیفی بن فسیل: ۱۰۱
۸- عبد الرحمن: ۱۰۲
المروعون من اعلام الشیعة: ۱۰۳
اشارة ۱۰۳
ترویع النساء: ۱۰۳
هدم دور الشیعة: ۱۰۴
حرمان الشیعة من العطاء: ۱۰۴
عدم قبول شهادة الشیعة: ۱۰۴
ابعاد الشیعة الی خراسان: ۱۰۴
البیعة لیزید: ۱۰۵
اشارة ۱۰۵
ولادة یزید: ۱۰۵
نشأته: ۱۰۵
صفاته: ۱۰۶
ولعه بالصید: ۱۰۶
شغفه بالقرود: ۱۰۶
ادمانه علی الخمر: ۱۰۷
ندماؤه: ۱۰۸
نصیحة معاویة لیزید: ۱۰۸
دفاع محمد عزة دروزة: ۱۰۸
اقرار معاویة لاستهتار یزید: ۱۰۹
حقد یزید علی النبی: ۱۰۹
بغضه للانصار: ۱۱۰
دعوة المغیرة لبیعة یزید ۱۱۱

تبریر معاویة: ۱۱۲
اشارة ۱۱۲
۱- احمد دحلان ۱۱۲
۲- الدکتور عبد المنعم ۱۱۳
۳- حسین محمد یوسف ۱۱۴
کلمة الحسن البصری: ۱۱۴
کلمة ابن رشد: ۱۱۴
دوافع معاویة: ۱۱۵
الوسائل الدبلوماسیة فی أخذ البیعة: ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
۱- استخدام الشعراء ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
العجاج: ۱۱۵
الأحوص: ۱۱۶
مسکین الدارمی: ۱۱۶
بذل الأموال للوجوه: ۱۱۶
مراسلة الولاة: ۱۱۷
وفود الاقطار الاسلامیة: ۱۱۷
مؤتمر الوفود الاسلامیة: ۱۱۷
المؤیدون للبیعة: ۱۱۷
خطاب الأحنف بن قیس: ۱۱۸
فشل المؤتمر: ۱۱۸
سفر معاویة لیثرب: ۱۱۸
اجتماع مغلق: ۱۱۹

کلمة معاویة: ۱۱۹
کلمة عبد اللّه بن عباس: ۱۱۹
کلمة عبد اللّه جعفر: ۱۱۹
کلمة عبد اللّه بن الزبیر: ۱۲۰
کلمة عبد اللّه بن عمر: ۱۲۰
کلمة معاویة: ۱۲۰
فزع المسلمین: ۱۲۰
الجبهة المعارضة: ۱۲۱
اشارة ۱۲۱
۱- الامام الحسین ۱۲۱
اشارة ۱۲۱
الحرمان الاقتصادی ۱۲۱
۲- عبد الرحمن بن أبی بکر ۱۲۲
۳- عبد اللّه بن الزبیر ۱۲۲
۴- المنذر بن الزبیر ۱۲۲
۵- عبد الرحمن بن سعید ۱۲۲
۶- عابس بن سعید ۱۲۲
۷- عبد اللّه بن حنظلة ۱۲۲
موقف الاسرة الأمویة: ۱۲۳
اشارة ۱۲۳
۱- سعید بن عثمان ۱۲۳
فراوغ معاویة، و قال له: ۱۲۳
۲- مروان بن الحکم ۱۲۳
۳- زیاد بن أبیه ۱۲۴

ایقاع الخلاف بین الأمویین: ۱۲۴
تجمید البیعة: ۱۲۵
اغتیال الشخصیات الاسلامیة: ۱۲۵
اشارة ۱۲۵
۱- سعد بن أبی وقاص ۱۲۵
۲- عبد الرحمن بن خالد ۱۲۵
۳- عبد الرحمن بن ابی بکر ۱۲۵
۴- الامام الحسن ۱۲۶
اعلان البیعة رسمیا: ۱۲۶
مع المعارضین فی یثرب: ۱۲۶
خطاب الامام الحسین: ۱۲۷
ارغام المعارضین: ۱۲۸
موقف الامام الحسین: ۱۲۸
وفود الاقطار الاسلامیة: ۱۲۸
مذکرة مروان لمعاویة: ۱۲۸
اشارة ۱۲۹
جواب معاویة: ۱۲۹
رأی مروان فی ابعاد الامام: ۱۲۹
رسالة معاویة للحسین: ۱۲۹
اشارة ۱۲۹
جواب الامام: ۱۳۰
صدی الرسالة: ۱۳۱
المؤتمر السیاسی العام: ۱۳۱
رسالة جعدة للامام: ۱۳۲

اشارة ----- ۱۳۲
جواب الامام: ----- ۱۳۲
نصیحة الخدری للامام: ----- ۱۳۳
استیلاء الحسین علی اموال للدولة: ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
و أجابة معاویة ----- ۱۳۳
حدیث موضوع: ----- ۱۳۴
الحسین مع بنی أمیة: ----- ۱۳۴
مرض معاویة: ----- ۱۳۵
وصایاه: ----- ۱۳۶
موت معاویة: ----- ۱۳۷
حکومة یزید ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۸
خطاب العرش: ----- ۱۳۸
خطابه فی أهل الشام: ----- ۱۳۹
مع المعارضة فی یثرب: ----- ۱۳۹
الاوامر المشددة الی الولید: ----- ۱۳۹
فزع الولید: ----- ۱۴۱
استشارته لمروان: ----- ۱۴۱
رأی مروان: ----- ۱۴۱
أضواء علی موقف مروان: ----- ۱۴۲
استدعاء الحسین: ----- ۱۴۳
الحسین مع مروان: ----- ۱۴۵
اتصال الولید بدمشق: ----- ۱۴۶

الأوامر المشددة من دمشق: ۱۴۶
رفض الوليد: ۱۴۶
وداع الحسين لقبر جده: ۱۴۶
رؤيا الحسين لجده: ۱۴۶
وداعه لقبر أمه و أخيه: ۱۴۷
فزع الهاشميات: ۱۴۷
مع أخيه ابن الحنفية: ۱۴۸
وصيته لابن الحنفية: ۱۴۹
الثورة الحسينية اسبابها و مخططاتها ۱۵۰
اشارة ۱۵۰
أسباب الثورة: ۱۵۱
اشارة ۱۵۱
۱- المسئولية الدينية: ۱۵۱
اشارة ۱۵۱
۱- الامام محمد عبده ۱۵۱
۲- محمد عبد الباقى ۱۵۲
۳- عبد الحفيظ أبو السعود ۱۵۲
۴- الدكتور احمد محمود صبحى ۱۵۲
۵- العلائلى ۱۵۳
۲- المسئولية الاجتماعية: ۱۵۳
۳- اقامة الحجة عليه: ۱۵۳
۴- حماية الاسلام: ۱۵۴
۵- صيانة الخلافة: ۱۵۴
۶- تحرير ارادة الأمة: ۱۵۵

۷- تحریر اقتصاد الأمة: ۱۵۵
۸- المظالم الاجتماعیة: ۱۵۶
اشارة ۱۵۶
۱- فقد الأمن ۱۵۶
۲- احتقار الأمة ۱۵۶
۹- المظالم الهائلة علی الشیعة: ۱۵۶
۱۰- محو ذکر اهل البیت: ۱۵۷
۱۱- تدمیر القیم الاسلامیة: ۱۵۷
اشارة ۱۵۷
أ- الوحدة الاسلامیة ۱۵۷
ب- المساواة ۱۵۸
ج- الحریة ۱۵۸
۱۲- انهیار المجتمع: ۱۵۸
اشارة ۱۵۸
۱- حرمان المجتمع من التربیة الروحیة ۱۵۸
۲- امعان الحکم الأموی فی افساد المجتمع و تضلیله ۱۵۸
اشارة ۱۵۸
۱- نقض العهود ۱۵۹
۲- عدم التحرج من الکذب ۱۵۹
۳- عرض الضمائر للبیع ۱۵۹
۴- الاقبال علی اللهو ۱۵۹
۱۳- الدفاع عن حقوقه: ۱۶۰
اشارة ۱۶۰
۱- الخلافة ۱۶۰

۲- الخمس ۱۶۰
۱۴- الأمر بالمعروف: ۱۶۰
۱۵- اماتة البدع: ۱۶۱
۱۶- العهد النبوی: ۱۶۱
۱۷- العزة و الکرامة: ۱۶۱
۱۸- غدر الأمویین و فتکهم: ۱۶۲
رأی رخیص: ۱۶۲
تخطیط الثورة: ۱۶۳
اشارة ۱۶۳
۱- التضحیة بنفسه: ۱۶۴
۲- التضحیة بأهل بیته: ۱۶۴
۳- التضحیة بأمواله: ۱۶۵
۴- حمل عقائل النبوة: ۱۶۵
اشارة ۱۶۵
۱- الامام کاشف الغطاء ۱۶۵
۲- أحمد فهمی ۱۶۵
۳- أحمد محمود صبحی ۱۶۶
فی مکة ۱۶۸
اشارة ۱۶۸
مع عبد اللّه بن مطیع: ۱۶۸
فی مکة: ۱۶۹
احتفاء الحجاج و المعتمرین به: ۱۶۹
فزع ابن الزبیر: ۱۷۰
اشارة ۱۷۰

رأی الغزالی: ۱۷۱
رأی رخیص: ۱۷۱
فزع السلطة المحلیة: ۱۷۱
قلق یزید: ۱۷۲
جواب ابن عباس: ۱۷۳
اقصاء حاکم المدینة: ۱۷۳
الحسین مع ابن عمر و ابن عباس: ۱۷۴
وصیته لابن عباس: ۱۷۶
رسائله الی زعماء البصرة: ۱۷۶
جواب الأحنف بن قیس: ۱۷۷
جریمة المنذر: ۱۷۷
استجابة یزید بن مسعود: ۱۷۷
اشارة ۱۷۷
جوابه للامام: ۱۷۹
استجابة یزید البصری: ۱۷۹
نقمة العراق علی الأمویین: ۱۸۰
اعلان التمرد فی العراق: ۱۸۱
المؤتمر العام: ۱۸۱
خطبة سلیمان: ۱۸۱
وفد الکوفة: ۱۸۱
الرسائل: ۱۸۲
إیفاد مسلم الی العراق ۱۸۴
اشارة ۱۸۴
رسالة مسلم للحسین: ۱۸۶

اشارة ----- ۱۸۶
جواب الحسین: ----- ۱۸۶
اضواء علی الموضوع: ----- ۱۸۶
فی بیت المختار: ----- ۱۸۷
ابتهاج الکوفة: ----- ۱۸۷
البیعة للحسین: ----- ۱۸۸
کلمة عابس الشاکری: ----- ۱۸۸
عدد المبایعین: ----- ۱۸۸
رسالة مسلم للحسین: ----- ۱۸۹
موقف النعمان بن بشیر: ----- ۱۸۹
خطبة النعمان: ----- ۱۹۰
سخط الحزب الأموی: ----- ۱۹۰
اتصال الحزب الأموی بدمشق: ----- ۱۹۱
فزع یزید: ----- ۱۹۱
استشارته لسرجون: ----- ۱۹۱
ولایة ابن زیاد علی الکوفة: ----- ۱۹۲
خطبة ابن زیاد فی البصرة: ----- ۱۹۳
سفر الطاغیة الی الکوفة: ----- ۱۹۳
فی قصر الامارة: ----- ۱۹۴
خطابه فی الکوفة: ----- ۱۹۴
نشر الارهاب: ----- ۱۹۵
تحول مسلم الی دار هانئ: ----- ۱۹۵
امتناع مسلم من اغتیال ابن زیاد: ----- ۱۹۶
أضواء علی الموقف: ----- ۱۹۸

المخططات الرهيبة: ۱۹۹
اشارة ۱۹۹
۱- التجسس على مسلم: ۱۹۹
۲- رشوة الزعماء و الوجوه: ۲۰۰
الاحجام عن كبس دار هانئ: ۲۰۱
رسل الغدر: ۲۰۱
اعتقال هانئ: ۲۰۱
انتفاضة مذحج: ۲۰۴
ثورة مسلم: ۲۰۶
حرب الاعصاب: ۲۰۷
أوبئة الفزع و الخوف: ۲۰۸
هزيمة الجيش: ۲۰۸
فى ضيافة طوعة: ۲۰۹
تأكد الطاغية من فشل الثورة: ۲۱۰
اعلان حالة الطوارئ: ۲۱۰
راية الأمان: ۲۱۱
اشتباه: ۲۱۱
خطبة ابن زياد: ۲۱۱
الافشاء بمسلم: ۲۱۲
الهجوم على مسلم: ۲۱۲
فشل الجيوش: ۲۱۳
أمان ابن الاشعث: ۲۱۴
أسره: ۲۱۵
مع عبيد اللّه السلمى: ۲۱۵

مع الباهلی: ۲۱۶
مع ابن زیاد: ۲۱۷
وصیة مسلم: ۲۱۸
الطاغیة مع مسلم: ۲۱۹
الی الرفیق الأعلی: ۲۲۰
سلبه: ۲۲۰
تنفیذ الاعدام فی هانئ: ۲۲۱
السحل فی الشوارع: ۲۲۲
صلب الجثتین: ۲۲۲
الرءوس الی دمشق: ۲۲۲
جواب یزید: ۲۲۳
اعلان الأحکام العرفیة: ۲۲۴
احتلال الحدود العراقیة: ۲۲۴
الاعتقالات الواسعة: ۲۲۵
إخفاق الثورة ۲۲۵
اشارة ۲۲۵
المجتمع الکوفی: ۲۲۵
اشارة ۲۲۵
الظواهر الاجتماعیة: ۲۲۵
اشارة ۲۲۶
التناقض فی السلوک: ۲۲۶
الغدر و التذبذب: ۲۲۶
التمرد علی الولاة: ۲۲۸
الانهزامیة: ۲۲۹

مساوئ الاخلاق: ۲۲۹
الجشع و الطمع: ۲۳۰
التأثر بالدعايات: ۲۳۱
الحياة الاقتصادية: ۲۳۱
عناصر السكان: ۲۳۲
اشارة ۲۳۲
العرب: ۲۳۲
اشارة ۲۳۳
القبائل اليمنية: ۲۳۳
القبائل العدنانية: ۲۳۳
قبائل بنى بكر: ۲۳۴
الروح القبلية: ۲۳۴
الفرس: ۲۳۵
الأنباط: ۲۳۵
السريانية: ۲۳۶
الأديان: ۲۳۶
اشارة ۲۳۷
۱- الاسلام ۲۳۷
اشارة ۲۳۷
الخوارج: ۲۳۷
الحزب الأموى: ۲۳۷
الشيعة: ۲۳۷
النصارى: ۲۳۸
اشارة ۲۳۸

۱- نصاری تغلب ----- ۲۳۸
۲- نصاری نجران ----- ۲۳۸
الیهود: ----- ۲۳۹
تنظیم الجیش: ----- ۲۳۹
اشارة ----- ۲۳۹
نظام الاسباع: ----- ۲۳۹
العرافة: ----- ۲۴۰
الطاغیة ابن مرجانة: ----- ۲۴۱
اشارة ----- ۲۴۱
ولادته: ----- ۲۴۱
ابواه: ----- ۲۴۱
نشأته: ----- ۲۴۲
صفاته: ----- ۲۴۲
اللکنة: ----- ۲۴۳
نهمه فی الطعام: ----- ۲۴۳
ولایته علی البصرة: ----- ۲۴۳
احقاد یزید علی ابن مرجانة: ----- ۲۴۴
مخططات الانقلاب: ----- ۲۴۴
مسلم بن عقیل: ----- ۲۴۴
محتویات الکتاب ----- ۲۴۴
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۵۳

حياة الامام الحسين(ع) المجلد ۲

اشارة

سرشناسه : قرشی، باقر شریف، ۱۹۲۶ - م.

وفات: معاصر

عنوان و نام پدیدآور : حیاه الامام الحسین‌بن علی علیهاالسلام: دراسه و تحلیل/ باقرشریف القرشی.

مشخصات نشر : [بی‌جا]: مدرسه العلمیه الایروانی، ۱۴۱۳ق. = ۱۹۹۲م = - ۱۳۷۱.

مکان نشر: قم ، مدرسه العلمیه الایروانی؛ ۴، ۵.

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج. ۱ و ۳ (چاپ چهارم: ۱۴۱۳ق. = ۱۹۹۲م.= ۱۳۷۱).

یادداشت : عنوان روی جلد: حیاه الامام الحسین علیه‌السلام.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان روی جلد : حیاه الامام الحسین علیه‌السلام.

رده بندی کنگره : BP۴۱/۴ق۳۷ح۹ ۱۳۷۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۱-۴۲۷۰

تعداد جلد واقعی: ۳

موضوع: امام حسین علیه السلام

نوبت چاپ: چهارم

المقدّمة

-۱-

باقر شریف القرشی حیاة الإمام الحسین بن علی علیهما السلام دراسة و تحلیل الجزء الثانی

حیاة الإمام الحسین(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۴

الطبعة الاولی:

۱۳۹۴ ه- ۱۹۷۹ م الطبعة الثانیة:

۱۳۹۷ ه- ۱۹۷۷ م الطبعة الثالثة:

۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م الطبعة الرابعة:

۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م

الکتاب: حیاة الامام الحسین بن علی علیه السّلام- ج ۲ المؤلف: باقر شریف القرشی الناشر: مدرسة العلمیة الایروانی المطبعة: باقری

الفلم و الالواح الحساسة (الزنگ): لیتوگرافی تیزهوش/ قم الکمیة: ۲۰۰۰ نسخة التوزیع: مؤسسة الامام المجتبی السعر:

حیاة الإمام الحسین(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ* أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ القرآن الكريم

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۷

و أثرت الأحداث الرهيبة التي عاصرها الامام الحسين (ع) تأثيرا هائلا في تغيير مناهج الحياة الفكرية و الاجتماعية في الاسلام، كما لعبت دورها الخطير على مسرح الحياة السياسية على امتداد التاريخ، و كان من أبرز نتائج تلك الأحداث التناحر على السلطة، و التنافس على الحكم، و الصراع على الظفر بخيرات البلاد.

و كان من الطبيعي ان يحدث ذلك الصراع السياسي بأقسى صوره، و أبشع ألوانه، و ان يحتدم الجدال كأشد و اعنف ما يكون الجدال فقد سحرت عيون الكثيرين من الصحابة و التابعين ما رأوه من ألوان الترف، و خفض العيش و رقته، و ما شاهدوه من جلال الملك الذي أزالوه من فارس، و ما احتلوه من بلاد الروم، و هالتهم الفتوحات التي تقوم بها الجيوش الاسلامية، و ما يفتح اللّه على أيديهم، و ما يجلبونه من البلاد المحتلة من الرقيق، و سائر الأموال التي لم يكونوا يحلمون بالنظر إليها، كل ذلك دفعهم إلى التهالك على السلطة، و فتنهم عن دينهم.

و استشف الرسول الأعظم (ص) من وراء الغيب ما تبلغه أمته من المجد و السيادة على جميع شعوب الأرض، و سقوط الدول الكبرى تحت

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸

وطأة الزحف الاسلامي المقدس، فأذاع ذلك بين المسلمين و آمنوا به كجزء من عقيدتهم، كما استشف النبي (ص) من وراء الغيب ما تمنى به أمته من الفتنة و الفرقة فاحتاط لها كأشد ما يكون الاحتياط فوضع لها رصيدا يحسم كل داء، و يقضي على كل خلاف فدلل على امامة العترة الطاهرة من أهل بيته الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و لم يكن بذلك مدفوعا بدافع العاطفة أو الحب فان شأن النبوة أسمى من أن يخضع لأي عامل من عوامل الحب أو غيره من الاعتبارات المادية.

و بلغت أحاديث الرسول (ص) في فضل عترته حد التواتر، و لم يتطرق إليها الريب و الشك عند أحد من المسلمين، فقد قرنهم بمحكم التنزيل- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه- و جعلهم سفن النجاة و أمن العباد، و أما سيد العترة الامام أمير المؤمنين (ع) فانه- حسب النصوص النبوية- أخو النبي و نفسه، و باب مدينة علمه، و اقضى امته، و انه منه بمنزلة هارون من موسى، و من كنت مولاه فهذا علي مولاه ...

و لكن القوم كرهوا اجتماع النبوة و الخلافة في بيت واحد فتأولوا النصوص و زووا الخلافة عن أهل بيت النبوة، و معدن الحكمة، و مهبط الوحي، و حرموا الأمة من التمتع بظلال حكمهم الهادف إلى نشر عدالة السماء في الأرض.

و أدت عملية الفصل إلى التطاحن الفظيع على كراسي الحكم بين الأسر البارزة في الاسلام، فمنيت الأمة من جراء ذلك بالكوارث و الخطوب التي أحالت الحياة في تلك العصور إلى جحيم لا يطاق، فقد كان حكم النطع و السيف هو السائد بين الناس.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۹

-۲-

و ظهر الصراع السياسي بأبشع ألوانه حينما استولى الامام أمير المؤمنين عليه السلام على زمام السلطة في البلاد، فقد تحركت القوى الطامعة في الحكم و هي تعلن العصيان المسلح محاولة بذلك اسقاط حكومته التي احتضنت مصالح الشعوب الاسلامية، و تبنت

حقوق الانسان و راحت تؤسس معالم العدل و الحق، و تدك حصون الظلم، و تنسف قلاع الباطل، و ترفع منار الكرامة الانسانية، و تقضى على جميع أسباب التخلف و الفساد التى تركها الحكم المباد.

لقد أوجد الامام انقلابا جذريا، و تحولا اجتماعيا فى الميادين السياسية و الفكرية و الاقتصادية، التى كان منها العدالة فى التوزيع، و إلغاء الامتيازات التى منحتها حكومة عثمان لبنى أمية و آل أبى معيط، و مصادرة الأموال التى اختلسوها بغير حق و عزل الولاة و سائر الموظفين الذين اتخذوا الحكم وسيلة للاثراء و الاستعلاء على الناس بغير حق.

و قد أدت التغييرات الاجتماعية التى أوجدتها حكومة الامام إلى زيادة الأزمات النفسية فى نفوس القرشيين و غيرهم من الحاقدين على الاصلاح الاجتماعى، فأيقنوا أن حكومة الامام ستدمر مصالحهم الاقتصادية و غيرها، فهبوا متضامنين إلى اعلان المعارضة، و من المؤسف- حقا- أن تضم المعارضة بعض أعلام الصحابة كطلحة و الزبير، و أن يكون العضو البارز فيها السيدة عائشة زوج النبى (ص) و من المؤكد أنه لم تكن للمعارضين أية أهداف اجتماعية أو اصلاحية، و إنما دفعتهم الأنانية و الأطماع حسب التصريحات التى أدلوا بها فى كثير من المناسبات، و قد كان فى طليعة القوى المتآمرة على الامام الحزب الاموى فقد سخر جميع أرصدته المالية التى حصل

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۰

عليها أيام حكومة عثمان، فجعلها تحت تصرف المعارضين فاشتروا جميع أدوات الحرب و وهبوا الكثير من الأموال للمرتزقة و قد اندلعت بذلك نار الحرب التى اسماها بعض المؤرخين بحرب الجمل، و قد أسرع الامام إليها فأخمد نارها، و قضى على معالمها، إلا انها اسفرت عن أفدح الخسائر التى منى بها المسلمون، فقد فتحت باب الحرب بين المسلمين، و مهدت الطريق إلى معاوية أن يعلن تمرده على الامام، و يناجزه أعنف الحروب، و أشدها ضراوة.

و أخذت الأحداث الجسام يتصل بعضها ببعض، و يتفرع بعضها على بعض حتى انتهت بمقتل الامام أمير المؤمنين، و خذلان ولده الحسن و انتصار القوى الحاقدة على الاسلام، و يعرض هذا الكتاب الى تفصيل ذلك بصورة موضوعية بما لا تحيز فيه.

-۳-

و نجحت الأموية بأساليبها الماكرة، و بما استخدمته من وسائل دبلوماسيتها الغادرة فى الاستيلاء على السلطة فى البلاد، و ظهرت على الصعيد الاسلامى دولة الأمويين بقيادة زعيمهم معاوية بن أبى سفيان القائد الأول لجميع عمليات الحروب التى ناهضت الاسلام حينما فجر المعلم و القائد الرسول (ص) دعوته الخلاقة الهادفة لتطوير الوعى الاجتماعى، و تأسيس مجتمع يقوم على العدل و المساواة.

و وقعت الأمة فريسة تحت أنياب الأمويين، و استسلمت لحكم إرهابى عنيف تتصاعد فيه الأحقاد و الاضغان على قيم الأمة و مكوناتها الفكرية

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۱

و الاجتماعية، و إزالة ما حققه الاسلام من المكاسب على الصعيد الاقتصادى و السياسى و التروى.

و اتجهت السياسية الأموية تضع المخططات الرهيبة للقضاء على مقومات الأمة، و استئصال أرصدتها الروحية و الفكرية، و كان من أفجع و أقسى ما اتخذته من المقررات السياسية ما يلى:

أ- الحط من قيمة أهل البيت الذين هم مركز الوعى الاجتماعى فى الاسلام، و العصب الحساس فى جسم الأمة الذى يمدها بالنهوض و الارتقاء و قد سخرت السلطة جميع أجهزتها السياسية و الاقتصادية، و سائر امكانياتها الأخرى لتحويل قلوب المسلمين عن أهل البيت و فرض بغضهم على واقع الحياة الاسلامية، و جعله جزءا لا يتجزّأ من الاسلام، و قد استخدمت فى هذا السبيل أجهزة التربية و التعليم، و أجهزة الوعظ و الارشاد و غيرها، و اتخذت سب العترة على المنابر فرضا واجبا تحاسب عليه و تنزل أقصى العقوبات على من يتهاون فى أدائه.

ب- ابادة العناصر الواعية فى الاسلام، و التى تربت على هديه و واقعه فقد ساقت الى ساحات المجازر أعلام الاسلام كحجر بن عدى و ميثم التمار و رشيد الهجرى، و عمرو بن الحمق الخزاعى، و أمثالهم من الذين يملكون القدرة على التوجيه الاجتماعى، و القابلية على صيانة الأمة من الانحراف و السلوك فى المنعطفات، و تذرعت السلطة فى سفك دمائهم من أنهم خلعوا يد الطاعة، و فارقوا الجماعة، و لم يكن لذلك أى نصيب من الصحة، و إنما رءوا الاتجاه السياسى يتصادم مع الدين، و يتصادم مع مصالح الأمة فأمروا السلطة بالاستقامة و الخلود الى التوازن، و مجافاة الاضرار بمصالح المجتمع، فاستباحت من أجل ذلك دمائهم.

ج- تغيير الواقع المشرق للاسلام، و قلب جميع مفاهيمه و مقوماته،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲

و تدنيسه بالخرافات و الأوهام حتى تشل طاقاته، و يصبح عاجزا عن مسايرة الحياة، و الانطلاق مع الانسان لتنمية ملكاته، و قدراته و تطوير وسائل حياته و وضعت الحكومة لجان الوضع، و رصدت لها الأموال الهائلة لتضع الأحاديث على لسان المنقذ العظيم الرسول (ص) لتكون من بنود التشريع و تلحق بقافلة السنة التى هى من مدارك الأحكام، و قد راح الوضاعون يلفقون الأكاذيب، و ينسبونها للنبى (ص) و كثير مما وضعوه يتنافى مع منطق العقل، و يتجافى مع سنن الحياة، و من المؤسف أنها دونت فى كتب السنة، و درجت فى كتب الأخبار، مما اضطر بعض الغيارى من علماء المسلمين أن يألفوا بعض الكتب التى تدلل على بعض تلك الموضوعات، و فيما أحسب أن هذا المخطط الرهيب من أفجع ما رزء به المسلمون فانه لم يكن الابتلاء به آنيا من الزمن، و انما ظل مستمرا مع امتداد التاريخ فقد تفاعلت تلك الموضوعات مع حياة الكثيرين من المسلمين، و ظلوا متمسكين بها على أنها جزء من دينهم، و قد وضعت الحواجز فى نمو المواهب و انطلاق الفكر، كما بقيت حجر عثرة فى طريق التطور و الابداع الذى يريده الاسلام لابنائه.

-۴-

و عانى الانسان المسلم فى عهد معاوية ضروبا شاقة و عسيرة من المحن و البلوى، فقد جهدت حكومة معاوية على نشر الظلم و الجور فى جميع أرجاء البلاد، و عهدت بأمور المسلمين الى الجلادين و الجزارين أمثال زياد بن أبيه و بسر بن أبى ارطاة، و سمرة بن جندب و المغيرة بن شعبة، و أمثال هؤلاء من أرجاس البشرية، و قد صبوا على الناس وابلا من العذاب الأليم لم

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳

تشهد له الانسانية مثيلا فى كثير من مراحل تاريخها.

لقد كانت المظالم الاجتماعية- فى عهد معاوية- بمرأى من الامام الحسين عليه السلام و مسمع، فروعته و افزعته إلى حد بعيد، فقد كان بحكم قيادته الروحية لأمة جده يحس باحاسيسها، و يتألم لآلامها، و يحيا بحياتها، و كان من أعظم ما عاناه من المحن و الخطوب تتبع الجزارين و الجلادين من ولاة معاوية لشيعة أهل البيت امعانا فى قتلهم، و حرفا لبيوتهم، و مصادرة لأموالهم، لا يألون جهدا فى ظلمهم بكل طريق، و قد قام الامام بدوره فى شجب تلك السياسة الظالمة فبعث المذكرات الصارخة لطاغية دمشق يشجب فيها الاجراءات الظالمة التى اتخذها عماله و ولاته لابادة محيى أهل البيت و العارفين بفضلهم، و قد جاء فى بعض بنودها أنه نفى أن يكون معاوية من هذه الأمة، و انما هو عنصر غريب، و معاد لها، و الحق إنه كذلك فقد أثبتت تصرفاته السياسية أنه من ألد أعدائها، و انه كان ينبغى لها الغوائل و يكيد لها فى غلس الليل، و فى وضح النهار، قد جهد فى اذلالها و ارغامها على الجور.

و كان من أفجع ما رزأ به معاوية الأمة أنه فرض خليعه المهتوك يزيد القرود و الفهود- كما يسميه المؤرخون- خليفة عليها يعيث فى دينها و دنياها، و يجر لها الويلات و الخطوب.

-۵-

و فقدت الأمة فى عهد معاوية و خليعه يزيد جميع عناصرها و مقوماتها و لم تعد خير أمة أخرجت للناس- حسب ما يريده اللّه لها- فقد عاث فيها معاوية فرباها على الوصولية و الانتهازية، و رباها على الذل و العبودية،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۴

و سلب عنها صفاتها، و جرد عنها أخلاقها القويمة، فلم تعد تهتم بتحقيق أهدافها و آمالها، و لا بما يضمن لها الحياة الكريمة، قد استسلمت للحكم الأموى، و قبعت ذليلة مهانة تحت وطأة سياطه، و هو يسفك دماءها، و يستنزف ثرواتها، و يشبع فيها الجور و الفساد، فقد تخدرت بشكل فظيع و أصبحت جثة هامدة لا وعى فيها و لا حراك، فلم تهب للدفاع عن كرامتها و عزتها، و لم تنطلق فى ميادين الشرف و التضحية لتحمى نقسها من الظلم و الاعتداء.

رأى الامام الحسين (ع) و هو سبط الرسول (ص) و أمله الباسم الذى تجسدت فيه جميع طاقاته حالة المسلمين، و ما هم فيه من الذل و الهوان و انهم لم يعودوا تلك الأمة العظيمة التى تبنت رسالة الاسلام، و حملت مشعل الهداية و النور إلى جميع شعوب الأرض.

و استوعب الألم القاسى مشاعر الامام و عواطفه، و راح يطيل التفكير و ينفق الليل ساهرا فى انقاذ دين جده العظيم، و حمايته من الردة الجاهلية، فعقد المؤتمرات تارة فى مكة و أخرى فى يثرب، و عرض على الصحابة و أبنائهم الحالة الراهنة التى منى بها المسلمون، و أخذ يدلى بمنكرات معاوية و موبقاته، و قد استبان له أن هذه الطريقة لا تجدى بأى حال فى ميادين الاصلاح الاجتماعى، و لا يمكن أن ترد شوارد الأهواء و ترجع للأمة ما فقدته من معنوياتها، فرأى أنه بين أمرين لا ثالث لهما و هما:

۱- أن يسالم الأمويين، و يبايع ليزيد، و يغض الطرف عما تقترفه السلطة من الظلم و الجور، و ما تعانيه الأمة من الأزمات فى مجالاتها العقائدية و الاجتماعية، و يكون بذلك- على سبيل الاحتمال لا القطع- قد ضمن سلامته و حياته، و لكن هذا مما يأباه اللّه له، و يأباه ضميره الحى المترع بتقوى اللّه فهو بحسب مكانته من رسول اللّه (ص) مسئول أمام اللّه عن صيانة الأمة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵

و حماية أهدافها و مبادئها، و مسئول أمام جده الرسول (ص) عن رعاية الاصلاح الاجتماعى، و صيانة الاسلام من عبث العابثين، و كيد الفاجرين و قد أعلن سلام اللّه عليه هذه المسئولية الخطيرة و ما يفرضه الواجب عليه فى خطابه الذى ألقاه على الحر و أصحابه من شرطة ابن زياد قائلا:

«أيها الناس إن رسول اللّه (ص) قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم اللّه ناكثا عهده، مخالفا لسنة رسول اللّه يعمل فى عباد اللّه بالإثم و العدوان فلم يغير عليه بفعل و لا قول كان حقا على اللّه أن يدخله مدخله ...».

لقد كان الواجب الشرعى حسبما أدلى به مما يحتم عليه القيام فى مقارعة الظلم و مناهضة الجور، و الضرب على أيدى المعتدين و الظالمين.

۲- أن يعلن الثورة، و يضحى بنفسه و أهل بيته و شيعته، و هو على يقين بعدم نجاح الثورة، فقد درس أوضاع المجتمع، و عرف أن الدين لعق على ألسنة الناس، إلا أنه أيقن أن تضحيته ستعود على المسلمين بالخير العميم فستتحرر ارادتهم، و يهبون الى ميادين الجهاد، و يرفعون أعلام الحرية و ينزلون الجبابرة الطغاة من بنى أمية من عروشهم إلى قبورهم و اختار هذا الطريق المشرق على ما فيه من مآسى و خطوب لا يطيقها أى كائن حى.

-۶-

و درس الامام أبعاد التضحية بعمق و شمول، فرأى أن يزج بجميع ثقله فى المعركة، و يقدم أروع النضحيات التى تهز الضمير الانسانى على امتداد التاريخ، و تعيد للامة أصالتها و وعيها عبر أجيالها الصاعدة ...

لقد خطط الامام فصول مأساته، و فصول تضحيته على أسس عميقة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶

من الوعى و الادراك بحيث تؤدى إلى النتائج المشرقة التى منها انتصار القضية الاسلامية و إعادة الحياة الدينية الى شرايين الأمة، و ازالة التخدير الذى بسطه الأمويون على جميع أجزائها.

و قد أعلن سلام اللّه عليه ما صمم عليه، و أذاع فصول مآساته الخالدة فى كثير من المناسبات، و هذه بعضها.

۱- أدلى بمصرعه، و هو بمكة فى خطابه الذى أعلن فيه الثورة على بنى أميّة، فقد جاء فيه «و خير لى مصرع أنا لاقيه كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا ...» أ ليس فى هذا الكلام دلالة على روعة العزم و التصميم على التضحية؟! أ ليس فيه اخبار جازم عن مصرعه الكريم، و أنه فى كربلاء، فهى التى تحضى بمواراة جثمانه الطاهر كما أذاع ذلك جده و أبوه من قبل.

۲- و أعلن الامام العظيم المآسى الأليمة، و الخطوب المفجعة التى تحل بأهل بيته من القتل و السبى و الأسر، و ذلك حينما أشار عليه ابن عباس بأن لا يحمل معه مخدرات النبوة و عقائل الوحى الى العراق، و يتركهن فى يثرب حتى تستقيم له الأمور، فأجابه الامام قائلا: «قد شاء اللّه أن يراهن سبايا».

لقد صحب معه عياله و هو يعلم ما سيجرى عليها من الأسر و السبى لان بها سوف تستكمل رسالته، و تؤدى فعاليتها فى القضاء على العرش الأموى و اعادة الحياة الاسلامية الى واقعها المضىء.

۳- كان الامام يتحدث و هو فى طريقه الى العراق من أن رأسه الشريف سوف يرفع على الحراب فيطاف به فى الأقطار و الأمصار، و يهدى الى بغى من بغايا بنى أمية كما صنع برأس أخيه يحيى بن زكريا حيث أهدى الى بغى من بغايا بنى اسرائيل.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷

لقد استهان بجميع ما يعانيه فى سبيل احقاق الحق، و اعلاء كلمة اللّه فى الأرض.

-۷-

و فجر الامام ثورته الكبرى التى أوضح اللّه بها الكتاب، و جعلها عبرة لأولى الألباب، و هى بجميع مخططاتها جزء من رسالة الاسلام و امتداد مشرق لثورة الرسول الأعظم، و تجسيد حى لأهدافه و آماله، و لولاها لذهبت جهود النبى، و ضاعت آماله، و لم يبق للاسلام أثر و لا عين.

لقد انتصر الامام الحسين (ع) و فتح اللّه له الفتح المبين، فقد أشرقت سماء الاسلام بثورته الخالدة، و تفاعلت تضحيته مع مشاعر الناس و عواطفهم، و امتزجت بقلوبهم، و أصبحت أعظم مدرسة للايمان باللّه، تبث روح العقيدة و الفداء فى سبيل الحق و العدل، و تغذى الناس بالقيم الكريمة و المثل العليا، و تعمل على توجيههم نحو الخير و تهديهم إلى سواء السبيل.

لقد أقبل الناس بلهفة على مأساة أبى الأحرار، و هم يمعنون النظر فى فصولها و يقتبسون منها أروع الدروس عن الكرامة و التضحية، و البطولات الخارقة و العزة التى لا يلويها الظلم و الجور.

إن الانسانية لتنحنى اجلالا و اكبارا للامام العظيم الذى رفع راية الحق عالية خفاقة. و تبنى حقوق المظلومين، و دافع عن مصالح المضطهدين ...

و انها لتمجد ذكره أكثر مما تمجد أى مصلح اجتماعى فى الأرض، و قد أحرز الامام العظيم بذلك من النصر ما لم يحرزه غيره من المصلحين فى العالم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸

لقد كان من أوليات النصر الذى حققه الامام تحطيم الكيان الأموى فقد وضعت ثورته الخالدة العبوات الناسفة فى قصور الأمويين، و ألغمت طريقهم، فلم يمض قليل من الزمن حتى تفجرت فاطاحت برءوس الأمويين و اكتسحت نشوة نصرهم، و جعلتهم أثرا بعد عين،

و يعرض هذا الكتاب بصورة موضوعية إلى بعض ما قدمته الثورة من المعطيات المشرقة على الصعيد الفكرى و الاجتماعى للعالم الاسلامى

-۸-

و لن يستطيع التاريخ الاسلامى أن يأخذ حظه من الحياة اذا كان مثقلا بالقيود و الاغلال، و لم يخضع للدراسة و النقد، فلا بد أن تتسلط مجاهر البحث العلمى النزيه على أحداثه، و تدرس بدقة و تجرد، شأن غيره من تاريخ الأمم الحية التى تتناول أحداثه أقلام المفكرين و الباحثين بكثير من العمق و التحليل، فان دراسة التاريخ عندهم تحتل الصدارة فى دراساتهم الثقافية و العلمية.

إنا إذا أردنا للتاريخ الاسلامى أن يزدهر، و يساير النهضة الفكرية، و التطور العلمى فى هذه العصور، فلا بد من دراسته دراسة واعية تعتمد على المناهج العلمية، و على التجرد من النزعات المذهبية و التقليدية، فننظر بدقة إلى الأحداث الجسام التى دهمت المسلمين فى عصورهم الأولى فانها- فيما نعتقد- مصدر الفتنة الكبرى التى اخلدت لهم المصاعب، و جرت لهم الفتن و الخطوب على امتداد التاريخ.

إن البحث عن التاريخ الاسلامى فى تلك الحقبة الخاصة من الزمن إذا لم يعرض لتلك الأحداث بالبسط و التحليل، و لم يلق الاضواء على

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۹

دوافعها و مجرياتها فانه يكون بحثا تقليديا لا روح فيه، و لا ثمرة تعود فيه على القراء.

و قد ألمعنا فى الحلقة الأولى من هذا الكتاب إلى الكثير من الأحداث و عرضنا الأنظمة السياسية و الاقتصادية التى وضع برامجها الخلفاء فى العصر الأول، و قد تأملنا فى كثير منها بتحفظ و تجرد شأن الباحث الذى يهمه الوصول إلى الواقع مهما استطاع إليه سبيلا، و انى- فيما اعتقد- ان من الاثم و تعمد الجهل ان نتكلف اخفاء أى ناحية من النواحى السياسية أو الاجتماعية فى ذلك العصر فان اخفاء ذلك من ألوان التضليل و الدجل على القراء.

و ليس فى دراسة التاريخ دراسة منهجية تغيير له أو قلب لمفاهيمه، أو خروج عن موازين البحث العلمى المجرد، و إنما هى من صميمه كما هى من متطلبات الحياة الثقافية فى هذا العصر.

و على أى حال فان هذه الدراسة ترتبط ارتباطا ذاتيا و موضوعيا بحياة الامام الحسين، فقد عاش تلك الحقبة الخاصة من الزمن المليئة بالاحداث، و قد نظر إليها بعمق و شمول، و وقف على أهدافها و هى- من دون شك- قد ساهمت مساهمة ايجابية فى كثير من الاحداث التى فزع منها المسلمون و التى كان منها كارثة كربلاء، فانها كانت احدى النتائج المباشرة لذلك التخدير الذى منيت به الامة من جراء الحكم الاموى الذى جهد على شل الحياة الفكرية و الاجتماعية و اشاعة الانتهازية بين المسلمين.

و أنا آمل أن أكون فى هذه الدراسة قد واكبت الواقع، و ابتعدت عن العواطف التقليدية و آثرت الحق فى جميع ما كتبته لا ابتغى بذلك إلا ابراز التاريخ الاسلامى على واقعه من دون تحيز و قبل أن أقفل هذا التقديم أرى من الواجب على أن أذكر بالوفاء و العرفان ما قام به سيادة المحسن

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰

الكبير الحاج محمد رشاد عجينة من التشجيع البالغ على الخوض و الاستمرار فى خدمة أئمة أهل البيت (ع) و نشر مآثرهم التى هى من أفضل الخدمات التى تقدم لهذه الامة، و قد قام سيادته بالإنفاق على نشر هذا الكتاب و قد رغب أن تكون من المبرات التى أوصى بها المغفور له والده الحاج محمد جواد عجينة المتوفى سنة (۱۳۹۱ ه)، أجزل اللّه له الثواب، و وفقه لكل مسعى نبيل.

النجف الاشرف باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱

مع القاسطين و الناكثين

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۳

و فزعت القبائل القرشية كأشد ما يكون الفزع هولا- من حكومة الامام و أيقنت أن جميع مخططاته السياسية و الاقتصادية إنما هى امتداد ذاتى للاتجاهات الفكرية و الاجتماعية عند الرسول الأعظم (ص) الذى أطاح بغلوائهم، و كبريائهم، و حطم حياتهم الاقتصادية القائمة على الربا و الاحتكار و الاستغلال و مما زاد فى فزعهم القرارات الحاسمة التى أعلنها الامام فور انتخابه للحكم و التى كان منها اقصاء ولاة عثمان عن جميع مراكز الدولة، و مصادرة جميع ما نهبوه من الخزينة المركزية، كما اضطربوا من اعلان الامام (ع) للمساواة العادلة بين جميع الشعوب الاسلامية، مساواة فى الحقوق، و الواجبات، و مساواة فى كل شىء، و قد هالهم ذلك فكانوا يرون أن لهم التفوق على بقية الشعوب، و لهم امتيازات خاصة على بقية الناس.

لقد ورمت آناف القرشيين و سائر القوى المنحرفة عن الحق من حكومة الامام فأجمع رأيهم على اعلان العصيان المسلح، و اشعال نار الحرب فى البلاد للاطاحة بحكومته التى اتخذت الحكم وسيلة للاصلاح الاجتماعى، و تطوير حياة الانسان، و أول الحروب التى اثيرت على الامام هى حرب الجمل، و أعقبتها حرب صفين ثم حرب النهروان، و قد وضعت تلك الحروب الحواجز و السدود أمام حكمه الهادف الى رفع مستوى القيم الانسانية، و القضاء على جميع ألوان التأخر فى البلاد.

و يقول الرواة ان الرسول (ص) قد أحاط الامام علما بما يمنى به فى عهد خلافته من تمرد بعض الفئات عليه، و قد عهد إليه بقتالهم و قد أسماهم الناكثين و القاسطين و المارقين «۱» و لا بد لنا أن نعرض- بايجاز-

---

(۱) مستدرك الحاكم ۳/ ۱۳۹، تاريخ بغداد ۸/ ۳۴۰، أسد الغابة ۴/ ۳۳، كنز العمال ۶/ ۸۲، مجمع الزوائد ۹/ ۲۳۵.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۴

لهذه الحروب التى تصور لنا الحياة السياسية و الفكرية فى ذلك العصر الذى اترعت فيه عواطف الكثيرين بحب الملك و السلطان كما تصور لنا الأحقاد التى تكنها القبائل القرشية على الامام، و من المقطوع به أن هذه الاحداث قد ساهمت مساهمة ايجابية فى خلق كارثة كربلاء فقد نشرت الأوبئة الاجتماعية و خلقت جبلا انتهازيا، لا ينشد إلا مطامعه الخاصة، و فيما يلى ذلك:

الناكثون:

اشارة

و هم الذين نكثوا بيعتهم، و خاسوا ما عاهدوا عليه اللّه فى التضحية و الطاعة للامام، فانسابوا فى ميادين الباطل و ساحات الضلال، و تمرسوا فى الاثم، و قد أجمع فقهاء المسلمين على تأثيمهم إذ لم يكن لهم أى مبرر فى الخروج على السلطة الشرعية التى تبنت المصالح العامة، و أخذت على عاتقها أن تسير بين المسلمين بالحق المحض و العدل الخالص و تقضى على جميع أسباب التخلف فى البلاد.

اما اعلام الناكثين فهم طلحة و الزبير، و السيدة عائشة بنت ابى بكر، و مروان بن الحكم، و سائر بنى أميّة، و غيرهم من الذين ضاقوا ذرعا من عدل الامام، و مساواته.

دوافع التمرد:

و الشيء المحقق انه لم تكن للناكثين أية اهداف اجتماعية، و انما دفعتهم مصالحهم الخاصة لنكث بيعة الامام، فطلحة و الزبير قد خفا إليه بعد ان تقلد الخلافة يطلبان منحهما ولاية البصرة و الكوفة، فلما خبا املهما

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۵

اظهرا السخط، و خفا الى مكة لاعلان الثورة عليه، و تمزيق شمل المسلمين و قد أدلى الزبير بتصريح أعرب فيه عن أهدافه، فقد أقبل إليه و إلى طلحة رجل فقال لهما: «إن لكما صحبة و فضلا فأخبراني عن مسيركما و قتالكما أ شيء أمركما به رسول اللّه (ص)؟ و سكت طلحة، و أما الزبير فقال:

«حدثنا أن هاهنا بيضاء و صفراء- يعني دراهم و دنانير- فجئنا لنأخذ منها ...» «۱».

من أجل الظفر بالمنافع المادية أعلن الشيخان تمردهما على حكومة الامام.

و أما السيدة عائشة فانها كانت تروم ارجاع الخلافة الى اسرتها، فهي أول من قدح زناد الثورة على عثمان، و أخذت تلهب المشاعر و العواطف ضده و كانت تقول: «اقتلوا نعثلا فقد كفر» و قد جهدت على ترشيح طلحة للخلافة و كانت تشيد به في كل مناسبة إلا أنها أخيرا استجابت لعواطفها الخاصة المترعة بالود و الحنان لابن أختها عبد اللّه بن الزبير فرشحته لامارة الصلاة و قدمته على طلحة.

و أما بنو أمية فقد طلبوا من الامام ان يضع عنهم ما أصابوه من المال في أيام عثمان، فرفض الامام أن يضع عنهم ما اختلسوه من أموال الأمة فاظهروا له العداء، و عملوا على اثارة الفتنة و الخلاف.

و على أي حال فانه لم تكن للناكثين نزعة اصلاحية أو دعوة إلى الحق و إنما كانت بواعثهم الأنانية و الاطماع، و الأحقاد على الامام الذي هو نفس رسول اللّه (ص) و باب مدينة علمه.

---

(۱) أنساب الأشراف ج ۱ ق ۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۶

خديعة معاوية للزبير:

و أيقن معاوية بأهداف الزبير و طلحة، فقام بدوره في خديعتهما و اغرائهما ليتخذهما سلما يعبر عليهما لتحقيق أهدافه و مآربه، فقد كتب الى الزبير رسالة جاء فيها: «لعبد اللّه الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، أما بعد: فاني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا و استوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة و البصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب فانه لا شيء بعد هذين المصرين، و قد بايعت لطلحة بن عبيد اللّه من بعدك، فأظهروا الطلب بدم عثمان، و ادعوا الناس إلى ذلك، و ليكن منكما الجد و التشمير أظفر كما اللّه و خذل مناوئكما ...».

و لما وصلت هذه الرسالة إلى الزبير لم يملك اهابه من الفرح و السرور و خف الى طلحة فأخبره بذلك فلم يشكا في صدق نيته و اخلاصه لهما، و تحفزا إلى اعلان الثورة على الامام، و اتخذا دم عثمان شعارا لهما «۱».

مؤتمر مكة:

و خف المتأمرون الى مكة فاتخذوها وكرا لدسائسهم التخريبية الهادفة لتقويض حكم الامام و قد وجدوا في هذا البلد الحرام تجاوبا فكريا مع الكثيرين من أبناء القبائل القرشية التي كانت تكن في أعماق نفسها الكراهية و الحقد على الامام لأنه قد وتر الكثيرين منهم

فى سبيل الاسلام.

و على أى حال فقد تداول زعماء الفتنة الآراء فى الشعار الذى يتبنونه و البلد التى يغزونها، و سائر الشؤون الأخرى التى تضمن لثورتهم النجاح.

---

(۱) شرح النهج ۱/ ۲۳۱.

قرارات المؤتمر:

و اتخذ أعضاء المؤتمر بالاجماع القرارات التالية، و هى:

۱- أن يكون شعار المعركة دم عثمان، و المطالبة بثاره لأنه قتل مظلوما، و استباح الثوار دمه بعد توبته بغير حق، لقد رفعوا قميص عثمان شعارا لهم فكان شعارا للتمرد و شعارا للرأسمالية القرشية التى طغت فى البلاد.

۲- تحميل الامام على (ع) المسئولية فى اراقة دم عثمان لأنه آوى قتلته، و لم يقتص منهم.

۳- الزحف الى البصرة و احتلالها، و اتخاذها المركز الرئيسى للثورة لأن لهم بها حزبا و أنصارا، و قد أعرضوا عن الزحف الى يثرب لأن فيها الخليفة الشرعى، و هو يتمتع بالقوى العسكرية التى لا قابلية لهم عليها، كما أعرضوا عن النزوح الى الشام لأن الامويين لم يستجيبوا لهم، لأنها كانت تحت قبضتهم، فخافوا عليها من التصدع و الاحتلال.

تجهيز الجيش بالأموال المنهوبة:

و جهز يعلى بن أميّة جيش عائشة بالاموال التى نهبها من بيت المال حينما كان واليا على اليمن أيام عثمان، و يقول المؤرخون إنه أمد الجيش بستمائة بعير، و بستمائة ألف درهم «۱» و أمدهم عبد اللّه بن عامر والى عثمان على البصرة بمال كثير «۲» كان قد اختلسه من بيت المال، و لم يتحرج أعضاء القيادة العسكرية العامة فى جيش عائشة من هذه الأموال المحرمة.

(۱ و ۲) تاريخ ابن الأثير ۳/ ۱۰۶.

الخطاب السياسى لعائشة:

و خطبت عائشة فى مكة خطابا سياسيا حملت فيه المسئولية فى اراقة دم عثمان على الغوغاء فهم الذين سفكوا الدم الحرام فى الشهر الحرام، و قد قتلوا عثمان بعد ما اقلع عن ذنوبه و أخلص فى توبته، و لا حجة لهم فيما اقترفوه من سفك دمه «۱»، و قد كان خطابها فيما يقول المحققون حافلا بالمغالطات السياسية، فان الغوغاء لم يسفكوا دمه، و إنما سفك دمه الذين رفعوا علم الثورة عليه، و فى طليعتهم كبار الصحابة كعمار بن ياسر و أبى ذر و عبد اللّه بن مسعود و طلحة و الزبير، و كانت هى بالذات من أشد الناقمين عليه فقد اشتدت فى معارضته، و أفتت فى قتله و كفره فقالت: «اقتلوا نعثلا فقد كفر» فأى علاقة للغوغاء بإراقة دمه؟

و أما توبته فان عثمان أعلن غير مرة عن تراجعه عن أحداثه إلا أن بنى أمية كانوا يزجونه فى مخططاتهم السياسية فيعود الى سياسته الأولى، و لم يقلع عنها حتى قتل.

و على أى حال فقد كان خطابها أول بادرة لاعلان العصيان المسلح على حكومة الامام، و كان الأولى بعائشة بحسب مكانتها

الاجتماعية أن تدعو إلى وحدة الصف و جمع كلمة المسلمين، و ان تقوم بالدعم الكامل لحكومة الامام التى تمثل أهداف النبى (ص) و ما تصبو إليه الأمة من العزة و الكرامة.

---

(۱) نص خطابها فى تاريخ الطبرى ۳/ ۴۶۸.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹

عائشة مع أم سلمة:

و من الغريب حقا أن تخف عائشة إلى أم سلمة تطلب منها القيام بمناجزة الامام مع علمها بما تكنه من الولاء و التقدير له الأمر الذى دل على عدم خبرتها بالاتجاهات الفكرية لضراتها من أزواج النبى (ص) و لما قابلنها خاطبتها بناعم القول قائلة:

«يا بنت أبى أميّة أنت أول مهاجرة من أزواج رسول اللّه (ص) و أنت كبيرة أمهات المؤمنين، و كان رسول اللّه يقسم لنا من بيتك، و كان جبرئيل أكثر ما يكون فى منزلك ..».

و رمقتها أم سلمة بطرفها، و قالت لها بريبة:

«لامر ما قلت هذه المقالة؟»

فأجابتها عائشة مخادعة:

«ان القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما فى الشهر الحرام، و قد عزمت على الخروج إلى البصرة، و معى الزبير و طلحة فاخرجى معنا لعل اللّه يصلح هذا الأمر على أيدينا.».

و أسدت لها أم سلمة النصيحة و ذكرتها بمواقفها مع عثمان و نقمتها عليه و حذرتها من الخروج على ابن عم رسول اللّه (ص) قائلة:

«يا بنت أبى بكر بدم عثمان تطلبين؟!! و اللّه لقد كنت من أشد الناس عليه، و ما كنت تسميه الا نعثلا، فمالك و دم عثمان؟ و عثمان رجل من بنى عبد مناف و أنت امرأة من بنى تيم بن مرة، ويحك يا عائشة!! أعلى على و ابن عم رسول اللّه (ص) تخرجين و قد بايعه المهاجرون و الأنصار؟ ..»

و جعلت أم سلمة تذكر عائشة فضائل على و مآثره و قرب منزلته من

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰

رسول اللّه و كان عبد اللّه بن الزبير يسمع حديثها فغاظه ذلك، و خاف أن تصرف عائشة عن عزمها فصاح بها:

«يا بنت أبى أمية، إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير».

فنهرته أم سلمة و صاحت به:

«و اللّه لتوردنها ثم لا تصدنها أنت و لا أبوك!! أ تطمع أن يرضى المهاجرون و الأنصار بأبيك الزبير و صاحبه طلحة، و على بن أبى طالب حى و هو ولى كل مؤمن و مؤمنة».

فقال لها ابن الزبير:

«ما سمعنا هذا من رسول اللّه (ص) ساعة قط».

فقالت أم سلمة:

«إن لم تكن أنت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة، و ها هى فاسألها قد سمعته (ص) يقول: «على خليفتى عليكم فى حياتى و مماتى من عصاه فقد عصانى» أ تشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ ..».

فلم يسع عائشة الانكار و راحت تقول:

«اللهم نعم ...».

و مضت أم سلمة فى نصيحتها لعائشة قائلة:

«اتق اللّه يا عائشة فى نفسك، و احذر ما حذرك اللّه و رسوله، و لا تكون صاحبة كلاب الحوأب، و لا يغرنك الزبير و طلحة فانهما لا يغنيان عنك من اللّه شيئا ...» «۱».

و لم تع عائشة نصيحة أم سلمة، و استجابت لعواطفها، و أصرت على مناجزة الامام.

---

(۱) الفتوح ۲/ ۲۸۲- ۲۸۳.

و كتبت أم سلمة بجميع الأحداث التى جرت فى مكة الى الامام (ع) و احاطته علما بأعضاء الفتنة «۱».

الزحف الى البصرة:

و تحركت كتائب عائشة صوب البصرة، و دق طبل الحرب، و نادى المتمردون بالجهاد، و قد تهافت ذوو الأطماع و الحاقدون على الامام الى الالتحاق بجيش عائشة، قد رفعوا أصواتهم بالطلب بدم عثمان الذى سفكه طلحة و الزبير و عائشة، و اتجهت تلك الجيوش لتشق كلمة المسلمين، و تغرق البلاد بالثكل و الحزن و الحداد.

عسكر:

و سار موكب عائشة فى البيداء يجذ السير، فصادفهم العرنى صاحب عسكر فعرض له راكب فقال له:

- يا صاحب الجمل أ تبيع جملك؟.

- نعم.

- بكم.

- بألف درهم.

- ويحك!! .. أ مجنون أنت جمل يباع بألف درهم؟

- نعم جملى هذا. فما طلبت عليه أحدا قط إلا أدركته، و لا طلبنى و أنا عليه أحد قط الا فته ...

---

(۱) شرح النهج ۲/ ۷۹.

«لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا»

«لمن تريده؟».

«لأمك».

«لقد تركت أمى فى بيتها قاعدة ما تريد براحا».

«إنما أريده لام المؤمنين عائشة».

«هو لك خذه بغير ثمن»

«ارجع معنا الى الرحل فلنعطك ناقة مهرية، و نزيدك دراهم».

فقفل معهم فاعطوه الناقة و اربعمائة درهم أو ستمائة درهم، و قدم عسكر إلى عائشة فاعتلت عليه «۱»، و قد أصبح كعجل بنى اسرائيل فقطعت الأيدى، و أزهقت الأنفس و اريقت الدماء من حوله.

الحوأب:

و سارت قافلة عائشة فاجتازت على مكان يقال له (الحوأب) فتلقت الركب كلاب الحى بهرير و عواء فذعرت عائشة، فالتفتت إلى محمد بن طلحة فقالت له:

- أى ماء هذا يا محمد؟

- ماء الحوأب يا أم المؤمنين.

فهتفت و هى تلهث:

- ما أرانى إلا راجعة.

- لم يا أم المؤمنين؟

- سمعت رسول اللّه يقول لنسائه: كأنى باحداكن قد نبحتها

---

(۱) ابن الأثير ۳/ ۱۰۷، تاريخ الطبرى ۳/ ۴۷۵، تذكرة الخواص.

كلاب الحوأب و إياك أن تكونى أنت يا حميراء «۱».

- تقدمى رحمك اللّه و دع هذا القول.

فلم تبرح من مكانها، و طافت بها الهموم و الآلام، و أيقنت بضلالة قصدها، و ذعرت القيادة العسكرية من توقف عائشة التى اتخذوها قبلة لهم يغرون بها السذج و البسطاء فخفوا إليها فى دهشة قائلين:

«يا أمه».

فقطعت عليهم الكلام و راحت تقول بنبرات ملؤها الاسى و الحزن.

«أنا و اللّه صاحبة كلاب الحوأب ... ردونى، ردونى».

و أسرع إليها ابن اختها عبد اللّه بن الزبير كأنه ذئب فانهارت امامه، و استجابت لعواطفها، و لولاه لارتدت على عقبيها الى مكة فجاء لها بشهود اشترى ضمائرهم فشهدوا عندها أنه ليس بماء الحوأب و هى أول شهادة زور تقام فى الاسلام «۲» فاقلعت عن فكرتها و اخذت تقود الجيوش لحرب وصى رسول اللّه (ص) و باب مدينة علمه.

فى ربوع البصرة:

و دهمت جيوش عائشة اهل البصرة فملئت قلوبهم ذعرا و فزعا،

---

(۱) روى ابن عباس عن رسول اللّه (ص) أنه قال يوما لنسائه و هن جميعا عنده: ايتكن صاحبة الجمل الأدب تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها و شمالها قتلى كثيرة كلهم فى النار، و تنجو بعد ما كادت، شرح النهج ۲/ ۲۹۷، ابن كثير ۶/ ۲۱۲، الخصائص للسيوطى ۲/ ۱۳۷ الاستيعاب و جاء فيه: «و هذا الحديث من اعلام نبوته (ص)».

(۲) مروج الذهب ۲/ ۳۴۷، تاريخ اليعقوبى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۴

و خوفا، فقد احاطت ببلدهم القوات العسكرية التي تنذر باحتلال بلدهم و جعلها منطقة حرب، و عصيان على الخليفة الشرعي، و انبرى حاكم البصرة عثمان بن حنيف و هو من ذوى الادارة و الحزم و الحريجة في الدين، فبعث أبا الأسود الدؤلي الى عائشة يسألها عن سبب قدومها الى مصرهم، و لما مثل عندها قال لها.

- ما أقدمك يا أم المؤمنين؟

- اطلب بدم عثمان.

- ليس في البصرة من قتلة عثمان أحد.

- صدقت، و لكنهم مع على بن أبي طالب بالمدينة، و جئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، انغضب لكم من سوط عثمان، و لا نغضب لعثمان من سيوفكم ..

و رد عليها أبو الأسود قائلا:

«ما أنت من السوط و السيف، انما أنت حبيسة رسول اللّه (ص) أمرك أن تقرى في بيتك و تتلى كتاب ربك، و ليس على النساء قتال، و لا لهن الطلب بالدماء، و ان عليا لأولى منك، و أمس رحما، فانهما ابنا عبد مناف».

و لم تذعن لقوله، و راحت مصرة على رأيها قائلة:

«لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت إليه، أ فتظن أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي؟!!».

و حسبت أنها تتمتع بحصانة لعلاقتها الزوجية من النبي (ص) فلا يقدم أحد على قتالها، و لم تعلم أنها أهدرت هذه الحرمة و لم ترع لها جانبا فأجابها أبو الأسود بالواقع قائلا:

«أما و اللّه لتقاتلن قتالا أهونه الشديد».

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۵

ثم انعطف أبو الأسود صوب الزبير فذكره بماضي ولائه للامام و قربه منه قائلا.

«يا أبا عبد اللّه عهد الناس بك، و أنت يوم بويع أبو بكر آخذا بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب، و أين هذا المقام من ذاك؟».

فأجابه الزبير بما لم يؤمن به قائلا:

«نطلب بدم عثمان».

«أنت و صاحبك وليتماه فيما بعد».

و لان الزبير و استجاب لنصيحة أبي الأسود الا انه طلب منه مواجهة طلحة و عرض الأمر عليه، فأسرع أبو الأسود تجاه طلحة و عرض عليه النصيحة فأبى من الاستجابة و أصر على الغي و العدوان «۱» و رجع أبو الأسود من وفادته التي اخفق فيها فاحاط ابن حنيف علما بالأمر فجمع أصحابه و خطب فيهم و قال:

«أيها الناس، انما بايعتم اللّه، يد اللّه فوق أيديهم، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، و من أوفى بما عاهد عليه اللّه فسيؤتيه أجرا عظيما و اللّه لو علم على أحدا أحق بهذا الأمر منه ما قبله، و لو بايع الناس غيره لبايع، و أطاع و ما به الى أحد من صحابة رسول اللّه (ص) حاجة و ما بأحد عنه غنى، و لقد شاركهم في محاسنهم، و ما شاركوه في محاسنه، و لقد بايع هذان الرجلان، و ما يريدان اللّه، فاستحلا الفطام قبل الرضاع، و الرضاع قبل الولادة، و الولادة قبل الحمل، و طلبا ثواب اللّه من العباد، و قد زعما أنهما بايعا مستكرهين، فان كانا استكرها قبل بيعتهما و كانا رجلين من عرض قريش لهما أن يقولا و لا يأمرا، إلا و ان الهدى ما كانت عليه

(۱) شرح النهج ۲/ ۸۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۶

العامة، و العامة على بيعة على فما ترون أيها الناس؟».

فقام إليه الفذ النبيل حكيم بن جبلة فخاطبه بمنطق الايمان و الحق و الاصرار على الحرب «۱».

و جرت مناظرات بين الفريقين إلا انها لم تنته الى خير، و خطب طلحة و الزبير، و كان خطابهما الطلب بدم عثمان، فرد عليهما أهل البصرة ممن كانت تأتيهم رسل طلحة بالتحريض على قتل عثمان و حملوه المسئولية فى اراقة دمه و خطبت عائشة خطابها الذى كانت تكرره فى كل وقت و هو التحريض على المطالبة بدم عثمان لأنه قد خلص من ذنوبه، و اعلن توبته و لكنها لم تنه خطابها حتى ارتفعت الأصوات فقوم يصدقونها و قوم يكذبونها و تسابوا فيما بينهم و تضاربوا بالنعال، و اقتتل الفريقان أشد القتال و أعنفه و أسفرت الحرب عن عقد هدنة بينهما حتى يقدم الامام على، و كتبوا بينهم كتابا وقعه عثمان بن حنيف، و طلحة و الزبير و قد جاء فيه باقرار عثمان ابن حنيف على الامرة، و ترك المسلحة و بيت المال له، و ان يباح للزبير و طلحة و عائشة و من أنضم إليهم أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة.

و مضى ابن حنيف يقيم بالناس الصلاة، و يقسم المال بينهم، و يعمل على نشر الأمن و اعادة الاستقرار فى المصر، إلا أن القوم قد خاسوا بعهدهم و مواثيقهم، فأجمعوا على الفتك بابن حنيف، و يقول المؤرخون: ان حزب عائشة انتهزوا ليلة مظلمة شديدة الريح فعدوا على ابن حنيف و هو يصلى بالناس صلاة العشاء فأخذوه ثم عدوا الى بيت المال فقتلوا من حرسه أربعين رجلا، و استولوا عليه، و زجوا بابن حنيف فى السجن و أسرفوا فى تعذيبه بعد أن نتفوا لحيته و شاربيه «۲».

---

(۱) الامامة و السياسة ۱/ ۶۴.

(۲) شرح النهج ۲/ ۵۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۷

و غضب قوم من اهل البصرة، و نقموا على ما اقترفه القوم من نقض الهدنة، و النكاية بحاكمهم، و احتلال بيت المال فخرجوا يريدون الحرب، و كانت هذه الفئة من ربيعة يرأسها البطل العظيم حكيم بن جبلة فقد خرج فى ثلاثمائة رجل من بنى عبد القيس «۱» و خرج اصحاب عائشة، و حملوها معهم على جمل، و سمى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر «۲» و التحم الفريقان فى معركة رهيبة، و قد ابلى ابن جبلة بلاء حسنا، و يقول المؤرخون ان رجلا من اصحاب طلحة ضربه ضربة قطعت رجله، فجثا حكيم و اخذ رجله المقطوعة فضرب بها الذى قطعها فقتله، و لم يزل يقاتل حتى قتل «۳» لقد اضاف القوم الى نقض بيعتهم للامام نكثهم للهدنة التى وقعوا عليها مع ابن حنيف، و اراقتهم للدماء بغير حق و نهبهم ما فى بيت المال و تنكيلهم بابن حنيف و يقول المؤرخون انهم قد هموا بقتله لو لا انه هددهم بأخيه سهل بن حنيف الذى يحكم المدينة من قبل على و انه سيضع السيف فى بنى ابيهم إن اصابوه بمكروه، فخافوا من ذلك، و اطلقوا سراحه فانطلق حتى التحق بالامام فى بعض طريقه الى البصرة فلما دخل عليه قال للامام مداعبا:

«ارسلتنى الى البصرة شيخا فجئتك امرد»

و اوغرت هذه الاحداث الصدور، و زادت الفرقة بين اهل البصرة فقد انقسموا على انفسهم فطائفة منهم تسللوا حتى التحقوا بالامام، و قوم انضموا الى جيش عائشة، و طائفة ثالثة اعتزلت الفتنة، و لم يطب لها الانضمام الى احد الفريقين.

---

(۱) شرح النهج ۲/ ۵۰.

(۲) حياة الامام الحسن ۱/ ۴۳۰.

(۳) أسد الغابة ۲/ ۴۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۸

النزاع على الصلاة:

و ليس من الغريب في شيء أن يتنازع كل من طلحة و الزبير على امامة الصلاة فانهما انما نكثا بيعة الامام (ع) طمعا بالحكم و سعيا وراء المصالح المادية، و يقول المؤرخون إن كل واحد منهما كان يروم التقدم على صاحبه لامامة الناس، و الآخر يمنعه حتى فات وقت الصلاة، فخافت عائشة من تطور الاحداث فأمرت ان يصلي بالناس يوما محمد بن طلحة، و يوما عبد اللّه ابن الزبير «۱» فذهب ابن الزبير ليصلي فجذبه محمد، و تقدم للصلاة فمنعه عبد اللّه، و رأى الناس أن خير وسيلة لقطع حبل النزاع القرعة فاقترعا فخرج محمد بن طلحة، فتقدم و صلى بالناس و قرأ في صلاته «سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ» و أثارت هذه الصور الهزيلة السخرية عليهم بين الناس، و اندفعوا الى نقدهم، و في ذلك يقول الشاعر:

تبارى الغلامان إذ صلياو شح على الملك شيخاهما

و مالي و طلحة و ابن الزبيرو هذا بذي الجذع مولاهما

فأمهما اليوم غرتهماو يعلى بن منية ولاهما «۲» ان هذه البادرة تصور مدى تهالك القوم على الامرة و السلطان، و هم بعد في بداية الطريق فلو كتب لهم النجاح في القضاء على حكم الامام لفتح بعضهم على بعض باب الحرب للاستيلاء على زمام الحكم

رسل الامام الى الكوفة:

و أوفد الامام رسله الى أهل الكوفة يستنجد بهم، و يدعوهم الى

---

(۱) تاريخ اليعقوبي ۲/ ۱۵۷

(۲) الأغاني ۱۱/ ۱۲۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۹

نصرته، و القيام معه لاخماد نار الفتنة التي أشعلها المتمردون، و أقبلت الرسل الى الكوفة فوجدوا عاملها أبا موسى الأشعري يدعو الى الفتنة، و يخذل الناس عن نصرة امامهم و يدعوهم الى التمرد، و يحبب لهم العافية، و لم تكن لأبي موسى حجة في ذلك، و انما كان يعبر عن حقده، و اضغانه على الامام و كان فيما أجمع عليه المؤرخون عثماني الهوى، و أقبلت رسل الامام على أبي موسى يعنفونه، و يلومونه، الا انه لم يعن بهم، فبعثوا الى الامام رسالة ذكروا فيها تمرده و عدم استجابته لنداء الحق، و أرسل إليه الامام هاشم المرقال و هو من خيرة أصحاب الامام، و زوده برسالة يطلب فيها مجيء أبي موسى إليه، و لما انتهى إليه هاشم و عرض عليه رسالة الامام لم يستجب له و بقي مصمما على عناده و عصيانه، فارسل هاشم الى الامام رسالة يخبره فيها بموقف أبي موسى، و تمرده فبعث الامام ولده الحسن و عمار بن ياسر و معهما رسالة بعزله، و تعيين قرظة بن كعب الأنصاري في مكانه، و لما وصل الامام الحسن الى الكوفة التأم الناس حوله زمرا، و هم يظهرون له الطاعة و الولاء، و اعلن لهم عزل الوالي المتمرد و تعيين قرظة في منصبه الا ان ابا موسى بقي مصمما على غيه يثبط عزائم الناس و يدعوهم الى التخاذل و الخروج عن الطاعة و لم يستجب للامام الحسن، و رأى الزعيم الكبير مالك الاشتر ان الامر لا يتم إلا باخراج ابي موسى مهان الجانب فجمع نفرا من قومه اولي بأس شديد فاغار بهم على قصر الامارة، و اخذ الناس ينهبون أمتعته و أمواله، فاضطر الجبان الى الاعتزال عن عمله، و مكث ليلته في الكوفة ثم خرج هاربا حتى أتى مكة فاقام مع المعتزلين.

و دعا الامام الحسن (ع) الناس الى الخروج لنصرة أبيه، و قد نفر معه آلاف كثيرة فريق منها ركب السفن، و فريق آخر ركب المطى، و هم مسرورون كأشد ما يكون السرور بنصرتهم للامام.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰

و طوت الجيوش البيداء تحت قيادة الامام الحسن فانتهوا الى ذى قار حيث كان الامام (ع) مقيما هناك، و قد سر (ع) بنجاح ولده و شكر له مساعيه و جهوده، و انضمت جيوش الكوفة الى الجيش الذى كان مع الامام، و البالغ عدده أربعة آلاف، و كان فيهم أربع مائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبى (ص) و قد اسند الامام قيادة ميمنة جيشه الى الحسن، و قيادة ميسرته الى الحسين (ع) «۱» كما كانت جيوشه مزودة باحسن السلاح، و يقول المؤرخون ان الحسين كان قد ركب فرس جده (ص) المسمى بالمرتجز «۲».

التقاء الجيشين:

و تحركت قوات الامام من ذى قار، و هى على بينة من أمرها فلم تكن مترددة و لا شاكة فى أنها على الهدى و الحق، و قد انتهت الى مكان يسمى بالزاوية يقع قريبا من البصرة فأقام فيه الامام، و قد بادر الى الصلاة و بعد ما فرغ منها أخذ يبكى و دموعه تسيل على سحنات وجهه الشريف و هو يتضرع الى اللّه فى أن يحقن دماء المسلمين، و يجنبه ويلات الحرب، و يجمع كلمة المسلمين على الهدى و الحق.

رسل السلام:

و أوفد الامام (ع) رسل السلام للقاء عائشة و هم زيد بن صوحان

---

(۱) جواهر المطالب فى مناقب الامام أبى الحسن (ص ۴۳) لشمس الدين أبى البركات من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين.

(۲) وقعة الجمل (ص ۳۵) تأليف محمد بن زكريا بن دينار.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱

و عبيد اللّه بن العباس، و لما مثلا عندها: ذكراها بما أمرها اللّه أن تقر فى بيتها و ان لا تسفك دماء المسلمين و بالغا فى نصيحتها و لو أنها وعت نصيحتهما لعادت على الناس بالخير العميم و جنبتهم كثيرا من المشاكل و الفتن إلا انها جعلت كلامهما دبر اذنيها و راحت تقول لهما:

«إنى لا أرد على ابن أبى طالب بالكلام لأنى لا ابلغه فى الحجاج.» «۱».

و بذل الامام قصارى جهوده فى الدعوة الى السلم، و عدم اراقة الدماء الا أن هناك بعض العناصر لم ترق لها هذه الدعوى و راحت تسعى لاشعال نار الحرب و تقويض دعائم السلم.

الدعوة الى القرآن:

و لما باءت بالفشل جميع الجهود التى بذلها الامام من أجل حقن الدماء ندب الامام أصحابه، لرفع كتاب اللّه العظيم و دعوة القوم الى العمل بما فيه، و أخبرهم أن من يقوم بهذه المهمة فهو مقتول فلم يستجب له أحد سوى فتى نبيل من أهل الكوفة فانبرى الى الامام، و قال:

«أنا له يا أمير المؤمنين».

فاشاح الامام بوجهه عنه، و طاف فى أصحابه ينتدبهم لهذه المهمة فلم يستجب له أحد سوى ذلك الفتى فناوله الامام المصحف،

فانطلق الفتى مزهوا لم يختلج فى قلبه خوف و لا رعب، و هو يلوح بالكتاب أمام عسكر عائشة، قد رفع صوته بالدعوة الى العمل بما فيه و لكن القوم قد دفعتهم الأنانية الى الفتك به فقطعوا يمينه، فاخذ المصحف بيساره، و هو يناديهم بالدعوة الى العمل بما فيه، فاعتدوا عليه و قطعوا يساره، فاخذ المصحف

---

(۱) الفتوح ۲/ ۳۰۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲

باسنانه و قد نزف دمه، و راح يدعوهم الى السلم و حقن الدماء قائلا:

«اللّه فى دمائنا و دمائكم».

و انثالوا عليه يرشقونه بنبالهم فوقع على الأرض جثة هامدة، فانطلقت إليه أمه تبكيه و ترثيه بذوب روحها قائلة:

يا رب ان مسلما أتاهميتلو كتاب اللّه لا يخشاهم

فخضبوا من دمه لحاهمو أمه قائمة تراهم و رأى الامام بعد هذا الا عذر ان لا وسيلة له سوى الحرب فقال لأصحابه:

«الآن حل قتالهم، و طاب لكم الضراب» «۱» و دعا الامام حضين ابن المنذر و كان شابا فقال له:

«يا حضين دونك هذه الراية فو اللّه ما خفقت قط فيما مضى، و لا تخفق فيما بقى راية أهدى منها إلا راية خفقت على رسول اللّه (ص).».

و فى ذلك يقول الشاعر:

لمن راية سوداء يخفق ظلهااذا قيل قدمها حضين تقدما

يقدمها للموت حتى يزيرهاحياض المنايا يقطر الموت و الدما «۲»

الحرب العامة:

و لما استيأس الامام من السلم عبأ جيشه تعبئه عامة، و كذلك فعل أصحاب عائشة، و قد حملوها على جملها (عسكر) و أدخلت هودجها المصفح بالدروع، و التحم الجيشان التحاما رهيبا، و يقول بعض المؤرخين: ان

---

(۱) مروج الذهب ۲/ ۲۴۶.

(۲) أنساب الأشراف ج ۱ ق ۱ ص ۱۸۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳

الامام الحسين قد تولى قيادة فرقة من فرق الجيش و أنه كان على الميسرة، و خاض المعركة ببسالة و صمود «۱» و كان جمل عائشة فيما يقول بعض من شهد المعركة هو راية أهل البصرة يلوذون به كما يلوذ المقاتلون برياتهم، و قد حمل الامام عليهم و قد رفع العلم بيسراه، و شهر فى يمينه ذا الفقار الذى طالما ذب به عن دين اللّه و حارب به المشركين على عهد رسول اللّه (ص).

و اقتتل الفريقان كأشد ما يكون القتال ضراوة يريد أصحاب عائشة أن يحرزوا النصر و يحموا أمهم و يريد أصحاب على أن يحموا امامهم و يموتوا دونه.

مصرع الزبير:

و كان الزبير رقيق القلب شديد الحرص على مكانته من النبى (ص) الا أن حب الملك هو الذى اغراه و دفعه الى الخروج على الامام

يضاف الى ذلك ولده عبد اللّه فهو الذى زج به فى هذه المهالك، و باعد ما بينه و بين دينه، و قد عرف الامام (ع) رقة طبع الزبير فخرج الى ميدان القتال و رفع صوته:

- ابن الزبير؟

فخرج الزبير و هو شاك فى سلاحه فلما رآه الامام بادر إليه و اعتنقه و قال له بناعم القول:

- يا أبا عبد اللّه ما جاء بك هاهنا؟؟

- جئت أطلب دم عثمان.

فرمقه الامام بطرفه و قال له:

---

(۱) سير اعلام النبلاء ۳/ ۱۹۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴

- تطلب دم عثمان،!!

- نعم.

- قتل اللّه من قتل عثمان.

و أقبل عليه يحدثه برفق، قائلا:

«أنشدك اللّه يا زبير، هل تعلم أنك مررت بى و أنت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو متّكئ على يدك، فسلم على رسول اللّه، و ضحك إلى، ثم التفت إليك فقال لك: يا زبير إنك تقاتل عليا و أنت له ظالم ...».

و تذكر الزبير ذلك و قد ذهبت نفسه أسى و حسرات، و ندم أشد ما يكون الندم على موقفه هذا و التفت الى الامام و هو يصدق مقالته:

- اللهم نعم.

- فعلام تقاتلنى؟

- نسيتها و اللّه. و لو ذكرتها، ما خرجت إليك و لا قاتلتك «۱».

- ارجع.

- كيف ارجع، و قد التقت حلقتا البطان هذا و اللّه العار الذى لا يغسل؟

- ارجع قبل أن تجمع العار و النار.

و ألوى عنان فرسه، و قد ملكت الحيرة و القلق أهابه، و راح يقول:

اخترت عارا على نار مؤججةما إن يقوم لها خلق من الطين

نادى على بأمر لست أجهلهعار لعمرك فى الدنيا و فى الدين

فقلت حسبك من عذل أبا حسنفبعض هذا الذى قد قلت يكفينى «۲» و قفل الامام راجعا الى أصحابه فقالوا له: تبرز الى الزبير حاسرا،

---

(۱) الامامة و السياسة ۱/ ۷۳.

(۲) مروج الذهب ۲/ ۲۴۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۵

و هو شاك السلاح، و أنت تعرف شجاعته!! فقال (ع):

«انه ليس بقاتلى، انما يقتلنى رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيلة فى غير مأقط «۱» حرب و لا معركة رجال، ويل أمه أشقى البشر ليود أن أمه هبلت به، أما أنه و أحمر ثمود لمقرونان فى قرن ...» «۲».

و استجاب الزبير لنداء الامام فاتجه صوب عائشة فقال لها:

«يا أم المؤمنين إنى و اللّه ما وقفت موقفا قط الا عرفت اين أضع قدمى فيه الا هذا الموقف؟!! فانى لا أدرى أ مقبل أنا فيه أم مدبر.؟»

و عرفت عائشة تغيير فكرته و عزمه على الانسحاب من حومة الحرب فقالت له باستهزاء و سخرية مثيرة عواطفه.

«يا أبا عبد اللّه خفت سيوف بنى عبد المطلب؟!!».

و عاثت هذه السخرية فى نفسه فالتفت إليه ولده عبد اللّه فعيره بالجبن قائلا:

«انك خرجت على بصيرة، و لكنك رأيت رايات ابن أبى طالب، و عرفت ان تحتها الموت فجبنت؟!!».

انه لم يخرج على بصيرة و لا بينة من أمره، و انما خرج من أجل الملك و السلطان، و التاع الزبير من حديث ولده فقال له:

- ويحك انى قد حلفت له أن لا اقاتله.

- كفر عن يمينك بعتق غلامك سرجس.

فاعتق غلامه و راح يجول فى ميدان الحرب ليرى ولده شجاعته و يوضح له أنه انما فرّ بدينه لا جبنا و لا خورا، و مضى منصرفا على وجهه حتى أتى وادى السباع، و كان الأحنف بن قيس مع قومه مقيمين هناك،

---

(۱) المأقط: ساحة القتال.

(۲) شرح النهج ۱/ ۱۳۵.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶

فتبعه ابن جرموز فاجهز عليه و قتله غيلة، و حمل نبأ مقتله الى الامام فحزن عليه كأشد ما يكون الحزن، و يقول الرواة: انه أخذ سيفه و هو يقول:

سيف طالما جلا الكروب عن وجه رسول اللّه (ص) و على أى حال لقد كانت النهاية الأخيرة للزبير تدعو الى الأسف و الأسى، فقد تمرد على الحق و اعلن الحرب على وصى رسول اللّه (ص) و باب مدينة علمه. «۱»

مصرع طلحة:

و خاض طلحة المعركة، و هو يحرض جيشه على الحرب فبصر به مروان بن الحكم فرماه بسهم طلبا بثأر عثمان، فوقع على الأرض يتخبط بدمه، و كان مروان يقول لبعض ولد عثمان لقد كفيتك ثأر أبيك من طلحة و أمر طلحة مولاه أن يأوى به الى مكان ينزل فيه فأوى به بعد مشقة الى دار خربة من دور البصرة فهلك فيها بعد ساعة.

قيادة عائشة للجيش:

و تولت عائشة قيادة الجيش بعد هلاك الزبير و طلحة، و قد تفانت بنو ضبة و الأزد، و بنو ناجية فى حمايتها، و يقول المؤرخون انهم هاموا بحبها فكانوا يأخذون بعر جملها و يشمونه، و يقولون: بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك. و كانوا محدقين به لا يريدون فوزا و لا انتصارا سوى حمايتها و ان راجزهم يرتجز:

يا معشر الأزد عليكم امكمفانها صلاتكم و صومكم

---

(۱) تاريخ ابن الاثير ۳/ ۹۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۴۷ و الحرمة العظمى التى تعمكمفاحضروها جدكم و حزمكم

لا يغلبن سم العدو سمكمإن العدو ان علاكم زمكم

و خصكم بجوره و عمكملا تفضحوا اليوم فداكم قومكم «۱» و كانت تحرض على الحرب كل من كان على يمينها و من كان على شمالها، و من كان أمامها، قائلة: انما يصبر الأحرار، و كان أصحاب الامام يلحون على أصحاب عائشة بالتخلى عنها و راجزهم يرتجز:

يا أمنا أعق أم نعلمو الام تغذو ولدها و ترحم

أ ما ترين كم شجاع يكلمو تختلى منه يد و معصم و كان أصحاب عائشة يردون عليهم و يقولون:

نحن بنى ضبة أصحاب الجملننازل القرن اذا القرن نزل

و القتل أشهى عندنا من العسلنبغى ابن عفان باطراف الأسل

ردوا علينا شيخنا ثم بجل

و اشتد القتال كأشد و أعنف ما يكون القتال، و كثرت الجرحى و ملئت أشلاء القتلى وجه الأرض.

عقر الجمل:

و رأى الامام ان الحرب لا تنتهى ما دام الجمل موجودا، فصاح (ع) باصحابه اعقروا الجمل فان فى بقائه فناء العرب، و انعطف عليه الحسن فقطع يده اليمنى و شد عليه الحسين فقطع يده اليسرى «۲» فهوى الى جنبه و له عجيج منكر لم يسمع مثله، و فرّ حماة الجمل فى البيداء فقد تحطم صنمهم

---

(۱) شرح النهج ۲/ ۸۱.

(۲) وقعة الجمل (ص ۴۴) لمحمد بن زكريا.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۴۸

الذى قدموا له هذه القرابين، و أمر الامام بحرقه و تذرية رماده فى الهواء لئلا تبقى منه بقية يفتتن بها السذج و البسطاء، و بعد الفراغ من ذلك قال:

«لعنه اللّه من دابة فما أشبهه بعجل بنى اسرائيل!!».

و مد بصره نحو الرماد الذى تناهبه الهواء فتلا قوله تعالى: «وَ انْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً».

و بذلك فقد وضعت الحرب أوزارها، و كتب النصر للامام و أصحابه و باءت القوى الغادرة بالخزى و الخسران.

و أوفد الامام للقيى عائشة الحسن و الحسين و محمد بن أبى بكر «۱» فانطلقوا إليها فمد محمد يده فى هودجها فجفلت منه، و صاحت به.

- من أنت؟

- ابغض أهلك إليك

- ابن الخثعمية؟

- نعم أخوك البر.

- عقوق

- هل اصابك مكروه؟

- سهم لم يضرنى.

فانتزعه منها، و أخذ بحطام هودجها، و أدخلها فى الهزيع الأخير من الليل الى دار عبد اللّه بن خلف الخزاعى على صفية بنت الحارث فأقامت فيه أياما.

العفو العام:

و سار على فى أهل البصرة سيرة رسول اللّه (ص) فى أهل مكة

---

(۱) وقعة الجمل (ص ۴۵)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۹

- كما قال (ع)- فآمن الأسود و الأحمر- على حد تعبير اليعقوبى- «۱» و لم ينكل بأى أحد من خصومه، و جلس للناس فبايعه الصحيح منهم و الجريح ثم عمد الى بيت المال فقسم ما وجد فيه على الناس بالسواء، و سار (ع) الى عائشة فبلغ دار عبد اللّه بن خلف الخزاعى الذى أقامت فيه عائشة، فاستقبلته صفية بنت الحارث شر لقاء فقالت له: يا على يا قاتل الأحبة ايتم اللّه بنيك كما أيتمت بنى عبد اللّه، و كان قد قتلوا فى المعركة مع عائشة فلم يجبها الامام و مضى حتى دخل على عائشة، فأمرها أن تغادر البصرة و تمضى الى يثرب لتقر فى بيتها كما أمرها اللّه، و لما انصرف اعادت عليه صفية القول الذى استقبلته به فقال لها: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من فى هذا البيت، و هو يشير الى أبواب الحجرات المقفلة، و كان فيها كثير من الجرحى، و غيرهم من أعضاء المؤامرة، قد آوتهم عائشة، فسكتت صفية، و أراد من كان مع الامام أن يبطشوا بهم فزجرهم زجرا عنيفا، و بذلك فقد منح العفو لأعدائه و خصومه.

و سرح الامام عائشة تسريحا جميلا، و أرسل معها جماعة من النساء بزى الرجال لتقر فى بيتها حسب ما أمرها اللّه، و قد رحلت عائشة من البصرة و أشاعت فى بيوتها الثكل و الحزن و الحداد، يقول عمير بن الأهلب الضبى و هو من أنصارها:

لقد أورثتنا حومة الموت أمنافلم تنصرف الا و نحن رواء

اطعنا بنى تيم لشقوة جدناو ما تيم الا أعبد و إماء «۲» لقد أوردت أم المؤمنين ابناءها حومة الموت، فقد كان عدد الضحايا من المسلمين فيما يقول بعض المؤرخين عشرة آلاف نصفهم من أصحابها،

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۱۵۹.

(۲) مروج الذهب ۲/ ۲۵۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۰

و النصف الآخر من اصحاب الامام «۱» و كان من اعظم الناس حسرة الامام لعلمه بما تجر هذه الحرب من المصاعب و المشاكل.

متارك الحرب:

و اعقبت حرب الجمل افدح الخسائر، و اعظم الكوارث التى ابتلى بها المسلمون و من بينها ما يلى.

۱- انها مهدت السبيل لمعاوية لمناجزة الامام، و التصميم على قتاله، فقد تبنى شعار معركة الجمل و هو المطالبة بدم عثمان و لو لا حرب الجمل لما استطاع معاوية أن يعلن العصيان و التمرد على حكم الامام.

۲- انها اشاعت الفرقة و الاختلاف بين المسلمين، فقد كانت روح المودة و الالفة سائدة فيهم قبل حرب الجمل، و بعدها انتشرت البغضاء بين افراد الاسر العربية فقبائل ربيعة و اليمن فى البصرة اصبحت تكن اعمق البغض و الكراهية لاخوانهم من ربيعة و قبائل اليمن فى الكوفة و تطالبها بما اريق من دماء ابنائها بل اصبحت الفرقة ظاهرة شائعة حتى فى البيت الواحد فبعض ابنائه كانوا شيعة لعلى و

البعض الآخر كانوا شيعة لعائشة، و يقول المؤرخون:

ان البصرة بقيت محتفظة بولائها لعثمان حفنة من السنين، و ان الامام الحسين (ع) انما لم ينزح إليها لما عرفت به من الولاء لعثمان.

۳- انها اسقطت هيبة الحكم، و جرأت على الخروج عليه، فقد تشكلت الاحزاب النفعية، التى لا همّ لها الا الاستيلاء على السلطة و الظفر بخيرات البلاد، حتى كان التطاحن على الحكم من ابرز سمات ذلك العصر.

---

(۱) تاريخ الطبرى ۵/ ۲۲۴ و فى رواية ابى العلاء فى نساب الاشراف ج ۱ ق ۱ ص ۱۸۰ ان عدد الضحايا عشرون الفا.

۴- انها فتحت باب الحرب بين المسلمين، و قبلها كان المسلمون يتحرجون أشد ما يكون التحرج فى سفك دماء بعضهم بعضا.

۵- انها عملت على تأخير الاسلام، و شل حركته، و ايقاف نموه، فقد انصرف الامام بعد حرب الجمل الى مقاومة التمرد و العصيان الذى اعلنه معاوية و غيره من الطامعين فى الحكم مما ادى الى افدح الخسائر التى منى بها الاسلام، يقول الفيلسوف (ولز): ان الاسلام كاد ان يفتح العالم اجمع لو بقى سائرا سيرته الاولى، لو لم تنشب فى وسطه من اول الأمر الحرب الداخلية، فقد كان هم عائشة ان تقهر عليا قبل كل شىء.» «۱»

۶- و استباحت هذه الحرب حرمة العترة الطاهرة التى قرنها النبى (ص) بمحكم التنزيل، و جعلها سفن النجاة، و امن العباد، فمنذ ذلك اليوم شهرت السيوف فى وجه عترة النبى (ص) و استحل الاوغاد اراقة دمائهم، و سبى ذراريهم فلم يرع بنو أمية فى وقعة كربلا اى حرمة للنبى (ص) فى ابنائه، و انتهكوا معهم جميع الحرمات.

هذه بعض متارك حرب الجمل التى جرت للمسلمين افدح الخسائر فى جميع فترات التاريخ.

القاسطون:

اشارة

و لم يكد يفرغ الامام (ع) من حرب الناكثين كما اسماهم رسول اللّه (ص) حتى جعل يتأهب لحرب القاسطين الذين اسماهم النبى (ص) بذلك، و رأى الامام ان يغادر البصرة الى الكوفة ليستعد لحرب عدو عنيف هو معاوية بن ابى سفيان الذى حارب رسول اللّه (ص) و ابلى فى حربه أشد

---

(۱) شيخ المضيرة (ص ۱۷۳)

البلاء و أقواه، و لم يكن معاوية بأقل تنكرا للاسلام و بغضا لأهله من أبيه، و كان المسلمون الاولون ينظرون إليهما نظرة ريبة و شك فى اسلامهما، و قد استطاع بمكره و دهائه أن يغزو قلب الخليفة الثانى، و يحتل المكانة المرموقة فى نفسه فجعله واليا على الشام، و ظل يبالغ فى تسديده و تأييده، و بعد وفاته أقره عثمان و زاد فى رقعة سلطانه، و ظل معاوية فى الشام يعمل عمل من يريد الملك و السلطان فأحاط نفسه بالقوة و اشترى الضمائر، و سخر اقتصاد بلاده فى تدعيم سلطانه، و بعد الاحداث التى ارتكبها عثمان علم معاوية أنه مقتول لا محالة، فاستغاث به عثمان حينما حوصر فابطأ فى نصره، و ظل متربصا حتى قتل ليتخذ من قميصه و دمه وسيلة للتشبث بالملك، و قد دفعه الى ذلك حرب الجمل التى كان شعارها المطالبة بدم عثمان، فاتخذه خير وسيلة للتذرع لنيل الملك و يقول المؤرخون انه استعظم قتل عثمان و هوّل أمره، و راح يبنى ملكه على المطالبة بدمه.

و كان الامام (ع) محتاطا فى دينه كأشد ما يكون الاحتياط فلم يصانع، و لم يحاب، و انما سار على الطريق الواضح، فامتنع أن يستعمل معاوية على الشام لحظة واحدة لأن فى اقراره على منصبه تدعيما للظلم و تركيزا للجور.

و على اى حال فان الامام بعد حرب الجمل قد غادر البصرة مع قواته المسلحة، و اتجه الى الكوفة ليتخذها عاصمة و مقرا له، و اتجه فور قدومه إليها يعمل على تهيئة وسائل الحرب لمناهضة عدوه العنيف الذى يتمتع بقوى عسكرية هائلة اجمعت على حبه و نصرته، و كان الشنى يحرض الامام و يحفزه على حرب اهل الشام، بعد ما أحرزه من النصر فى وقعة الجمل و قد قال له:

قل لهذا الامام قد خبت الحرب و تمت بذلك النعماء

و فرغنا من حرب من نكثالعهد و بالشام حية صماء

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۳ تنفث السم ما لمن نهشته- فارمها قبل ان تعض- شفاء «۱»

ايفاد جرير:

و قبل أن يعلن الامام الحرب على غول الشام أوفد للقياه جرير بن عبد اللّه البجلى يدعوه الى الطاعة و الدخول فيما دخل فيه المسلمون من مبايعته و قد زوده برسالة «۲» دعاه فيها الى الحق من اقصر سبيله، و باوضح اساليبه، و فيها الحكمة الهادية لمن اراد الهداية، و شرح اللّه صدره، و فجر فى فؤاده ينبوع النور، و انتهى جرير الى معاوية فسلمه رسالة الامام، و ألحّ عليه فى الوعظ و النصيحة، و كان معاوية يسمع منه و لا يقول له شيئا، و انما اخذ يطاوله و يسرف فى مطاولته، لا يجد لنفسه مهربا سوى الامهال و التسويف.

معاوية مع ابن العاص:

و رأى معاوية انه لن يستطيع التغلب على الاحداث الا اذا انضم إليه داهية العرب عمرو بن العاص فيستعين به على تدبير الحيل، و وضع المخططات التى تؤدى الى نجاحه فى سياسته فراسله طالبا منه الحضور الى دمشق، و كان ابن العاص فيما يقول المؤرخون: قد وجد على عثمان حينما عزله عن مصر، فكان يؤلب الناس عليه، و يحرضهم على الوقيعة به، و هو ممن مهد للفتنة و الثورة عليه، و لما ايقن بحدوث الانقلاب عليه خرج الى ارض

---

(۱) الاخبار الطوال (ص ۱۴۵)

(۲) الرسالة فى وقعة صفين (ص ۳۴)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۴

كان يملكها بفلسطين فأقام فيها، و جعل يتطلع الاخبار عن قتله.

و لما انتهت رسالة معاوية الى ابن العاص تحير فى أمره فاستشار ولديه عبد اللّه و محمدا أما عبد اللّه فكان رجل صدق و صلاح فأشار عليه ان يعتزل الناس و لا يجيب معاوية الى شىء حتى تجتمع الكلمة و يدخل فيما دخل فيه المسلمون و اما ابنه محمد فقد طمع فيما يطمع فيه فتيان قريش من السعة و التقدم، و ذيوع الاسم، فقد اشار عليه بان يلحق بمعاوية لينال من دنياه. فقال عمرو لولده عبد اللّه! أما أنت فأمرتنى بما هو خير لى فى دينى، و قال لولده محمد: أما أنت فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى، و انفق ليله ساهرا يفكر فى الأمر هل يلتحق بعلى فيكون رجلا- كسائر المسلمين له مالهم و عليه ما عليهم من دون ان ينال شيئا من دنياه، و لكنه يضمن امر آخرته او يكون مع معاوية فيظفر بتحقيق ما يصبو إليه فى الدنيا من الثراء العريض، و هو لم ينس ولاية مصر فكان يحن إليها حنينا متصلا، و قد أثر عنه تلك الليلة من الشعر ما يدل على الصراع النفسى الذى خامره تلك الليلة.

و لم يسفر الصبح حتى آثر الدنيا على الآخرة فاستقر رأيه على الالتحاق بمعاوية، فارتحل الى دمشق و معه ابناه فلما بلغها جعل يبكى

امام اهل الشام كما تبكى المرأة و هو يقول:

«وا عثماناه انعى الحياء و الدين» «۱».

قاتلك اللّه يا ابن العاص أ أنت تبكى على عثمان و أنت الذى اوغرت عليه الصدور و اثرت عليه الاحقاد، و كنت تلفى الراعى فتحرضه عليه حتى سفك دمه لقد بلغ التهالك على السلطة فى ذلك العصر مبلغا انسى الناس دينهم فاقترفوا فى سبيل ذلك كل ما حرمه اللّه.

و لما التقى ابن العاص بمعاوية فتح معه الحديث فى حربه مع الامام فقال ابن العاص

---

(۱) تاريخ ابن الأثير ۳/ ۱۲۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۵

«أما على فو اللّه لا تساوى العرب بينك و بينه فى شىء من الأشياء و ان له فى الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش إلا ان تظلمه».

و اندفع معاوية يبين دوافعه فى حربه للامام قائلا:

«صدقت و لكنا نقاتله على ما فى أيدينا، و نلزمه قتلة عثمان».

و اندفع ابن العاص ساخرا منه قائلا:

- وا سوأتاه ان أحق الناس أن لا يذكر عثمان أنت!!

- و لم ويحك؟!!

- أما أنت فخذلته و معك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلى فسار إليه و أما أنا فتركته عيانا و هربت الى فلسطين ... «۱».

و استيقن معاوية ان ابن العاص لا يخلص له، و رأى ان من الحكمة أن يستخلصه و يعطيه جزاءه من الدنيا، فصارحه قائلا:

- أ تحبنى يا عمرو؟

- لما ذا؟ للآخرة فو اللّه ما معك آخرة، أم للدنيا. فو اللّه لا كان حتى أكون شريكك فيها.

- أنت شريكى فيها؟

- اكتب لى مصر و كورها.

- لك ما تريد.

فسجل له ولاية مصر، و جعلها ثمنا لانضمامه إليه «۲» فى مناهضته لوصى رسول اللّه (ص) و قد ظفر بداهية من دواهى العرب و بشيخ من شيوخ قريش قد درس أحوال الناس، و عرف كيف يتغلب على الأحداث.

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۱۶۲.

(۲) العقد الفريد ۳/ ۱۱۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۶

رد جرير:

و لما اجتمع لمعاوية أمره و احكم وضعه رد جرير، و أرسل معه الى الامام رسالة حمله فيها المسئولية فى اراقة دم عثمان، و عرفه باجماع أهل الشام على حربه إن لم يدفع له قتلة عثمان، و يجعل الأمر شورى بين المسلمين.

و ارتحل جرير الى الكوفة فأنبأ عليا بامتناع معاوية عليه، و عظم له أمر أهل الشام، و رأى الامام ان يقيم عليه الحجة مرة أخرى فبعث له

سفراء آخرين يدعونه الى الطاعة و الدخول فيما دخل فيه المسلمون إلا أن ذلك لم يجد شيئا فقد أصر معاوية على غيه و عناده حينما أيقن ان له القدرة على مناجزة الامام و مناهضته.

قميص عثمان:

و ألهب معاوية بمكره و خداعه قلوب السذج و البسطاء من أهل الشام حزنا واسى على عثمان فكان ينشر قميصه الملطخ بدمائه على المنبر فيضجون بالبكاء و العويل، و استخدم الوعاظ فجعلوا يهولون أمره، و يدعون الناس الى الأخذ بثأره، و كان كلما فتر حزنهم عليه يقول له ابن العاص بسخرية و استهزاء:

«حرك لها حوارها تحن.»

فيخرج إليهم قميص عثمان فيعود لهم حزنهم، و قد أقسموا أن لا يمسهم الماء إلا من الاحتلام، و لا يأتون النساء، و لا ينامون على الفراش

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۷

حتى يقتلوا قتلة عثمان «۱» و كانت قلوبهم تتحرق شوقا الى الحرب للأخذ بثأره، و قد شحن معاوية أذهانهم بأن عليا هو المسئول عن اراقة دمه، و انه قد آوى قتلته، و كانوا يستنهضون معاوية للحرب، و يستعجلونه أكثر منه.

زحف معاوية لصفين:

و علم معاوية أنه لا بد من الحرب لأن الامام لا يحاب و لا يداهن فى دينه، فلا يقره على ولاية الشام، و لا يسند له أى منصب من مناصب الدولة، و انما يقصيه عن جميع أجهزة الحكم لما يعرفه عنه من الالتواء فى دينه.

و سار معاوية فى جموع أهل الشام، و قدم بين يديه الطلائع، و قد أنزل أصحابه أحسن منزل، و أقربه إلى شريعة الفرات، و قد احتل الفرات و عدّ هذا أول الفتح لأنه حبس الماء على عدوه، و بقيت جيوشه رابضة هناك تصلح أمرها، و تنضم قواها استعدادا للحرب.

زحف الامام للحرب:

و تهيأ الامام للحرب و قام الخطباء فى الكوفة يحفزون الناس للجهاد و يحثونهم على مناجزة معاوية بعد ما احرزوه من النصر الكبير فى معركة الجمل، و قد خطب فيهم الامام الحسين (ع) خطابا رائعا و مثيرا، قال فيه بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء، و الشعار دون الدثار جدوا فى

---

(۱) تاريخ ابن الأثير ۳/ ۱۴۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۸

اطفاء ما دثر بينكم، و تسهيل ما توعر عليكم إلا أن الحرب شرها ذريع، و طعمها فظيع فمن أخذلها اهبتها و استعد لها عدتها، و لم يألم كلومها قبل حلولها فذاك صاحبها، و من عاجلها قبل أوان فرصتها و استبصار سعيه فيها فذاك قمن ألا ينفع قومه، و ان يهلك نفسه نسأل اللّه بقوته ان يدعمكم بالفيئة.» «۱»

و حفل هذا الخطاب بالدعوة الى استعجال الحرب و الاستعداد الشامل لها، و الامعان فى وسائلها فان ذلك من موجبات النصر، و من وسائل التغلب على الأعداء، و ان اهمال ذلك، و عدم الاعتناء به مما يوجب الهزيمة و الاندحار، و دل هذا الخطاب على خبرة الامام الواسعة فى الشؤون العسكرية و الحربية.

و تهيأ الناس بعد خطاب سبط النبى (ص) الى الحرب و أخذوا يجدون فى تنظيم قواهم، و لما تمت عدتهم زحف بهم الامام أمير المؤمنين لحرب ابن أبى سفيان، و قد قدم طلائعه، و أمرهم ان لا يبدءوا أهل الشام بقتال حتى يدركهم.

و زحفت كتائب الجيش العراقى كأنها السيل، و هى على يقين أنها انما تحارب القوى الباغية على الاسلام، و المعادية لأهدافه، و قد جرت فى أثناء مسيرة الامام أحداث كثيرة لا حاجة الى اطالة الكلام بذكرها فانا لا نقصد بهذه البحوث ان نلم بها، و انما نشير إليها بايجاز.

احتلال الفرات:

و لم يجد أصحاب الامام شريعة على الفرات يستقون منها الماء الا و هى

---

(۱) شرح النهج ۳/ ۱۸۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵۹

محاطة بالقوى المكثفة من جيش معاوية يمنعونهم أشد المنع من الاستسقاء من الماء و لما رأى الامام ذلك أوفد رسله الى معاوية يطلبون منه أن يخلى بينهم و بين الماء ليشربوا منه، فلم تسفر مباحثتهم معه أى شىء، و انما وجدوا منه اصرارا على المنع يريد أن يحرمهم منه كما حرموا عثمان من الماء، و أضر الظمأ باصحاب الامام، و أنبرى الأشعث بن قيس يطلب الأذن من الامام أن يفتح باب الحرب، و يقهر القوى المعادية على التخلى عن الفرات فلم يجد الامام بدا من ذلك فاذن له، فاقتتل الفريقان كأشد ما يكون القتال و كتب النصر لقوات الامام فاحتلت الفرات، و أراد أصحاب الامام أن يقابلوهم بالمثل فيحرمونهم منه، كما صنعوا ذلك معهم، و لكن الامام لم يسمح لهم بذلك، و عمل معهم عمل المحسن الكريم فخلى بينهم و بين الماء.

لقد كان اللؤم و الخبث من عناصر الامويين و ذاتياتهم فقد أعادوا على صعيد كربلاء ما اقترفوه من الجريمة فى صفين فحالوا بين الامام الحسين و بين الماء و تركوا عقائل الوحى و مخدرات الرسالة، و صبية أهل البيت قد صرعهم العطش، و مزق الظمأ قلوبهم، فلم يستجيبوا لأية نزعة انسانية، و لم ترق قلوبهم فيعطفوا عليهم بقليل من الماء.

رسل السلام:

و كان الامام متحرجا كأشد ما يكون التحرج فى سفك دماء المسلمين فقد جهد على نشر السلام و الوئام فأوفد إلى معاوية عدى بن حاتم، و شبث ابن ربعى، و يزيد بن قيس، و زياد بن حفصة يدعونه الى حقن دماء المسلمين، و يذكرونه الدار الآخرة، و يحذرونه أن ينزل به ما نزل باصحاب الجمل، و لكن ابن هند لم يستجب لذلك و أصر على الغى و التمرد، و قد

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۰

حمل الامام المسئولية فى قتل عثمان بن عفان، و قد دفعه الى العصيان ما يتمتع به من القوى العسكرية و اتفاق كلمتها و اصرارها على الطلب بدم عثمان.

و رجعت رسل السلام و قد اخفقت فى سفارتها، و استبان لها أن معاوية مصمم على الحرب، و لا رغبة له فى الصلح، و أحاطوا الامام (ع) علما بذلك فجعل يتهيأ للحرب، و يدعو الناس إلى القتال.

الحرب:

و عبأ الامام أصحابه على راياتهم، و استعد للقتال، و قد أمر أصحابه أن لا يبدءوهم بقتال كما عهد لهم فى حرب الجمل، و ان لا

يقتلوا مدبرا و لا يجهزوا على جريح، و لا يمثلوا بقتيل، و لا يهيجوا امرأة الى غير ذلك من الوصايا التى تمثل شرف القيادة العسكرية فى الاسلام.

و جعلت فرق من جيش الامام تخرج الى فرق من جيش معاوية فيقتتل الفريقان نهارا كاملا أو طرفا منه، ثم يتحاجزان من دون أن تقع حرب عامة بينهما و قد رجا الامام بذلك أن يثوب معاوية الى الصلح و حقن الدماء، و دام الأمر على هذا حفنة من الايام من شهر ذى الحجة فلما أطل شهر المحرم، و هو من الأشهر التى يحرم فيها القتال فى الجاهلية و الاسلام، توادعوا شهرهم كله، و اتيح للفريقين أن يلتقوا آمنين، و قد آمن بعضهم بعضا و لم تقع بينهم أى حرب، و قد سعت بينهم سفراء السلم إلا أنها أخفقت فى سعيها، و قد احتدم الجدال بين الفريقين فأهل العراق يدعون أهل الشام الى جمع الكلمة و حقن الدماء، و مبايعة وصى رسول اللّه (ص) و الدخول فيما دخل فيه المسلمون، و أهل الشام يدعون العراقيين الى طلب بدم عثمان و رفض بيعة الامام، و اعادة الأمر شورى بين المسلمين.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۱

و لما انقضى شهر محرم مضى القوم على الحرب، و لكنها لم تكن عامة و انما كانت متقطعة تخرج الكتيبة للكتيبة، و الفرقة للفرقة.

و سئم الفريقان هذه الحرب المتقطعة، و تعجلوا الحرب العامة فبأ الامام جيوشه تبأة عامة، و كذلك فعل معاوية، و التحم الجيشان التحاما رهيبا، و اقتتلوا أبرح قتال و أعنفه، و انكشفت ميمنة جيش الامام انكشافا بلغ الهزيمة فقاتل الامام و معه الحسن و الحسين «۱» و انحاز الامام الى ميسرة جيشه من ربيعة، فاستماتت ربيعة دون الامام، و كان قائلهم يقول: لا عذر لكم بعد اليوم عند العرب إن اصيب أمير المؤمنين و هو فيكم، و تحالفت ربيعة على الموت، و صمدت فى الحرب، و رجعت ميمنة الامام الى حالها بفضل الزعيم مالك الأشتر، و استمرت الحرب باعنف ما يتصور و قد ظهر الضعف و بان الانكسار فى جيش معاوية، و همّ معاوية بالفرار لو لا أنه تذكر قول ابن الاطنابة:

أبت لى همتى و أبى بلائىو أقدامى على البطل المشيح

و اعطائى على المكروه مالىو اخذى الحمد بالثمن الربيح

و قولى كلما جشأت و جاشتمكانك تحمدى أو تستريحى و قد رده هذا الشعر الى الصبر و الثبات، كما كان يتحدث بذلك أيام الملك و السلطان.

منع الحسنين من الحرب:

و منع الامام أمير المؤمنين سبطى رسول اللّه (ص) من الاشتراك فى عمليات الحروب، فقال (ع): «املكوا عنى هذين الغلامين- يعنى

---

(۱) أنساب الأشراف ج ۱ ق ۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۲

الحسن و الحسين- لئلا ينقطع بهما نسل رسول اللّه (ص)» «۱».

لقد حرص الامام (ع) على ريحانتى رسول اللّه (ص) لأن بهما امتدادا لنسله و ابقاء لذريته.

مصرع عمار:

و عمار بن ياسر من ألمع أصحاب النبى (ص) و أكثرهم جهادا و بلاء فى الاسلام، و قد شايع عليا و لازمه بعد وفاة النبى (ص) فقد أيقن أنه مع الحق و الحق معه كما قال فيه النبى (ص) و كان فى أيام صفين شيخا قد نيف على التسعين عاما، و لكن قلبه و بصيرته كانت بمأمن من الشيخوخة فقد كان فى تلك المعركة كأنه فى ريعان الشباب، و كان يحارب راية ابن العاص، و هو يشير إليها قائلا:

«و اللّه إن هذه الراية قاتلتها ثلاث عركات و ما هذه بأرشدهن» و كان يقول لأصحابه لما رأى انكشافهم فى المعركة:

و اللّه لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق، و انهم على الباطل.

و يقول الرواة: إنه جلس مبكرا فى يوم من ايام صفين، و قد ازداد قلبه شوقا الى ملاقاة رسول اللّه (ص) و ملاقاة أبويه، فخف الى الامام مسرعا يطلب منه الاذن فى أن يلج الحرب لعله يرزق الشهادة فلم يسمح له الامام بذلك، و ظل يعاود الامام مستأذنا، فلم تطب نفس الامام بذلك و راح يلح عليه فاذن له، و أجهش الامام بالبكاء حزنا و موجدة عليه.

و انطلق عمار الى ساحات الحرب و هو موفور القوى، قد استرد نشاطه و هو جذلان فرح بما يصير إليه من الشهادة، و قد رفع صوته عاليا:

---

(۱) نهج البلاغة.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۳

«اليوم القى الأحبة محمدا و حزبه.».

و كان صاحب الراية فى الكتيبة التى يقاتل فيها عمار هو هاشم بن عتبة المرقال و كان من فرسان المسلمين و خيارهم و أحبهم للامام و أخلصهم له و كان أعور، فاتجه نحوه عمار فجعل تارة يدفعه بعنف الى الحرب و يقول له: تقدم يا أعور، و أخرى يرفق به أشد الرفق و يقول له: احمل فداك أبى و أمى، و هاشم يقول له: رحمك اللّه يا أبا اليقظان انك رجل تستخف الحرب، و انى انما ازحف زحفا لعلى أبلغ ما اريد، و ضجر هاشم فحمل و هو يرتجز:

قد اكثروا لومى و ما أقلاإنى شريت النفس لن اعتلا

أعور يبغى نفسه محلالا بد أن يفل أو يفلا

قد عالج الحياة حتى ملاأشلهم بذى الكعوب شلا و قد دل هذا الرجز على تصميمه على الموت، و سئمه من الحياة، و جال فى ميدان القتال، و عمار معه يقاتل و يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيلهو اليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيلهو يذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق الى سبيله

لقد قاتل عمار بايمان و اخلاص المشركين مع رسول اللّه (ص) و ناضل كأشد ما يكون النضال دفاعا عن كلمة التوحيد، و قاتل أعنف القتال مع أخى رسول اللّه (ص) دفاعا عن تأويل القرآن و دفاعا عن امام المسلمين فما أعظم عائدة عمار و ألطافه على الاسلام.

و التحم عمار مع القوى الغادرة التحاما رهيبا، و حمل عليه رجس من أرجاس البشرية يسمى أبو الغادية فطعنه برمحه طعنة قاتلة، فهوى الى الأرض ذلك الصرح الشامخ من العقيدة و الايمان يتخبط بدمائه الزكية،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۴

و قد أضر به العطش فبادرت إليه امرأة بلبن، فلما رآه تبسم، و أيقن بدنو أجله، و راح يقول بنبرات هادئة مطمئنة:

قال لى رسول اللّه (ص): آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن و تقتلك الفئة الباغية. حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ج۲ ۶۴ مصرع عمار: ..... ص : ۶۲

لم يلبث قليلا حتى لفظ انفاسه الأخيرة، و انطوت بموته أروع صفحة مشرقة من الايمان و الجهاد، و ارتفع ذلك العملاق الذى أضاء الحياة الفكرية باخلاصه و اندفاعه نحو الحق.

و كان الامام أمير المؤمنين (ع) برحا لم يقر له قرار حينما برز عمار الى ساحة الجهاد، فكان يقول: فتشوا لى عن ابن سمية، و انطلقت

فصيلة من الجند تبحث عنه، فوجدوه قتيلا مضمخا بدم الشهادة فانبروا مسرعين الى الامام فاخبروه بشهادته، فانهد ركنه، و انهارت قواه، و سرت موجات من الألم القاسى فى محياه، فقد غاب عنه الناصر و الأخ، و مشى الامام لمصرعه كئيبا حزينا، و عيناه تفيضان دموعا، و سار معه قادة الجيش و قد أخذتهم المائقة حزنا على البطل العظيم، و لما انتهى إليه القى بنفسه عليه و جعل يوسعه تقبيلا، و قد انفجر بالبكاء، و جعل يؤبنه بحرارة قائلا:

«إن امرأ من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر و تدخل عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد.

رحم اللّه عمارا يوم أسلم.

رحم اللّه عمارا يوم قتل.

رحم اللّه عمارا يوم يبعث حيا

لقد رأيت عمارا و ما يذكر من أصحاب رسول اللّه أربعة إلا كان رابعا، و لا خمسة إلا كان خامسا، و ما كان أحد من قدماء أصحاب رسول اللّه يشك أن عمارا قد وجبت له الجنة فى غير موطن، و لا اثنين

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۵

فهنيئا لعمار بالجنة ...».

و أخذ الامام رأسه فجعله فى حجره و دموعه تتبلور على خديه.

و انبرى الامام الحسن و غيره فابنوا الشهيد العظيم بقلوب مذابة من الحزن، ثم قام الامام فواراه فى مقره الأخير، و يقول المؤرخون: ان الفتنة وقعت فى جيش معاوية حينما اذيع مقتل عمار فقد سمعوا ان رسول اللّه (ص) قال فى فضل عمار ان الفئة الباغية تقتله، و قد اتضح لهم انهم الفئة الباغية التى عناها رسول اللّه (ص) و لكن ابن العاص استطاع أن يزيل الخلاف فقال لهم: ان الذى أخرج عمارا هو الذى قتله، و اذعن بسطاء أهل الشام لما قاله ابن العاص.

و اشتد القتال باعنفه بعد مقتل عمار، و قد تفللت جميع قوى معاوية و بان الضعف فى جيشه.

مكيدة ابن العاص:

لعل أبشع مهازل التاريخ البشرى فى جميع فترات التاريخ هى مكيدة ابن العاص فى رفع المصاحف، و قد وصفها (راو هوست ميلر) بانها من أشنع المهازل و أسوئها فى التاريخ البشرى «۱» و أكاد أعتقد أن هذه المكيدة لم تكن وليدة المصادفة أو المفاجئة، فقد حيكت اصولها و وضعت مخططاتها قبل هذا الوقت فقد كان ابن العاص على اتصال دائم احيط بكثير من الكتمان مع جماعة من قادة الجيش العراقى فى طليعتهم الأشعث بن قيس، فهما اللذان دبرا هذا الأمر و قد ذهب الى هذا الرأى الدكتور طه حسين قال: «فما استبعد أن يكون الأشعث بن قيس و هو ماكر أهل

---

(۱) العقيدة و الشريعة فى الاسلام (ص ۱۹۰).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۶

العراق و داهيتهم قد اتصل بعمرو بن العاص ماكر أهل الشام و داهيتهم، و دبرا هذا الأمر بينهم تدبيرا، و دبروا أن يقتتل القوم فان ظهر أهل الشام فذاك، و ان خافوا الهزيمة أو أشرفوا عليها رفعوا المصاحف فاوقعوا الفرقة بين أصحاب على و جعلوا بأسهم بينهم شديدا» «۱».

و على أى حال فان الهزيمة لما بدت بأهل الشام، و تفللت جميع قواعدهم فزع معاوية الى ابن العاص يطلب منه الرأى فأشار عليه برفع المصاحف

فامر بالوقت برفعها فرفعت زهاء خمسمائة مصحف على أطراف الرماح و تعالت الأصوات من أهل الشام بلهجة واحدة.

«هـذا كتاب اللّه بيننا و بينكم من فاتحته الى خاتمته، من لثغور أهل الشام بعـد أهل الشام؟ و من لثغور أهل العراق بعـد أهل العراق؟ و من لجهاد الروم؟ و من للترك؟ و من للكفار؟.».

و كانت هذه الدعوى كالصاعقة على رءوس الجيش العراقى فقد انقلب رأسا على عقب، فتدافعوا كالموج نحو الامام و هم ينادون:

«لقد أعطاك معاوية الحق، دعاك الى كتاب اللّه فاقبل منه ...».

و دلهم الامام على زيف هـذه الحيلة، و انها جاءت نتيجة فشلهم فى العمليات العسكرية، و انها لم يقصد بها إلا خداعهم و انهم انما رفعوا المصاحف لا- إيمانا بها و انما هو من الخداع و المكر و مما يؤسف له انهم لم يقروا حق مصيرهم، و مصير الامة فى تلك الفترات الحاسمة من تاريخهم التى اشرفوا فيها على الفتح و النصر، و لم يبق من دك حصون الظلم و نسف قواعد الجور إلا لحظات.

يا للمصيبة و الأسف لقد أصروا على التمرد، و العناد، فانحاز منهم اثنا عشر ألفا و هم أهل الجباه السود، فخاطبوا الامام باسمه الصريح قائلين:

---

(۱) الفتنة الكبرى ۲/ ۸۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۷

«يا على: اجب القوم الى كتاب اللّه إذ دعيت له، و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو اللّه لنفعلنها إن لم تجبهم ...».

فكلمهم الامام برقة و لطف ليقلع روح التمرد منهم الا- ان كلام الامام ذهب هباء و راح القوم فى غيهم يعمهون، و هم يصرون على ارغام الامام على ايقاف القتال، و كان الأشعث بن قيس هو الذى يدفعهم الى ذلك و ينادى باعلى صوته بالرضاء و القبول لدعوة أهل الشام.

و لم ير الامام بدا من اجابتهم، فاصدر أوامره بايقاف عمليات الحروب، و قلبه الشريف يتقطع ألما و حزنا، فقد أيقن أن الباطل قد انتصر على الحق، و ان جميع متاعبه و دماء جيشه قد ذهبت سدى.

و أصر المتمردون على الامام بسحب مالك الأشتر من ساحة الحرب و كان قد أشرف على الانتصار، و لم يبق بينه و بين الفتح إلا حلبة شاة، فارسل إليه الامام بالقدوم إليه فلم يعن بما امر به، و قال لرسول الامام:

«قل لسيدى: ليست هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن موقفى انى قد رجوت اللّه أن يفتح لى فلا تعجلنى ..».

و رجع الرسول فاخبر الامام بمقالة القائد العظيم فارتفعت أصوات اولئك الوحوش بالانكار على الامام قائلين:

«و اللّه ما نراك إلا أمرته ان يقاتل ..»

و امتحن الامام فى أمرهم كأشد ما تكون المحنة فقال لهم:

«أ رأيتمونى ساررت رسولى (إليه)؟ أ ليس انما كلمته على رءوسكم علانية و انتم تسمعون؟».

و أصروا على الغى قائلين:

«فابعث إليه فليأتيك، و الا فو اللّه اعتزلناك ..».

و أجمعوا على الشر، و أوشكوا أن يفتكوا بالامام فاصدر أوامره المشددة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۸

بانسحاب مالك من ساحة الحرب، و استجاب الأشتر لأمر الامام فقفل راجعا و قد تحطمت قواه، و قال ليزيد الذى كان رسول الامام:

«أ لرفع هذه المصاحف- يعنى حدثت هذه الفتنة-؟

«نعم».

و عرف الأشتر مكيدة ابن العاص فقال:

«أما و اللّه لقد ظننت انها حين رقعت ستوقع اختلافا و فرقة انها مشورة ابن العاهرة».

أ لا ترى الى الفتح، الا ترى الى ما يلقون؟ الا ترى الى الذى يصنع اللّه لنا، أ ينبغى أن ندع هذا و ننصرف عنه؟!!».

و أحاطه يزيد علما بحراجة الموقف و الاخطار الهائلة التى تحف بالامام قائلا:

«أ تحب انك ان ظفرت هاهنا، و ان أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يفرج عنه و يسلم الى عدوه؟ ..».

فقال الأشتر مقالة المؤمن:

«سبحان اللّه: لا و اللّه ما أحب ذلك!!».

«فانهم قالوا: لترسلن الى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك باسيافنا كما قتلنا ابن عفان، أو لنسلمنك الى عدوك ..».

و قفل الأشتر راجعا قد استولى الحزن على اهابه، فقد ذهبت آماله ادراج الرياح فتوجه نحوهم يلومهم و يعنفهم، و يطلب منهم أن يخلوا بينه و بين عدوهم فقد أشرف على النصر و الفتح.

و لم يذعن أولئك الممسوخون لمقالة الأشتر فقد اصروا على الذل و الوهن قائلين له:

«لا لا».

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۶۹

«امهلونى عدوة فرس فانى قد طمعت فى النصر.».

«اذن ندخل معك فى خطيئتك ..».

و انبرى الأشتر يحاججهم و ينقد ما ذهبوا إليه قائلا:

«حدثونى عنكم- و قد قتل اماثلكم و بقى ارذالكم- متى كنتم محقين أ حين كنتم تقتلون أهل الشام، فانتم الآن حين امسكتم عن القتال مبطلون، أم أنتم الآن فى امساككم عن القتال محقون؟ فقتلاكم اذن الذين لا تنكرون فضلهم، و كانوا خيرا منكم فى النار».

و لم يجد معهم هذا الكلام المشرق فقالوا له:

«دعنا منك يا أشتر قاتلناهم فى اللّه، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا».

و رد عليهم الأشتر بعنف حينما يئس من اصلاحهم و أخذ يحذرهم من معيبة هذه الفتنة و أنهم لا يرون بعدها عزا أبدا.

و حقا انهم لم يروا عزا، فقد أفلت من افقهم دولة الحق، و آل أمرهم الى معاوية فأخذ يسومهم سوء العذاب.

و طلب مالك من الامام أن يناجزهم الحرب فأبى لأن المعارضين كانوا يمثلون الأكثرية الساحقة فى جيشه و فتح باب الحرب يؤدى الى أمظع النتائج فان الامة تقع فريسة سائغة بأيدى الامويين.

و اطرق الامام برأسه، و قد طافت به موجات من الآلام، و أخذ يطيل التفكير فى العاقبة المرة التى جرها هؤلاء العصاة للامة و يقول المؤرخون انهم قد اتخذوا سكوته رضى منه بالتحكيم فهتفوا.

«ان عليا أمير المؤمنين قد رضى الحكومة، و رضى بحكم القرآن».

و الامام غارق فى الهموم، فقد أفلت منه الأمر، و تمرد عليه جيشه و ليس باستطاعته ان يعمل شيئا، و قد أدلى (ع) بما منى به، بقوله:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۰

«لقد كنت أمس أميرا، فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت أمس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا ..».

التحكيم:

و لم تقف محنة الامام و بلاؤه فى جيشه المتمرد الى هذا الحد من العصيان و الخذلان و انما تجاوز الأمر الى أكثر من هذا، فقد أصر

المتمردون بقيادة الأشعث بن قيس على انتخاب أبى موسى الأشعرى الذى هو من ألد اعداء الامام و أكثرهم حقدا عليه، و انما ألحوا على انتخابه لعلمهم بأنه سيعزل الامام عن الحكم و ينتخب غيره ممن يحقق أطماعهم، و قد احتف هؤلاء العصاة بالامام، و هم يهتفون: «إنا رضينا بأبى موسى الأشعرى».

و زجرهم الامام، و نهاهم عن انتخابه قائلا:

«انكم قد عصيتمونى فى أول الأمر، فلا تعصونى الآن، إنى لا أرى أن أولى أبا موسى».

و أصروا على غيهم و عنادهم قائلين:

«لا نرضى الا به، فما كان يحذرنا وقعنا فيه».

و أخذ الامام يدلى عليهم واقع أبى موسى و انحرافه عنه قائلا:

«إنه ليس لى بثقة، قد فارقنى و خذل الناس عنى، ثم هرب عنى حتى آمنته بعد أشهر، و لكن هذا ابن عباس نوليه ..».

و امتنعوا من ترشيح ابن عباس، فأرشدهم ثانيا الى انتخاب مالك الأشتر فرفضوه و أصروا على انتخاب الأشعرى، و لم يجد الامام بعد هذا بدا من الرضا و الإذعان.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۱

وثيقة التحكيم:

و اتفق الفريقان على أن يحكموا ابن العاص من قبل أهل الشام، و أبا موسى الأشعرى من قبل العراقيين، و قد كتبوا صحيفة سجلوا فيها ما اتفقوا عليه من الأخذ بما يتفق عليه الحكمان، و هذا نصها كما رواها الطبرى:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب، و معاوية بن أبى سفيان، قاضى على على أهل الكوفة، و من معهم من شيعتهم من المؤمنين و المسلمين، و قاضى معاوية على أهل الشام و من كان معهم من المؤمنين و المسلمين إنا ننزل عند حكم اللّه عز و جل و كتابه، و لا يجمع بيننا غيره، و ان كتاب اللّه عز و جل من فاتحته الى خاتمته نحيى ما أحيا، و نميت ما أمات، فما وجد الحكمان فى كتاب اللّه عز و جل، و هما أبو موسى الأشعرى عبد اللّه بن قيس، و عمرو بن العاص القرشى عملا به، و ما لم يجدا فى كتاب اللّه عز و جل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة، و أخذ الحكمان من على و معاوية و من الجندين من العهود و الميثاق و الثقة من الناس انهما آمنان على أنفسهما و أهلهما، و الأمة لهما انصار على الذى يتقاضيان عليه، و على المؤمنين و المسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد اللّه و ميثاقه، العمل على ما فى هذه الصحيفة، و ان قد وجبت قضيتهما على المؤمنين، فان الامن و الاستقامة و وضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم و أهليهم و أموالهم و شاهدهم، و غائبهم، و على عبد اللّه بن قيس، و عمرو بن العاص عهد اللّه و ميثاقه ان يحكما بين هذه الامة، و لا يرداها فى حرب و لا فرقة حتى يعصيا، و أجل القضاء الى رمضان، و ان أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۲

تراض منهما، و إن توفى أحد الحكمين فان أمير الشيعة يختار مكانه، و لا يألوا من أهل المعدلة و القسط، و ان مكان قضيتهما الذى يقضيان فيه مكان عدل بين أهل للكوفة و أهل الشام، و ان رضيا و أحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أرادا، و يأخذ الحكمان من أرادا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة، و هم أنصار على من ترك ما فى هذه الصحيفة و أراد فيه إلحادا و ظلما اللهم انا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفة» «۱».

و وقع عليها طائفة من الفريقين، و أصبحت نافذة المفعول، و قد حققت آمال معاوية و أنقذته من الأخطار التى كادت ان تطوى حياته، و تقضى على أتباعه.

و الشيء المهم في هذه الوثيقة انها اهملت المطالبة بدم عثمان فلم تعرض لا بقليل و لا بكثير و انما كانت تنشد ايقاف الحرب، و نشر السلم و العافية بين الفريقين، و فيما اعتقد انها كتبت و لم يكن للامام فيها أي رأي، فقد خلى بين جيشه و بين ما يريدون

رجوع الامام للكوفة:

و غادر الامام صفين متجها الى الكوفة، و لا اعتقد أن يلم كاتب بتصوير المحنة الكبرى التي المت بالامام، فقد رجع مثقلا بالهموم يرى باطل معاوية قد استحكم و أمره قد تم، و ينظر الى جيشه اصبح متمردا يدعوه فلا يستجيب، و يأمره فلا يطيع قد مزقت الفتنة جميع كتائبه، فقد كانوا فيما يقول المؤرخون يتشاتمون، و يتضاربون بالسياط، و يبغي بعضهم على بعض، و اخطر ما حدث فيه انبثاق الفكرة الحرورية التي سنتحدث

---

(۱) تاريخ الطبري ۶/ ۳۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۷۳

عنها فانها كانت سوسة تنخر في المعسكر العراقي و اهم من اي خطر داهم عليه، فقد اخذت تعمل على تفلل وحدة جيش الامام و تذيع الفتنة و الخوف بين صفوفه.

و دخل الامام الكوفة فرأى لوعة و بكاء قد سادت في جميع ارجائها حزنا على من قتل منها في صفين فإن قتلى صفين بالقياس الى قتلى الجمل كانوا اضعافا اضعافا.

مع المارقين:

اشارة

و يقول الرواة إن النبي (ص) سمى أهل النهروان بالمارقين، و انه قد عهد الى الامام امير المؤمنين (ع) بقتالهم كما عهد إليه بقتال الناكثين و القاسطين من بعده.

و الظاهرة البارزة في اتجاهات الخوارج هي الالتواء في السلوك، و الاصرار على الجهل و العناد، فقد بنوا واقعهم على التعصب و عدم التدبر و الامعان في حقائق الامور، و قد كان شعارهم الذي تفانوا في سبيله و قدموا له المزيد من الضحايا «لا حكم الا للّه» و لكنهم لم يلبثوا أن جعلوا الحكم للسيف فنشروا الارهاب و الخوف و الفساد في الارض كما سنذكر ذلك و على اي حال فان الامام لما نزح من صفين الى الكوفة لم يدخلوا إليها، و انما انحازوا الى (حروراء) فنسبوا إليها، و كان عددهم فيما يقول المؤرخون اثنى عشر الفا، و قد جعلوا اميرهم على القتال شبث بن ربعي و على الصلاة عبد اللّه الكواء اليشكري، و خلعوا الامام عن الخلافة، و جعلوا الامر شورى بين المسلمين.

و التاع الامام من تمردهم فاوفد للقياهم عبد اللّه بن عباس، و أمره

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۷۴

ان لا يخوض معهم في ميدان الخصومة و النزاع حتى يأتيه الا انه لم يجد بدا من الحوار معهم و بينما هو يحاورهم إذ اطل عليهم الامام فنهى ابن عباس عن مناظرتهم، و اقبل عليهم فقال لهم:

اللهم إن هذا مقام من أفلج فيه كان اولى بالفلج يوم القيامة، و من نطق و أوعث فيه فهو في الآخرة اعمى و اضل سبيلا، ثم قال لهم:

- من زعيمكم؟

- ابن الكواء!

- ما اخرجكم علينا؟

- حكومتكم يوم صفين

- أنشدكم باللّه، أ تعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم نجيبهم الى كتاب اللّه، قلت لكم: إنى اعلم بالقوم منكم، انهم ليسوا باصحاب دين، و لا قرآن، انى صحبتهم و عرفتهم اطفالا و رجالا، فكانوا شر اطفال، و شر رجال، امضوا على حقكم، و صدقكم، فانما رفع القوم هذه المصاحف خديعة، و دهنا و مكيدة، فرددتم علىّ رأيى، و قلتم لا- بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولى لكم، و معصيتكم اياى، فلما أبيتم الا- الكتاب اشترطت على الحكمين ان يحييا ما احيا القرآن، و أن يميتا ما امات القرآن، فان حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف حكما يحكم بما فى القرآن، و أن ابيا فنحن من حكمهما برآء»

و ابطلت هذه الحجة النيرة جميع اوهامهم، فهم المسئولون عن التحكيم، كما هم مسئولون عن كل ما حدث من الفتنة و الفساد و ليس للامام ظلع فى ذلك، و ايقنوا ان الذنب ذنبهم و ليس على الامام أى تبعة فى ذلك فقالوا له.

- اتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء؟

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۵

- لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن، و هذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق و انما يتكلم به الرجال.

- خبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك و بينهم؟

- ليعلم الجاهل، و يثبت العالم، و لعل اللّه يصلح فى هذه الهدنة هذه الأمة.

و سد عليهم الامام كل نافذة ينفذون منها، و وجد منهم تقاربا و اذعانا لمقالته، فخاطبهم بناعم القول:

«ادخلوا مصركم رحمكم اللّه.»

فأجابوه الى ذلك، و رحلوا عن آخرهم معه الى الكوفة، الا انهم بقوا مصرين على فكرتهم يذيعونها بين البسطاء، حتى شاع أمرهم، و قويت شوكتهم و اخذوا ينشرون الخوف و الارهاب، و يدعون الى البغى، و عزل الامام و جعل الأمر شورى بين المسلمين «۱»

اجتماع الحكمين:

و انتهت المدة التى عينها الفريقان للتحكيم، و قد استرد معاوية قواه التى فقدها ايام صفين، و استحكم أمره، و قد ارسل الى الامام يطلب منه الوفاء بالتحكيم، و انما سارع الى ذلك لعلمه بما منى به جيش الامام من الفرقة و الخلاف، ثم هو على علم بأن النتيجة ستكون من صالحه لأن المنتخب للتحكيم هو ابو موسى الأشعرى، و هو على علم بانحرافه عن الامام و اشخص الامام أبا موسى الاشعرى الى التحكيم، و ارسل اربعمائة من اصحابه جعل عليهم شريح بن هانى، و عبد اللّه بن عباس يصلى بهم، و التقى

---

(۱) حياة الامام الحسن ۱/ ۴۶۹- ۴۷۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۶

الحكمان الضالان على حد تعبير النبى (ص) «۱» فى دومة الجندل او فى اذرح، و يقول المؤرخون إن ابن العاص لم يفتح الحديث مع الاشعرى ثلاثة ايام، فقد افرد له مكانا خاصا، و جعل يقدم له اطائب الطعام و الشراب حتى استبطنه و ارشاه، و لما ايقن انه صار العوبة بيده اخذ يضفى عليه النعوت الحسنة و الالقاب الكريمة حتى ملك مشاعره و عواطفه فقد قال له:

«يا أبا موسى انك شيخ اصحاب محمد (ص) و ذو فضلها، و ذو سابقتها، و قد ترى ما وقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التى لا بقاء معها، فهل لك ان تكون ميمون هذه الأمة فيحقن اللّه بك دماءها فإنه يقول: فى نفس واحدة و من احياها فكأنما احيا الناس

جميعا، فكيف بمن احيا هذا الخلق كله.»

و متى كان الاشعرى شيخ صحابة النبى (ص) و من ذوى الفضائل و السوابق فى الاسلام؟ و انخدع الاشعرى بهذه الكلمات المعسولة فطفق يسأل ابن العاص عن سبل الاصلاح و حقن الدماء، فأجابه ابن العاص:

«تخلع أنت على بن ابى طالب، و أخلع أنا معاوية بن أبى سفيان و نختار لهذه الأمة رجلا لم يحضر فى شىء من الفتنة، و لم يغمس يده فيها ..»

فبادر ابو موسى يسأل عن الرجل الذى لم ينغمس فى الفتنة قائلا:

---

(۱) روى سويد بن غفلة قال: كنت مع أبى موسى الاشعرى على شاطئ الفرات فى خلافة عثمان فروى لى خبرا عن رسول اللّه (ص) قال: سمعته يقول: ان بنى اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا و أضلا من اتبعهما، و لا تنفك أمر أمتى حتى يبعثوا حكمين يضلان، و يضلان من اتبعهما، فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما، قال: فخلع قميصه و قال: ابرأ الى اللّه من ذلك كما برأ قميصى من هذا. جاء ذلك فى شرح النهج ۱۳/ ۳۱۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۷

«من يكون ذلك؟»

و كان ابن العاص قد عرف ميول الاشعرى و اتجاهاته نحو عبد اللّه ابن عمر فقال له:

«انه عبد اللّه بن عمر»

و سرّ الاشعرى بذلك و اندفع يطلب منه العهود على الالتزام بما قاله «كيف لى بالوثيقة منك؟»

«يا أبا موسى الا بذكر اللّه تطمئن القلوب، خذ من العهود و المواثيق حتى ترضى ..»

و لم يبق يمينا الا اقسم على الالتزام بما قاله، و ايقن الاشعرى بمقالة ابن العاص فأجابه بالرضا و القبول و عينا وقتا خاصا يذيعان فيه ما اتفقا عليه.

و اقبلت الساعة الرهيبة التى كانت تنتظرها الجماهير بفارغ الصبر، و اقبل الماكر ابن العاص مع زميله الاشعرى الى منصة الخطابة ليعلنا للناس ما اتفقا عليه، و اتجه ابن العاص نحو الاشعرى فقال له:

- قم فاخطب الناس يا أبا موسى.

- قم أنت فاخطبهم.

و راح ابن العاص يخادع الاشعرى قائلا له:

«سبحان اللّه أنا أتقدمك!! و أنت شيخ اصحاب رسول اللّه، و اللّه لا فعلت ذلك أبدا ...»

و داخل الاشعرى العجب بنفسه من هذه الالقاب الفخمة التى اضفاها عليه ابن النابغة، و طلب الخامل المخدوع من ابن العاص الايمان أن يفى له بما قال، فاقسم له على الوفاء بما اتفقا عليه، «۱» و لم تخف هذه

---

(۱) العقد الفريد ۳/ ۳۱۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۸

الخديعة على حبر الامة عبد اللّه بن عباس فالتفت الى الاشعرى يحذره من مكيدة ابن العاص قائلا له:

«ويحك و اللّه إنى لأظنه قد خدعك، إن اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الامر قبلك، ثم تكلم أنت بعده، فان عمرو رجل غادر لا آمن من أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك و بينه، فإذا قمت فى الناس خالفك ..»

و لم يعن الغبى بابن عباس، و انما راح يشتد نحو منصة الخطابة، فلما استوى عليها حمد اللّه و اثنى عليه، و صلى على النبى (ص) ثم قال:

«أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الامن و الصلاح و لم الشعث، و حقن الدماء، و جمع الالفة، خلعنا عليا و معاوية و قد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه «و اهوى الى عمامته فخلعها» و استخلفنا رجلا قد صحب رسول اللّه (ص) بنفسه، و صحب ابوه النبى (ص) فبرز فى سابقته، و هو عبد اللّه بن عمر ...» «۱»

اف للزمان و تعسا للدهر أن يتحكم فى المسلمين أمثال هؤلاء الصعاليك الذين ران الجهل على قلوبهم

لقد عزل الاشعرى الامام امير المؤمنين حكيم هذه الامة، و رائد العدالة الكبرى فى الارض، الذى طوق الدين بعبقرياته و مواهبه، لقد جعل الاشعرى قيادة الأمة بيد عبد اللّه بن عمر و هو لا يحسن طلاق زوجته- على حد تعبير أبيه- انها من مهازل الزمن التى تمثلت على مسرح الحياة العامة فى ذلك العصر الذى اخمدت فيه اضواء العقل، و راح الانسان يسير خلف رغباته و ميوله.

و على أى حال فقد انبرى الخاتل الماكر ابن العاص الى منصة الخطابة

---

(۱) الطبرى ۶/ ۳۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۷۹

فحمد اللّه و اثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس ان أبا موسى عبد اللّه بن قيس خلع عليا، و أخرجه من هذا الأمر الذى يطلب، و هو اعلم به، الا و انى خلعت عليا معه، و اثبت معاوية على و عليكم، و ان أبا موسى، قد كتب فى الصحيفة «۱» ان عثمان قد قتل مظلوما شهيدا و ان لوليه أن يطلب بدمه حيث كان، و قد صحب معاوية رسول اللّه بنفسه، و صحب ابوه النبى (ص) ثم اخذ يثنى على معاوية، و يصفه بما هو ليس اهلا له ثم قال: هو الخليفة علينا و له طاعتنا و بيعتنا على الطلب بدم عثمان ..» «۲»

و اشتد الاشعرى نحو ابن العاص بعد ما غدر به و نكث عهده فصاح به.

«مالك عليك لعنة اللّه! ما أنت إلا كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث و ان تتركه يلهث»

فزجره ابن العاص:

«لكنك مثل الحمار يحمل أسفارا».

و صدق كل منهما فى وصف صاحبه، لقد جر هذا التحكيم الى الأمة كثيرا من المصاعب و الفتن، و أخلد لها الخطوب و الويلات.

و ماج العراقيون فى الفتنة، و أيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، و انهزم الأشعرى نحو مكة يصحب معه العار و الخزى له و لذريته «۳»، فقد غدر فى

---

(۱) و هى غير الصحيفة التى تم عليها ايقاف القتال.

(۲) أنساب الأشراف ج ۱ ق ۱ الامامة و السياسة ۱/ ۱۴۳.

(۳) لقد كان الناس يحقرون ذرية ابى موسى، و يسخرون منهم فقد سمع الفرزدق أبا بردة بن ابى موسى يقول: كيف لا اتبختر، و أنا ابن أحد الحكمين، فرد عليه الفرزدق قائلا: اما احدهما فمائق و أما الآخر

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۸۰

المسلمين غدرة منكرة، و أكثر شعراء ذلك العصر فى هجاء الكوفيين و هجاء الأشعرى يقول أيمن بن خريم الأسدى:

لو كان للقوم رأى يعصمون به‌من الضلال رموكم بابن عباس

للّه در أبيه أيما رجل‌ما مثله لفصال الخطب فى الناس

لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن‌لم يدر ما ضرب اخماس لأسداس

ان يخل عمرو به يقذفه فى لجج‌يهوى به النجم تيسا بين أتياس

أبلغ لديك عليا غير عاتبه‌قول امرئ لا يرى بالحق من بأس

ما الأشعرى بمأمون أبا حسن‌فاعلم هديت و ليس العجز كالرأس

فاصدم بصاحبك الأدنى زعيمهم‌ان ابن عمك عباس هو الآسى «۱» و ظفر معاوية بالنصر، فقد عاد إليه أهل الشام يسلمون عليه بامرة المؤمنين، و أما الامام أمير المؤمنين (ع) فقد أغرق جيشه فى الفتنة و الفرقة و الخلاف، فجعل بعضهم يتبرأ من بعض، و قد شاع فيهم الخلاف، و عرفوا وبال ما جنت أيديهم، فخطب الامام الحسن خطابا مسهبا دعاهم فيه الى الألفة و المودة، و كذلك خطب فيهم عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه ابن جعفر، و قد شجبا فى خطابهما التحكيم و دعا الناس الى الطاعة و نبذ الخلاف «۲» و قد استجاب لهم بعض الناس، و أصر آخرون على التمرد و العصيان.

و لما انتهى خبر التحكيم الى الامام بلغ به الحزن أقصاه فجمع الناس و خطبهم خطابا مؤثرا صعد فيه آلامه و أحزانه على مخالفة أوامره فى ايقاف

ففاسق فكن ابن ايهما شئت، جاء ذلك فى شرح النهج ۱۹/ ۳۵۳، و نظر رجل الى بعض ولد أبى موسى يختال فى مشيته فقال الا ترون مشيته؟! كأن أباه خدع عمرو بن العاص

(۱) حياة الامام الحسن ۱/ ۵۲۹

(۲) أنساب الأشراف ج ۱ ق ۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۸۱

القتال، و الاستجابة لنداء عدوه الذى قضى فيه على ما احرزوه من الفتح و النصر، يقول (ع):

«الحمد للّه و إن أتى الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجليل، و أشهد أن لا إله إلا اللّه، و ان محمدا عبده و رسوله. اما بعد. فإن مخالفة الناصح الشفيق المجرب تورث الحسرة، و تعقب الندم، و قد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين، و هذه الحكومة بأمرى، و نخلت لكم رأيى لو يطاع لقصير رأى. و لكنكم أبيتم الا ما أردتم: فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن.

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى‌فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد الا ان الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم الكتاب وراء ظهورهما و ارتأيا الرأى من قبل انفسهما فأماتا ما أحيا القرآن و أحييا ما أمات القرآن.

ثم اختانا فى حكمهما فكلاهما لا يرشد و لا يسدد فبرئ اللّه منها و رسوله و صالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد، و تأهبوا للمسير، و اصبحوا فى معسكركم يوم الأثنين ان شاء اللّه ..» «۱»

و تهيأت قواته المسلحة الى السفر فى الموعد الذى ضربه لها، و كتب الى أهل البصرة يدعوهم الى نصرته فالتحقت به كتائب من الجيش.

تمرد المارقين:

و سافر الامام بأصحابه يريد الشام، و لكنه لم يلبث حتى وافاته الانباء بتمرد الخوارج و فسادهم، و انهم عادوا الى فكرتهم، و يقول المؤرخون ان جماعة منهم خرجوا من الكوفة و التحق بهم اخوانهم من اهل البصرة، و ساروا جميعا الى النهروان فاقاموا فيه و أخذوا يعيثون فى الأرض فسادا،

(۱) انساب الاشراف ج ۱ ق ۱

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸۲

فاستحلوا دماء المسلمين، و قالوا بكفرهم، و اجتاز عليهم الصحابي عبد اللّه بن خباب بن الأرت، فتصدوا له فسألوه عن اسمه فأخبرهم به، ثم سألوه عن انطباعاته الخاصة عن الامام امير المؤمنين فاثنى عليه فاستشاطوا غضبا فانبروا إليه فاوثقوه كتافا، و اقبلوا به و بامرأته و كانت حبلى قد اشرفت على الولادة فجاءوا بهما تحت نخل، فسقطت رطبة منها فبادر بعضهم إليها فوضعها في فيه فانكروا عليه فألقاها من فمه، و اخترط بعضهم سيفا فضرب به خنزيرا لاهل الذمة فقتله فصاح به بعضهم ان هذا من الفساد في الأرض، فبادر الرجل الى الذمي فارضاه فلما نظر عبد اللّه الى احتياطهم في الأموال قال لهم:

«لئن كنتم صادقين فيما ارى ما على منكم بأس، و اللّه ما أحدثت حدثا في الاسلام و اني لمؤمن، و قد آمنتموني و قلتم لا روع عليك».

فلم يعنوا به، و عمدوا إليه فاقبلوا به الى الخنزير الذي قتلوه فوضعوه عليه، و ذبحوه، و اقبلوا على امرأته، و هي ترتعد من الخوف فقالت لهم مسترحمة:

«إنما أنا امرأة أ ما تتقون اللّه؟»

و لم تلن قلوبهم التي طبع عليها الزيغ، فذبحوها و بقروا بطنها، و عمدوا الى ثلاثة نسوة فقتلوهن، «۱» و فيهن أم سنان الصيداوية و كانت قد صحبت النبي (ص)، و جعلوا يذيعون الذعر، و ينشرون الفساد في الارض.

و أوفد لهم الامام الحرث بن مرة العبدي يسألهم عن هذا الفساد الذي احدثوه و يطلب منهم ان يسلموا إليه الذين استحلوا قتل الأنفس التي حرم اللّه ازهاقها بغير الحق، و لم يكد الرسول يدنو منهم حتى قتلوه و لم يدعوه يدلي بما جاء به.

(۱) انساب الاشراف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸۳

قتال المارقين:

و كره اصحاب الامام أن يسيروا الى الشام، و يتركوا من ورائهم الخوارج يستبيحون أموالهم و اعراضهم من بعدهم فطلبوا من الامام أن ينهض بهم لمناجزتهم فاذا فرغوا منهم تحولوا الى حرب معاوية، فاجابهم الامام الى ذلك و سار بهم حتى اتى النهروان فلما صار بازاء الخوارج، ارسل إليهم يطلب منهم قتلة عبد اللّه بن خباب و من كان معه من النسوة، كما طلب منهم قتلة رسوله الحرث بن مرة، ليكف عنهم و يمضي الى حرب معاوية، ثم ينظر في امورهم فاجابوه.

«ليس بيننا و بينك الا السيف الا ان تقر بالكفر و تتوب كما تبنا!» فالتاع الامام منهم و انطلق يقول:

«ابعد جهادي مع رسول اللّه، و ايماني أشهد على نفسي بالكفر؟

لقد ضللت إذا و ما انا من المهتدين ..» «۱»

و جعل الامام يعظهم تارة و يراسلهم أخرى فجعل كثير منهم يتسللون، و يعودون الى الكوفة، و قسم منهم التحق بالامام، و فريق ثالث اعتزل الحرب، و لم يبق الا ذو الثفنات عبد اللّه بن وهب الراسبي زعيم الخوارج، و معه ثلاثة آلاف.

و لما يئس الامام من ارشادهم عبأ جيشه، و أمر بأن لا يبدءوهم بقتال حتى يقاتلوهم، و لما نظر الخوارج الى تهيئة الامام تهيئوا للحرب، و كانت قلوبهم تتحرق شوقا الى القتال تحرق الظمآن الى الماء و هتف بعضهم «هل من رائح الى الجنة» فتصايحوا جميعا

«الرواح الى الجنة» ثم حملوا حملة منكرة على جيش الامام، و هم يهتفون بشعارهم «لا حكم الا للّه» فانفرجت

---

(۱) انساب الاشراف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸۴

لهم خيل الامام فرقين، فرق يمضى الى الميمنة، و فرق يمضى الى الميسرة، و الخوارج يندفعون بين الفرقين، و لم تمض الا ساعة حتى قتلوا عن آخرهم، و لم يفلت منهم الا تسعة «۱»

و لما وضعت الحرب أوزارها طلب الامام من اصحابه أن يلتمسوا له ذا الثدية فى القتلى ففتشوا عنه فلم يظفروا به، فعادوا إليه يخبرونه بعدم ظفرهم به فأمرهم ثانيا أن يبحثوا عنه قائلا: «و اللّه ما كذبت و لا كذبت و يحكم التمسوا الرجل فانه فى القتلى» فانطلقوا يبحثون عنه، فظفر به رجل من اصحابه، و كان قد سقط قتيلا فى ساقية فمضى يهرول فأخبر الامام به فلما سمع النبأ خرّ ساجدا هو و من معه من اصحابه ثم رفع رأسه و هو يقول:

«ما كذبت، و لا كذبت و لقد قتلتم شر الناس ..»

و اخذ الامام يحدث اصحابه بما سمعه من النبى (ص) فيه انه قال:

«سيخرج قوم يتكلمون بكلام الحق لا يجاوز حلوقهم يخرجون من الحق خروج السهم- أو مروق السهم- ان فيهم رجلا مخدج اليد، فى يده شعرات سود، فان كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ... و أمر الامام بإحضار جثته فأحضرت له فكشف عن يده، فاذا على منكبه ثدى كثدى المرأة، و عليها شعرات سود تمتد حتى تحاذى بطن يده الأخرى، فاذا تركت عادت الى منكبه، فلما رأى ذلك خرّ للّه ساجدا، ثم عمد الامام الى القتلى من الفريقين فدفنهم و قسم بين اصحابه سلاح الخوارج، و دوابهم و رد الامتعة و العبيد الى اهليهم، كما فعل ذلك باصحاب الجمل.

و انتهت بذلك حرب النهروان التى تفرعت من واقعة صفين، و قد

---

(۱) الملل و النحل ۱/ ۱۵۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸۵

اسفرت عن تشكيل حزب ثورى عنيف ظهر فى الاسلام، و هو حزب الحرورية الذى أخذ على نفسه التمرد على الحكومات القائمة فى البلاد الاسلامية و محاربتها بشكل سافر مما ادى الى اراقة الدماء، و اشاعة الفتنة و الخلاف فى كثير من تلك العصور.

لقد كان البارز فى الانظمة الدينية للخوارج هو الحكم بكفر كل من لا يدين بفكرتهم من المسلمين، و استباحة دمائهم و اموالهم، و فيما أحسب ان اكثر الجرائم المريعة التى صدرت فى معركة كربلا تستند الى هؤلاء الممسوخين الذين سلبت عنهم كل نزعة انسانية، فقد تأثر الكثيرون من ذلك الجيش باخلاقهم فاندفعوا الى الجريمة بابشع صورها و الوانها.

مخلفات الحرب:

اشارة

و اعقبت تلك الحروب اعظم المحن و اشدها هولا، و لم يمتحن الامام بها وحده، و انما امتحن بها العالم الاسلامى، فقد اخلدت له الفتن، و جرت له الكثير من الويلات و الخطوب، و لعل اعظم ما عاناه منها ما يلى:

انتصار معاوية:

و اتاحت الفرص لمعاويـة بعد تلك الأحداث أن يعلن نفسه لأول مرة بأنه المرشح للخلافة بعد أن كان حاكما على اقليم الشام، و راح يعلن انتصـاره على الامـام و تغلبه عليه بقوله: «لقـد حاربت عليا بعـد صـفين بغير جيش و لا عناء أو لا عتادا «۱» و اما الامام فقد اصـبح بمعزل عن السلطات السياسية

---

(۱) انساب الاشراف ج ۱ ق ۱ ص ۲۰۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸۶

و العسكرية، فكان يدعو فلا يسمع لدعوته، و يقول فلا يلتفت الى قوله

لقـد ادت تلك الحروب الى تحول الخلافة الاسـلامية الى حكم قيصـرى لا ظل فيه لحكم الاسـلام، و منطق القرآن، فقد آل الأمر الى معاوية، فاتخذ مال اللّه دولا، و عباد اللّه خولا، و ارغم المسلمين على ما يكرهون.

تفلل جيش الامام:

و تفللت جميع القوات العسـكرية فى جيش الامام، و شاعت الفرقـة و الاختلاف فيما بينها، خصوصا بعـد واقعـة النهروان، فقـد انحطت معنويات الجيش يقول البلاذرى ان معاويـة ارسل عمارة بن عقبـة الى الكوفـة ليتجسـس له عن حالة جيش الامام، فكتب له خرج على على اصـحابه، و نسـاكهم فسار إليهم فقتلهم، فقـد فسـد عليه جنـده و أهل مصـره، و وقعت بينهم العـداوة، و تفرقوا أشـد الفرقـة، فقال معاويـة للوليـد بن عقبة: أ ترضـى أخوك بأن يكون لنا عينا- و هو يضـحك- فضـحك الوليد و قال: إن لك فى ذلك حظا و نفعا، و قال الوليد لأخيه عمارة:

إن يك ظنى يا ابن أمى صادقاعمارة لا يطلب بذ حل و لا وتر

مقيم و اقبال ابن عفان حوله‌يمشى بها بين الخورنق و الجسر

و تمشى رخى البال منتشر القوى‌كأنك لم تشعر بقتل ابن عمرو «۱» لقد منى جيش الامام بالفتنة و الخلاف، و لم يكن باستطاعة الامام بمـا يملك من طاقات خطابيـة هائلـة أن يرجع إليهم حوازب احلامهم، و يقضـى على عناصـر الشـغب و التمرد التى اصـبحت من ابرز ذاتياتهم.

و مما زاد فى تمرد الجيش ان معاوية راسل جماعة من زعماء العراق

---

(۱) انساب الاشراف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۸۷

البـارزين كالاشـعث بن قيس فمنـاهم بالامـوال، و وعـدهم بالهبـات و المنـاصب اذا قـاموا بعمليـات التخريب فى جيش الامام و شـعبه فاسـتجابوا إليه فقـاموا بـدورهم فى اشاعـة الاـراجيف، و تضـليل الرأى العام، و بث روح التفرقـة و الخلاف بين الناس «۱» و قـد اثرت دعايتهم تأثيرا هائلا فى اوساط ذلك الجيش، فقد خلعوا طاعة الامام، و عمدوا الى عصيانه.

لقد كانت الاكثرية الساحقة فى معسـكر الامام لهم رغباتهم الخاصة التى تتنافى مع مصـلحة الدولة، و غايات رئيسها فى حين أن شعب الشام كان على العكس من ذلك يقول الحجاج بن خزيمـة لمعاويـة: «انك تقوى بدون ما يقوى به على لأن معك قوما لا يقولون اذا سكت، و يسكتون اذا نطقت، و لا يسألون اذا امرت و مع على قوم يقولون اذا قال: و يسألون اذا سكت» «۲»

احتلال مصر:

و لم تقف محنة الامام و بلاؤه عند حد، و انما اخذت تتابع عليه المحن، و هى كأشد ما تكون هولا، فإنه لم يكد ينتهى من مناجزة المارقين حتى ابتلى فى امر دولته فقد أخذ معاوية يحتل اطرافها، و يغير على بعضها، و يشيع فيها الخوف و الارهاب فقد ايقن بتخاذل جيش الامام، و ما منى به من الفرقة و الاختلاف، و قد اجمع رأيه على احتلال مصر التى هى قلب البلاد العربية، و قد جعلها طعمة الى وزيره و بانى دولته عمرو بن العاص ليتمتع وحده بخيراتها.

و كان الامام قد ولى على مصر الزعيم الكبير قيس بن سعد الانصارى

---

(۱) انساب الاشراف

(۲) الاخبار الطوال (ص ۱۵۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۸۸

الذى كان من المع الشخصيات الاسلامية فى حسن سياسته و عمق تفكيره و بعد نظره، و قد ساس المصريين أيام المحنة سياسة عدل و حق، و قضى على الاضطرابات الداخلية، و نشر المحبة و الالفة فيها، و قد عزله الامام عنها و ولى مكانه الطيب محمد بن أبى بكر، فاضطرب أمر مصر، و ظهرت الدعوة العثمانية فيها فعزل الامام محمدا عنها و ولى مكانه مالك الأشتر النخعى الذى هو من انصح الناس للامام و اكثرهم اخلاصا له الا انه لم يكد ينتهى الى (القلزم) حتى مات و اجمع المؤرخون على ان معاوية قد اغوى صاحب الخراج فى (القلزم) فدس إليه سما فى شربة من عسل فمات بها، و كان معاوية و صاحبه ابن العاص يتحدثان بعد ذلك، و يقولان: إن للّه جنودا من عسل.

و جهز معاوية جيشا لاحتلال مصر، و أمرّ عليه ابن العاص، و لما علم الامام ذلك أقر محمدا على مصر، و وعده بأن يمده بالجيش و المال، و اخذ يدعو أهل الكوفة لنجدة اخوانهم فى مصر، فلم يستجيبوا له، و جعل الامام يلح عليهم و يطلب منهم النجدة فاستجاب له جند ضئيل كأنما يساقون الى الموت فارسلهم الى مصر، و لكنه لم يلبث ان وافته الانباء بان ابن العاص قد احتل مصر، و ان عامله محمدا قد قتل و أحرقت جثته فى النار، فرد جنده، و خطب أهل الكوفة خطابا مثيرا ندد بهم، و نعى عليهم تخاذلهم و خور عزائمهم.

و على اى حال فان احتلال مصر قد قوى شوكة معاوية، و دفعه الى ان يغزو اهل العراق فى عقر دارهم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۸۹

الغارات:

اشارة

و لم يقنع معاوية بما احرزه من النصر فى احتلاله لمصر، و انما راح يشيع الذعر و الهلع فى البلاد الخاضعة لحكم الامام ليشعر اهلها بأن عليا قد ضعف سلطانه، و انه لا يتمكن على حمايتهم ورد الاعتداء عنهم، و قد شكل قطعا من جيوشه، و عهد إليها ان تتوغل فى البلاد، و تشيع فيها الفساد و القتل، و قد ولى عليها جماعة من السفاكين الذين تمرسوا فى الجرائم، و تجردوا من كل نزعة انسانية، و عهد لكل واحد منهم ان يقتل كل من كان شيعة للامام، و يغير على جهة خاصة بسرعة خاطفة، و نعرض- بايجاز- الى بعض تلك الغارات.

الغارة على العراق:

اشارة

و شكل معاوية اربع قطع للغارة على اطراف العراق و داخله ليملأ قلوب العراقيين فزعا و خوفا حتى لا يستجيبوا للجهاد اذا دعاهم الامام إليه، و هذه بعض المناطق العراقية التى غار عليها.

۱- عين التمر:

و ارسل معاوية النعمان بن بشير الانصارى فى الف رجل الى عين التمر، و كان فيها مالك بن كعب، و معه كتيبة من الجيش تبلغ الف رجل الا انه لم يعلم يغزو اهل الشام له، فاذن لجنده باتيان اهلهم فى الكوفة و بقى فى مائة رجل، و لما دهمه جيش معاوية قاومه مقاومة باسلة، و توجهت

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۰

له نجدة تبلغ خمسين رجلا فلما رآهم النعمان فزع و ولى هاربا فقد ظن ان لهم مددا و لما بلغت الامام انباء هذه الغارة قام خطيبا فى جيشه يدعوهم الى نجدة عامله فقال (ع):

«يا أهل الكوفة كلما اطلت عليكم سرية و أنا كم منسر من مناسر أهل الشام اغلق كل امرئ منكم بابه قد انحجر فى بيته انحجار الضب فى جحره و الضبع فى و جارها، الذليل و اللّه من نصرتموه، و من رضى بكم رمى بافوق ناصل، فقبحا لكم و ترحا، و قد ناديتكم، و ناجيتكم، فلا احرار عند اللقاء، و لا اخوان «۱» عند النجا، قد منيت منكم بصم لا يسمعون، و بكم لا يعقلون، و كمه لا يبصرون» «۲»

۲- هيت:

و وجه معاوية للغارة على هيت سفيان بن عوف و ضم إليه ستة آلاف، و أمره ان يأتى بعد الغارة عليها الى الانبار و المدائن فيوقع بأهلها، و سار بجيشه الى هيت فلم يجد بها أحدا فانعطف نحو الانبار، فوجد بها مسلحة للامام تتكون من مائتى رجل فقاتلهم و قتل اشرس بن حسان البكرى مع ثلاثين رجلا من اصحابه، ثم نهبوا ما فى الانبار من اموال، و توجهوا الى معاوية، و هم مسرورون بما احرزوه من النصر، و بما نهبوه من الاموال «۳» و بلغت انباء الانبار عليا فأثارته الى حد بعيد، و بلغ به الغيظ اقصاه، و كان عليلا لا يمكنه الخطاب فكتب كتابا قرأ على الناس، و قد ادنى من السدرة ليسمع القراءة «۴» و هذا نصه:

---

(۱) فى الطبرى «و لا اخوان ثقة»

(۲) انساب الاشراف

(۳) تاريخ ابن الاثير ۳/ ۱۸۹

(۴) انساب الاشراف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۱

«اما بعد: فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه البس ثوب الذلة، و شمله البلاء، و ديث بالصغار، و سيم الخسف، و منع النصف، و قد دعوتكم الى جهاد هؤلاء القوم ليلا و نهارا و علانية و سرا، و أمرتكم أن تغزوهم قبل ان يغزوكم فانه ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا، فتواكلتم و تخاذلتم، و ثقل عليكم قولى، و عصيتم أمرى و أتخذتموه وراءكم ظهريا، حتى شنت عليكم الغارات من كل ناحية، هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار فقتل ابن حسان البكرى، و أزال مسالحكم عن مواضعها و قتل منكم رجالا صالحين، و لقد بلغنى أن الرجل من أهل الشام كان يدخل بيت المسلمة و الأخرى المعاهدة فيأخذ حجلها و قلبها و قلادتها، فيا عجبا يميت القلب، و يجلب الهم، و يسعر الأحزان من جد هؤلاء القوم فى باطلهم، و فشلكم عن حقكم فقبحا و ترحا حيث صرتم غرضا

يرمى، يغار عليكم فلا- تغيرون، و يعصى اللّه فترضون، اذا قلت لكم: اغزوا عدوكم فى الحر قلتم هذه حمارة القيظ من يغزوا فيها؟ امهلنا ينسلخ عنا الحر، و اذا قلت: اغزوهم فى انف الشتاء قلتم الحر و القر، فكل هذا منكم فرار من الحر و القر؟ فأنتم و اللّه من السيف أفر، يا أشباه الرجال، حلوم الاطفال و عقول ربات الحجال، لوددت أنى لم اركم، و ان اللّه اخرجنى من بين اظهركم، فلقد ملئتم صدرى غيظا و جرعتمونى نغب التهمام انفاسا، و افسدتم علىّ رأيى بالعصيان، حتى قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب، للّه ابوهم و هل منهم أحد اشد لها مراسا و قعاسا منى لقد نهضت فيها و قد بلغت العشرين «۱» فها أنا ذا قد ذرفت على الستين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع.» «۲»

---

(۱) فى رواية «و ما بلغت العشرين»

(۲) انساب الاشراف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۲

و قد صور هذا الخطاب ما فى نفس الامام من غيظ ممض، و يأس شديد من اصحابه الذين امتلأت قلوبهم خوفا و ذلا من أهل الشام فتخاذلوا و قبعوا فى بيوتهم يطاردهم الفزع، حتى فسد على الامام أمره،

۳- واقصة:

و وجه معاوية الضحاك بن قيس الفهرى الى واقصة ليغير على كل من كان فيها من شيعة الامام و ضم إليه ثلاثة آلاف رجل، فسار الضحاك فنهب أموال الناس، و قتل كل من ظن أنه على طاعة الامام، و سار حتى انتهى الى القطقطانة، و هو يشيع القتل و الارهاب ثم سار الى السماوة، و بعدها ولى الى الشام، و لما وافت الانباء الامام (ع) قام خطيبا فى جيشه و قد دعاهم الى صد هذا الاعتداء فلم يستجب له أحد، فقال (ع):

«وددت و اللّه ان لى بكل عشرة منكم رجلا من أهل الشام، و انى صرفتكم كما يصرف الذهب و اوددت أنى لقيتهم على بصيرتى فأراحنى اللّه من مقاساتكم و مداراتكم.»

و سار الامام وحده نحو الغريين لصد هذا الاعتداء فلحقه عبد اللّه بن جعفر بدابة فركبها، و لما رأى الناس ذلك خف إليه بعضهم، فسرح (ع) لطلب الضحاك حجر بن عدى فى اربعة آلاف، و سار فى طلبه فلم يدركه فرجع «۱»

لقد اخذت غارات معاوية تتوالى على العراق، من دون ان تتعرض لأى مقاومة تذكر، و قد ايقن معاوية بالنصر، و الظفر لما منى به اصحاب الامام من التخاذل.

---

(۱) انساب الاشراف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۳

الغارة على الحجاز و اليمن:

و بعث معاوية بسر بن أبى ارطاة فى ثلاثة آلاف للغارة على الحجاز و اليمن فاتجه نحو يثرب فلم يجد من أهلها أية مقاومة، فصعد المنبر و رفع عقيرته يندب عثمان و ينشر الرعب و الارهاب بين الناس.

و أخذ البيعة من أهلها لمعاوية، ثم سار الى اليمن، و كان عليها عبيد اللّه ابن عباس عاملا- للامام، فهرب منه حتى أتى الكوفة، فاستخلف الامام عليها عبد اللّه الحارثى فقتله بسر، و قتل ابنه، و عمد الى طفلين لعبيد اللّه فقتلهما و لما انتهى خبرهما الى امهما فقدت

وعيها، و راحت ترثيهما بذوب روحها بأبياتها المشهورة «۱».

لقد قام سلطان معاوية على قتل الأبرياء، و ذبح الأطفال، و اشاعة الرعب و الفزع فى البلاد.

و لما انتهت الأنباء الأليمة الى الامام خارت قواه، و مزق الأسى قلبه و راح يخطب فى جيشه يذكر ما عاناه من الخطوب و الكوارث منهم قائلا:

«انبئت بسرا قد اطلع اليمن «۲» و انى و اللّه لأظن ان هؤلاء القوم سيدالون «۳» منكم باجتماعهم على باطلهم، و تفرقكم عن حقكم، و بمعصيتكم امامكم فى الحق و طاعتهم امامهم فى الباطل، و بأدائهم الأمانة الى صاحبهم و خيانتكم، و بصلاحهم فى بلادهم، و فسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على

---

(۱) تاريخ ابن الأثير ۳/ ۱۹۳.

(۲) اطلع اليمن: بلغها و احتلتها قواته.

(۳) سيدالون: أى ستكون لهم الدولة بسبب اجتماع كلمتهم، و اختلاف رأى العراقيين.

قعب «۱» لخشيت أن يذهب بعلاقته «۲» اللهم انى قد مللتهم و ملونى، و سئمتهم و سئمونى فابدلنى بهم خيرا منهم، و أبدلهم بى شرا منى، اللهم مث فى قلوبهم كما يماث الملح فى الماء أما و اللّه لوددت ان لى الف فارس من بنى فرس ابن غنم «۳»:

هنالك لو دعوت أتاك منهمفوارس مثل ارمية الحميم ثم نزل عن المنبر «۴» و هو غارق بالهموم و الأحزان قد استولى اليأس على نفسه من أصحابه الذين أصبحوا أعصابا رخوة خالية من الشعور و الاحساس

هذه بعض الغارات التى شنها معاوية على العراق و خارجه من الأقاليم الاسلامية الخاضعة لحكم الامام، و كان المقصود منها زعزعة هذه المناطق من ايمانها بمقدرة الامام على حمايتها من الاعتداء، و اذاعة مقدرة معاوية و قوته العسكرية، و تقوية الروح المعنوية فى جيشه، و حزبه المنتشر فى تلك البلاد.

و على أى حال فقد صورت هذه الغارات جانبا كبيرا من الضعف و التمرد فى جيش الامام، حتى طمع معاوية فى شن هجوم عام على العراق لاحتلاله، و القضاء على حكومة الامام، و من المؤكد أنه لو فعل ذلك لوجد الطريق سهلا، و لم يجد أية صعوبة أو مقاومة تذكر، فقد خلد القوم الى الراحة، و سئموا من الجهاد.

---

(۱) القعب: بالضم القدح الكبير.

(۲) علاقته: بكسر العين ما يعلق به القعب من ليف و نحوه.

(۳) بنو فرس: قبيلة عربية مشهورة بالشجاعة و الاقدام.

(۴) نهج البلاغة محمد عبده ۱/ ۶۰.

عبث الخوارج:

و تواكبت المحن الشاقة على الامام يقفو بعضها بعضا، فغارات معاوية متصلة على العراق و خارجه، و هى تنشر الرعب و الهلع فى قلوب المواطنين و الامام لا يتمكن على حماية الأمن، و صيانة الناس من الاعتداء قد خلع جيشه يد الطاعة و أعلن العصيان و التمرد، و لم يعد له أى نفوذ أو سلطان عليه.

و من تلك المحن الشاقة التى ابتلى بها الامام هى فتنة الخوارج فانه لم يقض عليهم فى النهروان، و انما قضى على جماعة منهم، و بقى أكثرهم يعيشون معه، و هم يكيدون له، و يتربصون به الدوائر، و يحولون قلوب الناس عنه، قد امنوا من بطشه و استيقنوا انه لن يبسط عليهم يدا، و لا ينزل بهم عقوبة، و قد أطمعهم عدله، و أغراهم لينه فراحوا يجاهرون بالرد و الانكار عليه، فقد قطع بعضهم عليه خطبته تاليا قوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» فاجابه الامام بآية اخرى «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ» و جاءه الخريت ابن راشد السامى فى ثلاثين من أصحابه فقال له: يا على و اللّه لا أطيع أمرك، و لا اصلى خلفك، و انى غدا مفارق لك، فلطف به الامام و حاججه و خلى بينه و بين حريته، فلم يسجنه، و انما ترك له الطريق مفتوحا و ولى الرجل الى قومه من بنى ناجية فأخبرهم بما كان بينه و بين الامام، ثم خرج فى الليل يريد الحرب و جرت أحداث كثيرة فى خروج الخريت و تمرده ذكرها المؤرخون بالتفصيل.

و على أى حال فان المسئولية الكبرى فى كثير من الأحداث المفزعة التى منى بها العالم الاسلامى تقع على الخوارج فهم الذين قضوا على مصير

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۶

الأمة فى أهم الفترات الحاسمة من تاريخها حينما كتب النصر للامام، و باء معاوية بالهزيمة و الفشل، بحيث لم يبق من حياته إلا فترة يسيرة من الزمن قدّرها قائد القوات العسكرية فى جيش الامام مالك الأشتر، بحلبة شاة أو بعدوة فرس، فأضاعوا ذلك النصر الكبير و أرغموا الامام على قبول التحكيم

دعاء الامام على نفسه:

و طافت بالامام موجات رهيبة و مذهلة من الأحداث و الأزمات فهو يرى باطل معاوية قد استحكم، و أمره قد تم، و يرى نفسه فى ارباض الكوفة قد احتوشته ذئاب العرب الذين كرهوا عدله، و نقموا عليه مساواته و عملوا جاهدين على الحيلولة بينه و بين تحقيق آماله من القضاء على الاثرة و الاستعلاء و الطغيان.

و الشىء الوحيد الذى أقض مضجع الامام هو تمزق جيشه، و تفلل جميع وحداته، فقد أصبح بمعزل عن جميع السلطات، و قد نظر (ع) الى المصير المؤلم الذى سيلاقونه من بعده فقال:

«أما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا، و سيفا قاطعا، و اثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة، فيفرق جماعتكم، و يبكى عيونكم، و يدخل الفقر بيوتكم و تتمنون عن قليل انكم رأيتمونى فنصرتمونى، فستعلمون حق ما أقول لكم، و لا يبعد اللّه إلا من ظلم و أثم ...» «۱».

و لم يجد نصح الامام معهم شيئا فقد تمادوا فى الغى، و عادت لهم جاهليتهم الرعناء.

و قد سئم الامام منهم و راح يتمنى مفارقة حياته فكان كثيرا ما يقول

---

(۱) أنساب الاشراف ج ۱ ق ۱ ص ۲۰۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۷

فى خطبه: «متى يبعث أشقاها» و اخذ يلح بالدعاء، و يتوسل الى اللّه بقلب منيب أن يريحه منهم فقد روى البلاذرى عن أبى صالح قال شهدت عليا، و قد وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تقعقع الورق و هو يقول:

«اللهم إنى سألتهم ما فيه فمنعونى ذلك، اللهم إنى قد مللتهم و ملونى، و ابغضتهم و ابغضونى، و حملونى على غير خلقى، و على اخلاق لم تكن تعرف لى، فأبدلنى خيرا لى منهم، و ابدلهم بى شرا، و مث قلوبهم ميث الملح ..» «۱»

و استجاب اللّه دعاء وليه العظيم فنقله بعد قليل الى حضيرة القدس مع النبيين و الصديقين و اراحه من ذلك المجتمع الذى كره الحق،

و نقم على العدل، و قد سلط اللّه عليهم ارجاس البشرية فأخذوا يمعنون فى ظلمهم و اذلالهم، فيأخذون البرىء بالسقيم، و المقبل بالمدبر، و يقتلون على الظنة و التهمة، فاستيقظوا عند ذلك، و اخذوا يندمون أشد الندم على ما اقترفوه من الاثم تجاه الامام و ما فرطوا به من عصيانه و خذلانه.

هذه بعض مخلفات تلك الحروب التى امتحن بها الامام كأشد ما يكون الامتحان قسوة و ارهاقا و لم يمتحن بها وحده، و انما امتحن بها العالم الاسلامى بأسره، فقد اخلدت للمسلمين المشاكل و الخطوب و القتهم فى شر عظيم.

لقد واكب الامام الحسين (ع) هذه الاحداث المفزعة التى جرت على أبيه، و وقف على واقعها، و قد استبان له كراهية القوم لأبيه لأنه لم يداهن فى دينه، و اراد أن يحمل الناس على الحق المحض و العدل الخالص، و لا يدع محروما، و لا مظلوما فى البلاد.

و على اى حال فان هذه الحروب قد ساهمت مساهمة ايجابية فى خلق كارثة كربلاء التى لم تأت الا بعد انهيار الاخلاق، و إماتة الوعى الدينى، و الاجتماعى، و اشاعة الانتهازية و التحلل بين افراد المجتمع، فقد سيطرت

---

(۱) انساب الاشراف ج ۱ ق ۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۸

الرأسمالية القرشية على الشؤون الاجتماعية فأخذت تعيث فسادا فى الارض و تنقض جميع ما اقامه الاسلام من صروح للفضيلة و الاخلاق، و كان من أسوأ ما قامت به انها عملت جاهدة على اشاعة العداء و الكراهية لأهل البيت (ع) الذين هم مصدر الوعى و الاحساس فى هذه الأمة.

فقد عمدت بشكل سافر الى تقطيع اوصالهم على صعيد كربلا، و ابادتهم ابادة جماعية بصورة رهيبة لم يحدث لها نظير فى تأريخ الانسانية.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۹۹

حكومة معاوية

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۱

و استقبل المسلمون حكومة معاوية- بعد الصلح- بكثير من الذعر و الفزع و الخوف، فقد عرفوا واقع معاوية، و وقفوا على اتجاهاته الفكرية و العقائدية فخافوه على دينهم، و على نفوسهم و اموالهم، و قد وقع ما خافوه فانه لم يكد يستولى على رقاع الدولة الاسلامية حتى اشاع الظلم و الجور و الفساد فى الارض، و يقول المؤرخون انه ساس المسلمين سياسة لم يألفوها من قبل، فكانت سياسته تحمل شارات الموت و الدمار، كما كانت تحمل معول الهدم على جميع القيم الاخلاقية و الانسانية، و قد انتعشت فى عهده الوثنية بجميع مساوئها التى نفر منها الناس، يقول السيد مير على الهندى:

«و مع ارتقاء معاوية الخلافة فى الشام عاد حكم التوليغارشية الوثنية:

السابقة فاحتل موقع ديمقراطية الاسلام و انتعشت الوثنية بكل ما يرافقها من خلاعات، و كأنها بعثت من جديد، كما وجدت الرذيلة و التبذل الخلقى لنفسها متسعا فى كل مكان ارتادته رايات حكام الامويين من قادة جند الشام ..» «۱»

و الشىء المؤكد ان حكومة معاوية لم تستند الى رضى الأمة أو مشورتها، و انما فرضت عليها بقوة السلاح، و قد اعترف معاوية بذلك اعترافا رسميا بتصريح ادلى به امام جمهور غفير من الناس فقال: «و اللّه ما وليتها- اى الخلافة- بمحبة علمتها منكم و لا مسرة بولايتى،

و لكن جالدتكم بسيفى هذا مجالدة، فان لم تجدونى اقوم مجتمعكم كله فاقبلوا منى بعضه ..»

و لما وقعت الأمة فريسة تحت انيابه- بعد الصلح- خطب فى (النخيلة) خطابا قاسيا اعلن فيه عن جبروته و طغيانه على الأمة و استهانته بحقوقها فقد جاء فيه: «و اللّه انى ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتصوموا، و لا لتحجوا و لا لتزكوا، انكم لتفعلون ذلك، و انما قاتلتكم لأتأمر عليكم،

---

(۱) روح الاسلام (ص ۲۹۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۲

و قد اعطانى اللّه ذلك و انتم له كارهون» «۱»

و مثّل هذا الخطاب الاتجاهات الشريرة التى يحملها معاوية فمن اجل الامرة و السيطرة على العباد اراق دماء المسلمين، و اشاع فى بيوتهم الثكل و الحزن و الحداد.

و لا بدلنا من دراسة موجزة للمخططات السياسية التى تبنتها حكومة معاوية، و ما رافقها من الاحداث الجسام فانها- فيما نعتقد- من المع الاسباب فى ثورة الامام الحسين، فقد رأى ما منى به المسلمون فى هذا العهد من الحرمان و الاضطهاد، و ما اصيبوا به من الانحراف و التذبذب من جراء النقائص الاجتماعية التى اوجدها الحكم الأموى، فهبّ سلام اللّه عليه- بعد هلاك معاوية- الى تفجير ثورته الكبرى التى ادت الى ايقاظ الوعى الاجتماعى الذى اكتسح الحكم الأموى و ازال جميع معالمه و آثاره، .. و هذه بعض معالم سياسة معاوية.

سياسته الاقتصادية:

اشارة

و لم تكن لمعاوية أية سياسة اقتصادية فى المال حسب المعنى المصطلح لهذه الكلمة، و انما كان تصرفه فى جباية الاموال و انفاقها خاضعا لرغباته و اهوائه فهو يهب الثراء العريض للقوى المؤيدة له و يحرم العطاء للمعارضين له، و يأخذ الأموال و يفرض الضرائب كل ذلك بغير حق

إن من المقطوع به انه لم يعد فى حكومة معاوية اى ظل للاقتصاد الاسلامى الذى عالج القضايا الاقتصادية باروع الوسائل و اعمقها، فقد عنى بزيادة الدخل الفردى، و مكافحة البطالة، و اذابة الفقر، و اعتبر مال

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۲۵۴

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۳

الدولة ملكا للشعب يصرف على تطوير وسائل حياته، و ازدهار رخائه، و لكن معاوية قد أشاع الفقر و الحاجة عند الاكثرية الساحقة من الشعب، و أوجد الرأسمالية عند فئة قليلة راحت تتحكم فى مصير الناس و شئونهم ..

و هذه بعض الخطوط الرئيسية فى سياسته الاقتصادية.

الحرمان الاقتصادى:

اشارة

و اشاع معاوية الحرمان الاقتصادى فى بعض الاقطار التى كانت تضم الجبهة المعارضة له فنشر فيها البؤس و الحاجة حتى لا تتمكن من القيام بأية معارضة له، و هذه بعض المناطق التى قابلها بالاضطهاد و الحرمان.

۱- يثرب:

و سعى معاوية لاضعاف يثرب فلم ينفق على المدنيين أى شىء من المال و جهد على فقرهم و حرمانهم لأنهم من معاقل المعارضة لحكمه، و فيهم كثير من الشخصيات الحاقدة على الأسرة الأموية و الطامعة فى الحكم، و يقول المؤرخون؟

انه اجبرهم على بيع املاكهم فاشتراها بأبخس الاثمان، و قد ارسل القيم على املاكه لتحصيل وارداتها فمنعوه عنها، و قابلوا حاكمهم عثمان بن محمد، و قالوا له: إن هذه الأموال لنا كلها، و ان معاوية آثر علينا فى عطائنا، و لم يعطنا درهما فما فوقه حتى مضنا الزمان و نالتنا المجاعة فاشتراها بجزء من مائة من ثمنها، فرد عليهم حاكم المدينة بأقسى القول و أمره.

و وفد على معاوية الصحابى الجليل جابر بن عبد اللّه الانصارى فلم يأذن له تحقيرا و توهينا به فانصرف عنه، فوجه له معاوية بستمائة درهم فردها جابر و كتب إليه.

و انى لاختار القنوع على الغنى‌اذا اجتمعا و الماء بالبارد المحض

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۴ و اقضى على نفسى إذ الأمر نابنى‌و فى الناس من يقضى عليه و لا يقضى

و البس أثواب الحياء و قد ارى‌مكان الغنى الا- أهين له عرضى و قال لرسول معاوية: «قل له: و اللّه يا ابن آكلة الاكباد لا تجد فى صحيفتك حسنة أنا سببها أبدا.

و انتشر الفقر فى بيوت الانصار، و خيم عليهم البؤس حتى لم يتمكن الرجل منهم على شراء راحلة يستعين بها على شئونه، و لما حج معاوية و اجتاز على يثرب استقبله الناس، و منهم الانصار و كان اكثرهم مشاة فقال لهم:

«ما منعكم من تلقى كما يتلقانى الناس!!؟»

فقال له سعيد بن عبادة:

«منعنا من ذلك قلة الظهر، و خفة ذات اليد، و الحاح الزمان علينا، و ايثارك بمعروفك غيرنا».

فقال له معاوية باستهزاء و سخرية.

«اين أنتم عن نواضح المدينة؟»

فسدد له سعيد سهما من منطقة الفياض قائلا:

«نحرناها يوم بدر، يوم قتلنا حنظلة بن أبى سفيان» «۱»

لقد قضت سياسة معاوية بنشر المجاعة فى يثرب و حرمان اهلها من الصلة و العطاء، يقول عبد اللّه بن الزبير: فى رسالته الى يزيد «فلعمرى ما تؤتينا مما فى يدك من حقنا الا القليل و انك لتحبس عنا منه العريض ..»

و قد اوعز معاوية الى الحكومة المركزية فى يثرب برفع اسعار المواد الغذائية فيها حتى تعم فيها المجاعة، و قد المع الى ذلك يزيد فى رسالته التى بعثها للمدنيين و وعدهم فيها بالاحسان ان خضعوا لسلطانه، و قد جاء فيها.

«و لهم على عهد أن اجعل الحنطة كسعر الحنطة عندنا، و العطاء

---

(۱) انساب الاشراف ج ۱ ق ۲/ ۷۳

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۵

الذى يذكرون أنه احتبس عنهم فى زمان معاوية فهو على لهم وفرا كاملا» «۱»

و قد جعل معاوية الولاة على الحجاز تارة مروان بن الحكم، و اخرى سعيد بن العاص و كان يعزل الأول و يولى الثانى، و قد جهدا فى اذلال اهل المدينة و فقرهم

۲- العراق:

اما العراق فقد قابله معاوية بالمزيد من العقوبات الاقتصادية باعتباره المركز الرئيسى للمعارضة، و القطر الوحيد الساخط على حكومته، و كان واليه المغيرة بن شعبة يحبس العطاء و الارزاق عن أهل الكوفة، و قد سار حكام الامويين من بعد معاوية على هذه السيرة فى اضطهاد العراق و حرمان اهله، فان عمر بن عبد العزيز اعدلهم لم يساو بين العراقيين و الشاميين فى العطاء، فقد زاد فى عطاء الشاميين عشرة دنانير و لم يزد فى عطاء اهل العراق «۲»

لقد عانى العراق فى عهد الحكم الأموى اشد الوان الضيق مما جعل العراقيين يقومون بثورات متصلة ضد حكمهم.

۳- مصر:

و نالت مصر المزيد من الاضطهاد الاقتصادى فقد كتب معاوية الى عامله: «ان زد على كل امرئ من القبط قيراطا» فانكر عليه عامله و كتب إليه: «كيف ازد عليهم و فى عهدهم ان لا يزاد عليهم» «۳»

و شمل الضيق الاقتصادى سائر الاقطار الاسلامية ليشغلها عن معارضة حكمه.

---

(۱) الامامة و السياسة ۱/ ۱۵۱

(۲) العقد الفريد ۴/ ۲۵۹

(۳) حياة الامام موسى بن جعفر ۱/ ۳۰۲

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۶

الرفاه على الشام:

و بينما كانت البلاد الاسلامية تعانى الجهد و الحرمان نجد الشام فى رخاء شامل و اسعار موادها الغذائية منخفضة جدا، لأنها اخلصت للبيت الأموى، و عملت على تدعيم حكمه» فكان الرفاه يعد فيها شائعا، اما ما يؤيد ذلك فهى رسالة يزيد التى ذكرناها قبل قليل. و قد حملوا أهل الشام على رقاب الناس كما المع الى ذلك مالك بن هبيرة فى حديثه مع الحصين بن نمير.

يقول له: «هلمّ فلنبايع لهذا الغلام- اى خالد بن يزيد- الذى نحن ولدنا اباه و هو ابن اختنا، فقد عرفت منزلتنا من ابيه فانه كان يحملنا على رقاب العرب» «۱»

استخدام المال فى تدعيم ملكه:

و استخدم معاوية الخزينة المركزية لتدعيم ملكه و سلطانه، و اتخذ المال سلاحا يمكنه من قيادة الأمة و رئاسة الدولة، يقول السيد مير على الهندى: «و كانت الثروات التى جمعها معاوية من عمالته على الشام يبذرها هو و بطانته على جنوده المرتزقة الذين ساعدوه بدورهم على اخفات كل همسة ضدهم.» «۲»

و كانت هذه السياسة غريبة على المسلمين لم يفكر فيها أحد من الخلفاء السابقين، و قد سار عليها من جاء بعده من خلفاء الأمويين

فاتخذوا المال

---

(۱) الطبرى ۷/ ۳۸

(۲) روح الاسلام (ص ۲۹۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۷

وسيلة لدعم سلطانهم، يقول الدكتور محمد مصطفى: «و كان من عناصر سياسة الامويين استخدام المال سلاحا للارهاب، و اداة للتقريب فحرموا منه فئة من الناس، و اغدقوه اضعافا مضاعفة لطائفة اخرى ثمنا لضمائرهم، و ضمانا لصمتهم.» «۱»

و جعل شكرى فيصل المال احد العاملين الاساسيين اللذين خضع لهما المجتمع الاسلامى خضوعا عجيبا، و كان من جملة الأسباب فى فتن السياسة، و سيطرة الطبقة الحاكمة من قريش، كما انه احد الاسباب فى وقوع الخلاف ما بين العرب و العجم بل و ما بين العرب انفسهم «۲»

المنح الهائلة لأسرته:

و منح معاوية الاموال الهائلة لأسرته فوهبهم الثراء العريض «۳» و ذلك لتقوية مركزهم، و بسط نفوذهم على العالم الاسلامى، فى حين اشاع البؤس و الحرمان عند اغلب فئات الشعب.

منح خراج مصر لعمرو:

و وهب معاوية خراج مصر لابن العاص، و جعله طعمة له ما دام حيا، و ذلك لتعاونه معه على مناجزة الامام امير المؤمنين رائد الحق و العدالة فى الأرض، و قد ألمعنا الى تفصيل ذلك فى البحوث السابقة.

---

(۱) اتجاهات الشعر العربى (ص ۲۷)

(۲) المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول (ص ۵۰) لشكرى فيصل

(۳) الفخرى (ص ۱۴۵)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۸

هبات الأموال للمؤيدين:

و اغدق معاوية الأموال الهائلة على المؤيدين له و المنحرفين عن الامام امير المؤمنين و قد اسرف فى ذلك الى حد بعيد، و يقول الرواة: ان يزيد بن منبه قدم عليه من البصرة يشكو له دينا قد لزمه، فقال معاوية:

لخازن بيت المال اعطه ثلاثين الفا، و لما ولى قال: و ليوم الجمل ثلاثين الفا أخرى «۱» لقد وهب له هذه الأموال الضخمة جزاء لمواقفه و مواقف أخيه الذى امدّ المتمردين فى حرب الجمل بالأموال التى نهبها من بيت مال المسلمين، و قد حفل التأريخ ببوادر كثيرة من هبات معاوية للقوى المنحرفة عن الامام، و المؤيدة له.

شراء الاديان:

و فتح معاوية بابا جديدا فى سياسته الاقتصادية و هى شراء الاديان و خيانة الذمم، فقد وفد عليه جماعة من اشراف العرب فاعطى كل

واحد منهم مائة الف و اعطى الحتات عم الفرزدق سبعين الفا، فلما علم الحتات بذلك رجع مغضبا الى معاوية فقال له:

«فضحتنى فى بنى تميم، اما حسبى فصحيح، أو لست ذا سن؟

الست مطاعا فى عشيرتى؟»

«بلى.»

«فما بالك خست بى دون القوم و اعطيت من كان عليك اكثر ممن

---

(۱) للعقد الفريد ۱/ ۱۹۴.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۲۹

كان لك!!»

فقال معاوية بلا حياء و لا خجل:

«إنى اشتريت من القوم دينهم، و وكلتك الى دينك»

«انا اشترى منى دينى»

فأمر له باتمام الجائزة «۱» لقد خسرت هذه الصفقة التى كشفت عن مسخ الضمائر و تحولها الى سلعة تباع و تشرى.

عجز الخزينة المركزية:

و منيت الخزينة المركزية بعجز مالى خطير نتيجة الاسراف فى الهبات لشراء الذمم و الاديان و لم تتمكن الدولة من تسديد رواتب الموظفين مما اضطر معاوية الى أن يكتب لابن العاص راجيا منه أن يسعفه بشىء من خراج مصر الذى جعله طعمة له فقد جاء فى رسالته: «اما بعد: فان سؤال أهل الحجاز، و زوّار أهل العراق قد كثروا على، و ليس عندى فضل من اعطيات الجنود فأعنى بخراج مصر هذه السنة ...» و لم يستجب له ابن العاص و راح ينكر عليه، و يذكره بايادية التى اسداها عليه و قد اجابه بهذه الابيات:

معاوى إن تدرككك نفس شحيحةفما ورثتنى مصر أمى و لا ابى

و ما نلتها عفوا و لكن شرطتهاو قد دارت الحرب العوان على قطب

و لو لا دفاعى الاشعرى و صحبهلألفيتها ترغو كراغية السغب و لما قرأ معاوية الأبيات تأثر منه، و لم يعاوده بشىء من امر مصر. «۲»

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۱۵۳

(۲) الاخبار الطوال (ص ۲۰۴)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۰

مصادرة اموال المواطنين:

و اضطر معاوية بعد اسرافه و تبذيره الى مصادرة اموال المواطنين ليسد العجز المالى الذى منيت به خزينة الدولة، و قد صادر مواريث الحتات عم الفرزدق فانكر عليه الفرزدق و قال بهجوه:

ابوك و عمى يا معاوى أورثاتراثا فيختار التراث اقاربه

فما بال ميراث الحتات اخذتهو ميراث صخر جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الامر فى جاهليةعلمت من المرء القليل حلائبه

و لو كان فى دين سوى ذا شئتملنا حقنا أو غص بالماء شاربه

الست اعز الناس قوما و أسرةو امنعهم جارا اذا ضيم جانبه

و ما ولدت بعد النبى و آله كمثلى حصان فى الرجال يقاربه

و بيتى الى جنب الثريا فناؤهو من دونه البدر المضىء كواكبه

أنا ابن الجبال الشم فى عدد الحصىو عرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه

و كم من أب لى يا معاوى لم يزلاغر يبارى الريح ازور جانبه

نمته فروع المالكين و لم يكنابوك الذى من عبد شمس يقاربه «۱» و معنى هذه الابيات ان الأموال التى خلفها صخر جد معاوية قد انتقلت الى وراثة فى حين ان ميراث عم الفرزدق قد صادره معاوية، و لو كان ذلك فى الجاهلية لكان معاوية اقصر باعا من أن تمتد يده إليه، فان الفرزدق ينتمى الى اسرة هى من اعز الأسر العربية و امنعها.

---

(۱) ابن الأثير ۳/ ۲۳۲، ديوان الفرزدق (ص ۲۴۶)

ضريبة النيروز:

و فرض معاوية على المسلمين ضريبة النيروز ليسد بها نفقاته، و قد بالغ فى ارهاق الناس و اضطهادهم على ادائها، و قد بلغت فيما يقول المؤرخون عشرة ملايين درهم «۱» و هى من الضرائب التى لم يألفها، المسلمون،

و قد اتخذها الخلفاء من بعده سنة فارغموا المسلمين على ادائها.

نهب الولاة و العمال:

و اصبحت الولاية فى عهد معاوية مصدرا من مصادر النهب و السرقة، و مصدرا للثراء و جمع الاموال، يقول انس بن أبى اناس لحارثة الغدانى صاحب زياد بن أبيه حينما ولى على (سرق) و هى احدى كور الاهواز:

احار بن بدر قد وليت امارةفكن جرذا فيها تخون و تسرق

و باه تميما بالغنى ان للغنىلسانا به المرء الهيوبة ينطق

و لاـ تحقرن يا حار شيئا أصبتهفحظك من ملك العراقين سرق «۲» و يصف عقبة بن هبيرة الأسدى ظلم الولاة و استصفائهم اموال الرعية بقوله:

معاوى اننا بشر فاسجحفلسنا بالجبال و لا الحديد «۳»

اكلتم ارضنا فجردتموهافهل من قائم أو من حصيد

---

(۱) الحركات الفكرية فى الاسلام (ص ۴۲) تأريخ التمدن الاسلامى ۲/ ۲۲

(۲) الشعر و الشعراء (ص ۴۶۲)

(۳) السجح: السهولة و الين

أ تطمع فى الخلافة اذ هلكناو ليس لنا و لا لك من خلود

ذروا خول الخلافة و استقيمواو تأمير الاراذل و العبيد

و اعطونا السوية لاتزركم‌جنود مردفات بالجنود «۱» و قد عانى المسلمون ضروبا شاقة و عسيرة من جور الولاة و ظلم الجباة، فقد تمرسوا بالسلب و النهب، و لم يتركوا عند احد من الناس فضلا من المال الا صادروه:

جباية الخراج:

اما جباية الخراج فكانت خاضعة لرغبات الجباة و اهوائهم، و قد سأل صاحب اخنا عمرو بن العاص عن مقدار ما عليه من الجزية فنهره ابن العاص و قال له:

«لو اعطيتنى من الأرض الى السقف ما اخبرتك ما عليك انما انتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم، و ان خفف عنا خففنا عنكم ...» «۲»

و هدمت هذه الاجراءات الظالمة جميع قواعد العدل و المساوات التى جاء بها الاسلام.

اصطفاء الذهب و الفضة:

و أوعز معاوية الى زياد بن أبيه ان يصطفى له الذهب و الفضة فقام

---

(۱) خزانة الأدب ۲/ ۲۲۵

(۲) تأريخ التمدن الاسلامى ۲/ ۷۹- ۸۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۳

زياد مع عماله باجبار المواطنين على مصادرة ما عندهم من ذلك و ارساله الى دمشق «۱» و قد ضيق بذلك على الناس، و ترك الفقر آخذا بخناقهم.

شل الحركة الاقتصادية:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ج۲ ۱۳۳ شل الحركة الاقتصادية: ..... ص : ۱۳۳

شلت الحركة الاقتصادية فى جميع انحاء البلاد فخربت الزراعة و التجارة، و اصيب الاقتصاد العام بنكسة شاملة نتيجة تبذير معاوية و اسرافه، و قد اعلن ذلك عبد اللّه بن همام السلولى فقد كتب شعرا فى رقاع و القاها فى المسجد الجامع يشكو فيها الجور الهائل و المظالم الفظيعة التى صبها معاوية و عماله على الناس و هذه هى الابيات:

الا ابلغ معاوية بن صخرفقد خرب السواد فلا سوادا

ارى العمال اقساء علينابعاجل نفعهم ظلموا العبادا

فهل لك ان تدارك بالدنياو تدفع عن رعيتك الفسادا

و تعزل تابعا ابدا هواهيخرب من بلادته البلادا

اذا ما قلت اقصر عن هواهتمادى فى ضلالته و زادا «۲» و قد صور السلولى بهذه الابيات سوء الحالة الاقتصادية و تسلط الولاة على ظلم الرعية و دعا السلطة الى عزلهم و اقصائهم عن وظائفهم فقد جهدوا فى خراب السواد و امتصوا الدماء، و اتبعوا الهوى، و ظلوا عن الطريق القويم.

---

(۱) حياة الامام موسى بن جعفر ۱/ ۳۰۱

(۲) الاسلام و الحضارة العربية ۲/ ۱۴۹- ۱۵۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۴

حجة معاوية:

و يرى معاوية ان اموال الأمة و خزينتها المركزية ملك له يتصرف فيها حيث ما شاء يقول: «الأرض للّه، و أنا خليفة اللّه، فما اخذ من مال اللّه فهو لى، و ما تركته كان جائزا الى.» «۱»

و هذا المنطق بعيد عن روح الاسلام، و بعيد عن اتجاهاته فقد قنن اسسه الاقتصادية على اساس ان المال مال الشعب، و ان الدولة ملزمة بتنميته و تطويره، و ليس لرئيس الدولة و غيره ان يتلاعب باقتصاد الأمة و ينفقه على رغباته و اهوائه فان ذلك يؤدى الى اذاعة الحاجة و نشر البطالة و يعرض البلاد للازمات الاقتصادية ... لقد اعتبر الاسلام الفقر كارثة اجتماعية و وباءا شاملا يجب مكافحته بكل الطرق و الوسائل، و ليس لرئيس الدولة ان يصطفى من مال الأمة اى شىء، هذا هو رأى الاسلام، و لكن معاوية- بصورة لا تقبل الجدل- لم يع ذلك، فتصرف باموال المسلمين حسب رغباته و اهوائه.

هذه بعض معالم سياسة معاوية الاقتصادية التى فقدت روح التوازن و اشاعت البؤس و الحرمان فى البلاد.

سياسة التفريق:

اشارة

و بنى معاوية سياسته على تفريق كلمة المسلمين و تشتيت شملهم، و بث روح التفرقة و البغضاء بينهم، ايمانا منه بأن الحكم لا يمكن أن يستقر له الا فى

---

(۱) حياة الامام موسى بن جعفر ۱/ ۳۰۱

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۵

تفلل وحدة الأمة، و اشاعة العداء بين ابنائها، يقول العقاد: «و كانت له- اى لمعاوية- حيلته التى كررها و اتقنها و برع فيها، و استخدمها مع خصومه فى الدولة من المسلمين و غير المسلمين، و كان قوام تلك الحيلة العمل الداثب على التفرقة و التخذيل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم، و اثارة الإحن فيهم، و منهم من كانوا من أهل بيته و ذوى قرباه ..

كان لا يطيق ان يرى رجلين ذوى خطر على وفاق، و كان التنافس الفطرى بين ذوى الأخطار مما يعينه على الإيقاع بهم». «۱»

لقد شتتت كلمة المسلمين، و فصم عرى الاخوة الإسلامية التى عقد أواصرها الرسول الكريم، و بنى عليها مجتمعه.

اضطهاد الموالى:

و بالغ معاوية فى اضطهاد الموالى و اذلالهم، و قد رام ان يبيدهم ابادة شاملة يقول المؤرخون: انه دعا الأحنف بن قيس و سمرة بن جندب و قال لهما: «انى رأيت هذه الحمراء قد كثرت، و أراها قد قطعت على السلف، و كأنى انظر الى وثبة منهم على العرب و السلطان، فقد رأيت أن اقتل شطرا منهم، و ادع شطرا لاقامة السوق و عمارة الطريق».

و لم يرتض الاحنف و سمرة هذا الأجراء الخطير فأخذا يلطفان به حتى عدل عن رأيه. «۲»

لقد سنّ معاوية اضطهاد الموالى، و اخذت الحكومات التى تلت من بعده تشيع فيهم الجور و الحرمان بالرغم من اشتراكهم فى الميادين العسكرية

---

(۱) معاوية فى الميزان (ص ۶۴)

(۲) العقد الفريد ۲/ ۲۶۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۶

و غيرها من اعمال الدولة، يقول شاعر الموالى شاكيا مما ألمّ بهم من الظلم:

ابلغ أميّة عنى إن عرضت لهاو ابن الزبير و ابلغ ذلك العربا

ان الموالى اضحت و هى عاتبةعلى الخليفة تشكوا الجوع و الحربا و انبرى احد الخراسانيين الى عمر بن عبد العزيز يطالبه بالعدل فيهم قائلا:

له: «يا امير المؤمنين عشرون الفا من الموالى يغزون بلا عطاء، و لا رزق، و مثلهم قد اسلموا من أهل الذمة يؤدون الخراج.» «۱» و كان الشعبى قاضى عمر بن عبد العزيز قد بغض المسجد حتى صار ابغض إليه من كناسة داره- حسب ما يقول- لأن الموالى كانت تصلى فيه «۲» و قد اضطر الموالى الى تأسيس مسجد خاص لهم اسموه (مسجد الموالى) كانوا يقيمون الصلاة فيه «۳» و يميل خدابخش الى الظن انهم انما اضطروا الى تأدية صلاتهم فيه بعد ما رأوا تعصب العرب ضدهم، و انهم لم يكونوا يسمحون لهم بالعبادة معهم فى مسجد واحد «۴» و كان الموالى يلطفون بالرد على العرب و يدعونهم الى الهدى قائلين:

«اننا لا ننكر تباين الناس، و لا تفاضلهم، و لا السيد منهم و المسود، و الشريف و المشروف، و لكننا نزعم ان تفاضل الناس فيما بينهم هو ليس بآبائهم، و لا بأحسابهم و لكنه بافعالهم و اخلاقهم، و شرف انفسهم، و بعد همهم، فمن كان دنىء الهمة، ساقط المروءة لم يشرف و ان كان من بنى هاشم فى ذؤابتها!! إنما الكريم من كرمت افعاله، و الشريف من

---

(۱) الطبرى ۸/ ۱۳۴، الكامل ۵/ ۱۹.

(۲) طبقات ابن سعد ۶/ ۱۷۵.

(۳) الطبرى فى احداث سنة ۲۴۵.

(۴) الحضارة الاسلامية ۱/ ۴۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۷

شرفت همته.» «۱»

و لم يع الامويون و من سار فى ركابهم هذا المنطق المشتق من واقع الاسلام و هديه الذى أمر ببسط المساواة و العدل بين جميع الناس من دون فرق بين قومياتهم.

و على أى حال فقد ادت هذه السياسة العنصرية الى اشاعة الاحقاد بين المسلمين و اختلاف كلمتهم، كما ادت الى تجنيد الموالى لكل حركة ثورية تقوم ضد الحكم الأموى و كانوا بالأخير هم القوة الفعالة التى اطاحت بالأمويين و طوت معالمهم و آثارهم.

العصبية القبلية:

و تبعا لسياسة التحزب و التفريق التى سار عليها الأمويون فقد احيوا العصبيات القبلية، و قد ظهرت فى الشعر العربى صورا مريعة و مؤلمة من الوان ذلك الصراع الذى كانت تخلقه السلطة الأموية الاشغال الناس بالصراع القبلى عن التدخل فى الشؤون السياسية، و

ابعادهم عما يقننه معاوية من الظلم و الجور، و يقول المؤرخون: إنه عمد الى اثارة الاحقاد القديمة ما بين الأوس و الخزرج محاولا بذلك التقليل من أهميتهم، و اسقاط مكانتهم امام العالم العربى و الاسلامى .. كما تعصب لليمنيين على المضربين، و اشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد لهم كلمة تضر بمصالح دولته.

و سار عمال معاوية على وفق منهج سياسته التخريبية فكان زياد بن أبيه يضرب القبائل بعضها ببعض و يؤجج نار الفتنة فيما بينها حتى تكون تحت مناطق نفوذه يقول ولهاوزن: «و عرف زياد كيف يخضع القبائل

---

(۱) العقد الفريد ۲ ۲۵۸- ۲۵۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۸

بأن يضرب احداها بالأخرى، و كيف يجعلها تعمل من اجله، و افلح فى ذلك ..» «۱»

و حفلت مصادر التأريخ ببوادر كثيرة من الوان التناحر القبلى الذى اثاره معاوية و عماله مما ادى الى انتشار الضغائن بين المسلمين، و قد عانى الاسلام من جراء ذلك أشد الوان المحن فقد أوقف كل نشاط مثمر له، و خولف ما كان يدعو له النبى (ص) من التآخى و التعاطف بين المسلمين.

سياسة البطش و الجبروت:

اشارة

و ساس معاوية الأمة سياسة بطش و جبروت فاستهان بمقدراتها و كرامتها، و قد اعلن- بعد الصلح- انه انما قاتل المسلمين و سفك دماءهم ليتأمر عليهم، و ان جميع ما اعطاه للامام الحسن (ع) من شروط فهى تحت قدميه لا يفى بشىء منها، و قد ادلى بتصريح عبر فيه عن كبريائه و جبروته فقال:

«نحن الزمان من رفعناه ارتفع، و من وضعناه اتضع .. «۲»

و سار عماله و ولاته على هذه الخطة الغادرة فقد خطب عتبة بن أبى سفيان بمصر فقال:

«يا حاملى الأم أنوف ركبت بين أعين، إنى قلمت اظفارى عنكم ليلين مسيئكم و سألتكم اصلاحكم اذا كان فسادكم باقيا عليكم فاما إذا أبيتم الا الطعن على السلطان و النقص للسلف، فو اللّه لاقطعن بطون السياط على ظهوركم، فان حسمت أدواءكم و الا فان السيف من ورائكم، فكم حكمة منا لم تعها قلوبكم، و من موعظة منا صمت عنها آذانكم، و لست ابخل

---

(۱) الدولة العربية (ص ۲۰۷).

(۲) نهاية الارب ۶/ ۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۳۹

بالعقوبة اذا جدتم بالمعصية ..» «۱»

و خاطب المصريين فى خطاب آخر له فقال:

«يا أهل مصر إياكم أن تكونوا للسيف حصيدا فان للّه ذبيحا لعثمان لا تصيروا الى وحشة الباطل بعد انس الحق باحياء الفتنة، و اماتة السنن فأطأكم و اللّه وطأة لارمق معها حتى تنكروا ما كنتم تعرفون». «۲»

و مثلث هذه القطع من خطابه مدى احقاده على الأمة و تنكره لجميع قيمها و أهدافها و من اولئك الولاة الذين كفروا بالحق و العدل،

خالد القسرى، فقد خطب فى مكة، و هو يهدد المجتمع بالدمار و الفناء، فقد جاء فى خطابه:

«أيها الناس عليكم بالطاعة، و لزوم الجماعة، و إياكم و الشبهات فانى- و اللّه- ما أوتى لى باحد يطعن على امامه الا صلبته فى الحرم .. «۳»

و كانت هذه الظاهرة ماثلة عند جميع حكام الأمويين و ولاتهم يقول الوليد بن يزيد:

فدع عنك ادكارك آل سعدىفنحن الأكثرون حصى و مالا

و نحن المالكون الناس قسرانسومهم المذلة و النكالا

و نوردهم حياض الخسف ذلاو ما نألوهم الا خبالا «۴» و صورت هذه الأبيات مدى استهانته بالأمة، فانه مع بقية الحكام من اسرته، قد ملكوا الناس بالغلبة و القوة، و انهم يسومونهم الذل، و يوردونهم حياض الخسف ... و من اولئك الملوك عبد الملك بن مروان

---

(۱) تهذيب الكامل للمبرد ۱/ ۱۷

(۲) العقد الفريد ۲/ ۱۵۹.

(۳) تأريخ الطبرى ۸/ ۸۰.

(۴) حياة الامام موسى بن جعفر ۱/ ۳۸۷.

فقد خطب فى يثرب امام ابناء المهاجرين و الأنصار فقال:

«الا- و إنى لا- أداوى أمر هذه الأمة الا- بالسيف حتى تستقيم قناتكم، و انكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين، و لا تعملون مثل عملهم، و انكم تأمروننا بتقوى اللّه، و تنسون انفسكم و اللّه لا يأمرنى احد بتقوى اللّه بعد مقامى هذا- الا ضربت عنقه ..» «۱»

و حفل هذا الخطاب بالطغيان الفاجر على الأمة، فهو لا يرى حلا لأزمانها الا بسفك الدماء و اشاعة الجور و الإرهاب، اما بسط العدل و نشر الدعة و الرفاهية بين الناس فلم يفكر به و لا دار بخلده و لا فى خلد واحد من حكام الأمويين.»

احتقار الفقراء:

و تبنى الحكم الأموى فى جميع ادواره اضطهاد الفقراء و احتقار الضعفاء، و يقول المؤرخون ان بنى أميّة كانوا لا يسمحون للفقراء بالدخول الى دوائرهم الرسمية الا فى آخر الناس يقول زياد بن ابيه لعجلان حاجبه:

- كيف تأذن للناس؟

- على البيوتات، ثم على الاسنان، ثم على الأدب.

- من تؤخر؟

- الذين لا يعبأ اللّه بهم.

- من هم؟

- الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف، و كسوة الصيف فى الشتاء «۲»

---

(۱) تأريخ ابن الاثير ۴/ ۳۳.

(۲) نهاية الأرب ۶/ ۸۶.

و هدمت هذه السياسة قواعد العدل و المساواة التى جاء بها الاسلام فانه لم يفرق بين المسلمين و جعلهم سواسية كاسنان المشط.

سياسة الخداع:

و اقام معاويـة دولته على المخاتلـة و الخداع فلا ظل للواقع فى اى تحرك من تحركاته السياسـية، فما كان مثل ذلك الضـمير المتحجر ان يعى الواقع أو يفقه الحق، و قد حفل التأريخ بصور كثيرة من خداعه، و هذه بعضها:

۱- لما دس معاوية السم الى الزعيم الكبير مالك الاشتر اقبل على اهل الشام فقال لهم:

«ان عليا وجه الأشتر الى مصر فادعوا اللّه ان يكفيكموه.»

فكـان اهل الشام يـدعون عليه فى كل صـلاة، و لما اخبر بموته انبأ اهل الشام بأن موته نتـج عن دعائهم لأنهم حزب اللّه، ثم همس فى اذن ابن العـاص قائلاـ له: «ان للّه جنودا من عسـل» «۱» ۲- و من خـداع معاويـة و أضـاليله ان جرير البجلى لما اوفـده الامام الى معاوية يدعوه الى بيعته، طلب معاوية حضور شرحبيل الكندى، و هو من ابرز الشخصيات فى الشام و قد عهد الى جماعة من اصحابه ان ينفرد كل واحـد منهم به، و يلقى فى روعه ان عليا هو الـذى قتل عثمان بن عفان، و لما قـدم عليه شـرحبيل اخبره معاويـة بوفادة جرير، و انه يـدعوه الى بيعـة الامام، و قـد حبس نفسه فى البيعـة حتى يأخذ رأيه لأن الامام قد قتل عثمان، و طلب منه شـرحبيل ان يمهله لينظر فى الأمر، فلما خرج التقى به القوم كل على انفراده، و اخبروه ان الامام هو المسئول

---

(۱) شرح النهج ۲/ ۲۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۴۲

عن اراقة دم عثمان فلم يشك الرجل فى صدقهم فانبرى الى معاوية و هو يقول له:

«يا معاوية اين الناس؟ الا ان عليا قتل عثمان، و اللّه ان بايعت لنخرجنك من شامنا و لنقتلنك.»

فقال معاوية مخادعا له:

«ما كنت لأخالف عليكم ما أنا الا رجل من أهل الشام ..» «۱»

بمثل هذا الخداع و البهتان اقام دعائم سلطانه، و بنى عليه عرش دولته.

۳- و من الوان خداعه لأهل الشام انه لما راسل الزعيم قيس بن سعد يستميله و يمنيه بسلطان العراقيين و بسلطان الحجاز لمن احب من اهل بيته ان صار معه فرد عليه قيس باعنف القول فاظهر معاوية لأهل الشام انه قد بايع، و أمرهم بالدعاء له و اختلق كتابا نسبه إليه و قد قرأه عليهم و هذا نصه:

«اما بعد: ان قتل عثمان كان حدثا فى الاسـلام عظيما، و قد نظرت لنفسـى و دينى فلم ار بوسـعى مظاهرة قوم قتلوا امامهم مسلما محرما برا تقيـا فنسـتغفر اللّه لـذنوبنا الا و انى قـد القيت لكم بالسـلام، و احببت قتال قتلـة امام الهـدى المظلوم، فاطلب منى ما احببت منى من الأموال و الرجال اعجله إليك ..» «۲»

و بهذه الأساليب المنكرة خدع أهل الشام و زج بهم لحرب وصى رسول اللّه (ص) و باب مدينة علمه.

۴- لقـد كان الخـداع من ذاتيات معاوية، و من العناصـر المقومة لسياسـته، و قد بهر ولده يزيد حينما بويع و كان الناس يمدحونه فقال لأبيه:

---

(۱) شرح النهج ۱/ ۱۲۹.

(۲) شرح النهج ۲/ ۲۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۴۳

«يا امير المؤمنين ما ندرى انخدع الناس أم يخدعوننا؟؟».

فاجابه معاوية:

«كل من اردت خديعته فتخادع له حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته» «۱»

لقد جر معاوية ذيله على الخداع و غذى به أهل مملكته حتى نشأ جيل كانت هذه الظاهرة من ابرز ما عرف منه.

اشاعة الانتهازية:

و عملت حكومة معاوية على اشاعة الانتهازية و الوصولية بين الناس،

و لم يعد ماثلا عند الكثيرين منهم ما جاء به الاسلام من ايثار الحق و نكران الذات، و من مظاهر ذلك التذبذب ما رواه المؤرخون ان يزيد بن شجرة الرهاوى قد وفد على معاوية، و بينما هو مقبل على سماع حديثه اذ اصابه حجر عاثر فادماه فاظهر تصنعا عدم الاعتناء به فقال له معاوية:

«للّه أنت ما نزل بك!!؟»

«ما ذاك يا امير المؤمنين؟»

«هذا دم وجهك يسيل ..»

«إن حديث امير المؤمنين الهانى حتى غمز فكرى فما شعرت بشيء حتى نبهنى امير المؤمنين.»

فبهر معاوية و راح يقول:

«لقد ظلمك من جعلك فى الف من العطاء، و اخرجك من عطاء ابناء المهاجرين، و كماة أهل صفين.» و امر له بخمسمائة الف درهم،

---

(۱) الكامل للمبرد ۱/ ۳۰۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۴۴

و زاد فى عطائه الف درهم. «۱»

و كانت هذه الظاهرة سائدة فى جميع ادوار الحكم الأموى فقد ذكر المؤرخون ان اسماعيل بن يسار كان زبيرى الهوى فلما ظفر آل مروان بآل الزبير انقلب اسماعيل عن رأيه و اصبح مروانيا، و قد استأذن على الوليد فأخره ساعة فلما اذن له دخل و هو يبكى فسأله الوليد عن سبب بكائه فقال: «اخرتنى و أنت تعلم مروانيتى، و مروانية أبى»

و أخذ الوليد يعتذر منه، و هو لا يزداد الا اغراقا فى البكاء، فهون عليه الوليد و احسن صلته، فلما خرج تبعه شخص ممن يعرفه فسأله عن مروانيته التى ادعاها متى كانت؟ فقال له:

«بغضنا لآل مروان، و هى التى حملت أباه يسار فى حال موته ان يتقرب الى اللّه بلعن مروان بن الحكم، و هى التى دعت أمه ان تلعن آل مروان مكان ما تتقرب به الى اللّه من التسبيح ..» «۲»

و نقل المؤرخون بوادر كثيرة من الوان هذا الخداع الذى ساد فى تلك العصور و هو من دون شك من مخلفات سياسة معاوية الذى ربى جيله على التذبذب و الانحراف عن الحق.

الخلاعة و المجون:

و عرف معاوية بالخلاعة و المجون، يقول ابن ابى الحديد: «كان معاوية أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح، و كان فى أيام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير و الديباج و يشرب فى

---

(۱) التاج فى اخلاق الملوك (ص ۵۵).

(۲) الاغانى ۴/ ۱۲۰

آنية الذهب و الفضة، و يركب البغلات ذوات السروج المحلات بها- اى بالذهب- و عليها جلال الديباج و الوشى، و كان حينئذ شابا و عنده نزق الصبا، و اثر الشبيبة و سكر السلطان و الامرة، و نقل النّاس عنه فى كتب السيرة انه كان يشرب الخمر فى ايام عثمان فى الشام ...

و لا خلاف فى انه سمع الغناء، و طرب عليه، و وصل عليه أيضا.

و تأثر به ولده يزيد فكان مدمنا خليعا مستهترا، و تأثر بهذا السلوك جميع خلفاء بنى أمية، يقول الجاحظ: «و كان يزيد- يعنى بن معاوية- لا يمسى الا سكرانا، و لا يصبح الا مخمورا، و كان عبد الملك بن مروان يسكر فى كل شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء هو أو فى الماء. و كان الوليد ابن عبد الملك يشرب يوما، و يدع يوما، و كان سليمان بن عبد الملك يشرب فى كل ثلاث ليال ليلة، و كان هشام يشرب فى كل جمعة، و كان يزيد بن الوليد، و الوليد بن يزيد يدمنان اللهو و الشراب، فأما يزيد بن الوليد فكان دهره بين حالتى سكر و خمار، و لا يوجد ابدا الا و معه احدى هاتين، و كان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء و ليلة السبت. «۱»

و ولى هشام بن عبد الملك الوليد على الحج سنة (۱۱۹ ه) فحمل معه كلابا فى صناديق فسقط منها صندوق و فيه كلب .. و حمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها عليها، و حمل معه خمرا، و اراد أن ينصب القبة على الكعبة و يجلس فيها فخوفه اصحابه، و قالوا له: لا نأمن الناس عليك و علينا فترك «۲» و وفد على بن عباس على الوليد بن يزيد فى خلافته، و قد أتى بابن شراعة من الكوفة، فبادره قائلا:

«و اللّه ما بعثت إليك لأسألك عن كتاب اللّه و سنة رسوله ..»

---

(۱) التاج فى اخلاق الملوك (ص ۱۵۱).

(۲) الطبرى ۸/ ۲۸۸.

فضحك ابن شراعة و قال:

- انك لو سألتنى عنهما لوجدتنى حمارا.

- أنا ارسلت إليك لأسألك عن القهوة- أى الخمر-

اخبرنى عن الشراب؟

- يسأل امير المؤمنين عما بدا له.

- ما تقول فى الماء؟

- لا بد منه و الحمار شريكى فيه.

و أخذ يسأله عن المشروبات حتى انتهى الى الخمر فقال له:

- ما تقول فى الخمر؟

أوه تلك صديق روحى.

- أنت و اللّه صديق روحى. «۱»

و أرسل الوليد الى عامله على الكوفة يطلب منه أن يبعث إليه الخلعاء و الشعراء الماجنين ليستمع ما يلهو به من الفسق و المجون، و قد سخر جميع اجهزة دولته للذاته و شهواته، و كتب الى واليه على خراسان أن يبعث إليه ببرابط و طنابير، و قال احد شعراء عصره ساخرا منه:

ابشر يا امين اللّهابشر بتباشير

بإبل يحمل المالعليها كالأنابير «۲»

بغال تحمل الخمرحقائبها طنابير

فهذا لك فى الدنياو فى الجنة تحبير «۳» و سادت اللذة و اللهو فى المجتمع العربى، و تهالك الناس على الفسق

---

(۱) نهاية الأرب ۴/ ۹۳، العقد الفريد ۳/ ۱۸۴.

(۲) الأنابير: اكداس من الطعام.

(۳) تأريخ الطبرى ۸/ ۲۹۸.

و الفجور، و من طريف ما ينقل فى هذا الموضوع انه أوتى بشيخ الى هشام ابن عبد الملك و كان معه قيان و خمر و بربط، فقال: اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ فقال له احد الجالسين: عليك بالصبر، فقال له الشيخ اترانى أبكى للضرب؟ انما ابكى لاحتقاره البربط اذ سماه طنبورا «۱»

لقد كانت سيرة الامويين فى جميع ادوارهم امتدادا لسيرة معاوية الذى اشاع حياة اللهو و الخلاعة فى البلاد للقضاء على اصالة الأمة، و سلب وعيها الدينى و الاجتماعى.

اشاعة المجون فى الحرمين:

و عمد معاوية الى اشاعة الدعارة و المجون فى الحرمين للقضاء على قدسيتهما و اسقاط مكانتهما الاجتماعية فى نفوس المسلمين، يقول العلائلى: «و شجع الأمويون حياة المجون فى مكة و المدينة الى حد الاباحة، فقد استأجر طوائف من الشعراء و المخنثين من بينهم عمر بن أبى ربيعة لأجل أن يمسحوا عاصمتى مكة و المدينة بمسحة لا نليق، و لا تجعلهما صالحتين للزعامة الدينية.

و قد قال الاصمعى: دخلت المدينة فما وجدت الا المخنثين، و رجلا يضع الاخبار و الطرف:» «۲» و قد شاعت فى يثرب مجالس الغناء، و كان الوالى يحضرها و يشارك فيها «۳» و انحسرت بذلك روح الاخلاق، و انصرف الناس عن المثل العليا التى جاء بها الاسلام.

---

(۱) تأريخ الطبرى ۸/ ۲۸۵.

(۲) سمو المعنى فى سمو الذات (ص ۳۰).

(۳) العقد الفريد ۳/ ۲۴۱.

الاستخفاف بالقيم الدينية:

و استخف معاوية بكافة القيم الدينية، و لم يعن بجميع ما جاء به الاسلام من الاحكام فاستعمل اوانى الذهب و الفضة، و اباح الربا، و تطيب فى الاحرام، و عطل الحدود، «۱» و قد الغيت معظم الاحكام الاسلامية فى اغلب ادوار الحكم الاموى، و فى ذلك يقول شاعر الاسلام الكميت:

و عطلت الأحكام حتى كأنناعلى ملة غير التى نتنحل

أ أهل كتاب نحن فيه و انتمعلى الحق نقضى بالكتاب و نعدل

كأن كتاب اللّه يعنى بأمرهو بالنهى فيه الكوذنى المركل «۲»

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهمفحتام حتام العناء المطول

و ما ضرب الامثال فى الجور قبلنالا جور من حكامنا المتمثل «۳» و استخف معاوية بالمقدسات الاسلامية و احتقرها، يقول الرواة إنه لما تغلب قيل له! لو سكنت المدينة، فهى دار الهجرة، و بها قبر النبى (ص) فقال: قد ظللت اذا و ما أنا من المهتدين «۴» و اقتدى به فى ذلك جميع بنى أمية فقد انبرى يحيى بن الحكم الى عبد اللّه بن جعفر فقال له:

«كيف تركت الخبيثة- يعنى مدينة رسول اللّه (ص)-؟»

فانكر عليه ابن جعفر و صاح به:

---

(۱) ذكرنا مصادر هذه الاحداث فى الجزء الثانى من كتابنا (حياة الامام الحسن).

(۲) الكوذنى: البليد

(۳) للهاشميات (ص ۱۱۱).

(۴) المناقب و المثالب (ص ۷۰) للقاضى نعمان المصرى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۴۹

«سماها رسول اللّه (ص) طيبة و تسميها خبيثة، قد اختلفتما فى الدنيا و ستختلفان فى الآخرة ..»

قال يحيى: «و اللّه لإن أموت و ادفن بأرض الشام المقدسة أحب إلى من ان أدفن بها.»

فقال له:

«اخترت مجاورة اليهود و النصارى على مجاورة رسول اللّه (ص) و المهاجرين». «۱»

استلحاق زياد:

و من مظاهر استخفاف معاوية بالقيم الاسلامية استلحاقه زياد بن عبيد الرومى، و الصاقه بنسبه من دون بينة شرعية، و انما اعتمد على شهادة ابى مريم الخمار و هو مما لا يثبت به نسب شرعى، و قد خالف بذلك قول رسول اللّه (ص): «الولد للفراش و للعاهر الحجر». لقد قام بذلك انطلاقا وراء اهدافه السياسية، و تدعيما لحكمه و سلطانه ... و من طريف ما ينقل فى الموضوع ان نصر بن حجاج خاصم عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد عند معاوية فى عبد اللّه مولى خالد بن الوليد فأمر معاوية حاجبه أن يؤخرهما حتى يحتفل مجلسه، فلما اكتمل مجلسه، أمر بحجر فادنى منه، و القى عليه طرفا من ثيابه ثم اذن لهما، فترافعا عنده فى شأن عبد اللّه فقال له نصر:

«إن اخى و ابن أبى عهد الى انه- يعنى عبد اللّه- منه»

و قال عبد الرحمن: «مولاى و ابن عبد ابى و امته ولد على فراشه»

---

(۱) انساب الاشراف ج ۱ ق ۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۰

و اصدر معاوية الحكم فى المسألة فقال يا حرسى: خذ هذا الحجر فادفعه الى نصر بن حجاج، فقد قال رسول اللّه (ص): «الولد للفراش و للعاهر الحجر».

و انبرى نصر فقال: «أ فلا اجريت هذا الحكم فى زياد؟»

فقال معاوية: «ذلك حكم معاوية و هذا حكم رسول اللّه «۱»

انكار الامام الحسين:

و انكر الامام الحسين (ع) على معاوية هذا الاستلحاق الذى خالف به قول رسول اللّه (ص) فكتب إليه مذكرة تضمنت الاحداث الجسام التى اقترفها معاوية و قد جاء فيها:

«أو لست المدعى زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك، و قد قال رسول اللّه (ص) «الولد للفراش و للعاهر الحجر» فتركت سنة رسول اللّه تعمدا و اتبعت هواك بغير هدى من اللّه

لقد اثار استلحاق معاوية لزياد موجة من الغضب و الاستياء عند الاخيار و المتحرجين فى دينهم، و قد بسطنا الكلام فى ذلك فى كتابنا (حياة الامام الحسن [ع]).

الحقد على النبى:

و حقد معاوية على النبى (ص) فقد مكث فى ايام خلافته اربعين

---

(۱) الطبرى: ج ۱۰/ ۴۸۰، العقد الفريد: ۶/ ۱۳۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۱

جمعة لا يصلى عليه، و سأله بعض اصحابه عن ذلك فقال: «لا يمنعنى عن ذكره الا ان تشمخ رجال بآنافها «۱» و سمع المؤذن يقول: اشهد ان لا إله الا اللّه و ان محمدا رسول اللّه، فلم يملك اهابه، و اندفع يقول:

«للّه ابوك يا ابن عبد اللّه لقد كنت عالى الهمة، ما رضيت لنفسك الا ان يقرن اسمك باسم رب العالمين.» «۲»

و من مظاهر حقده على الرسول الاعظم (ص) ما رواه مطرف بن المغيرة قال: وفدت مع أبى على معاوية، فكان أبى يتحدث عنده ثم ينصرف إلى، و هو يذكر معاوية و عقله، و يعجب بما يرى منه، و اقبل ذات ليلة، و هو غضبان فامسك عن العشاء، فانتظرته ساعة، و قد ظننت انه لشىء حدث فينا أو فى عملنا، فقلت له:

- مالى اراك مغتما منذ الليلة؟

- يا بنى جئتك من اخبث الناس.

- ما ذاك؟

- خلوت بمعاوية فقلت له: إنك قد بلغت مناك يا امير المؤمنين فلو اظهرت عدلا و بسطت خيرا، فانك قد كبرت، و لو نظرت الى إخوتك من بنى هاشم فوصلت ارحامهم فو اللّه ما عندهم اليوم شىء تخافه ..»

فثار معاوية و اندفع يقول:

«هيهات!! هيهات ملك أخو تيم فعدل، و فعل ما فعل فو اللّه ما عدا ان هلك فهلك ذكره، الا أن يقول قائل ابو بكر: ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمر عشر سنين فو اللّه ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم

يكن أحد فى مثل نسبه

---

(۱) النصائح الكافية (ص ۹۷).

(۲) النهج ۱۰/ ۱۰۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۲

فعمل به ما عمل فو اللّه ما عـدا ان هلك فهلك ذكره و ان اخا هاشم يصـرخ به فى كل يوم خمس مرات! اشـهد ان محمدا رسول اللّه (ص) فاى عمل يبقى بعد هذا لا أم لك الا دفنا دفنا ..» «۱».

و دلت هـذه البادرة على مـدى زعزعة العقيدة الدينية فى نفس معاوية و انها لم تكن الا رداء رقيقا يشف عما تحته من حب الجاهلية و التأثر بها الى حد بعيد، و كانت النزعة الالحادية ماثلة عند اغلب ملوك الأمويين يقول الوليد فى بعض خمرياته منكرا للبعث و النشور:

ادر الكأس يمينالا تدرها ليسار

اسق هذا ثم هذاصاحب العود النضار

من كميت عتقوهامنذ دهر فى حرار

ختموها بالاماوية «۲»و كافور وقار

فلقد ايقنت أنىغير مبعوث لنار

سأروض الناسحتى يركبوا دين الحمار

و ذروا من يطلبالجنـة يسـعى لتبار «۳» و تـأثر الكثيرون من ولاـتهم بهـذه النزعـة الالحاديـة، فكان الحجاج يخاطب اللّه امام الجماهير الحاشـدة قائلا: «ا رسولك افضل أم خليفتك يعنى ان عبـد الملك افضل من النبى العظيم (ص).» «۴» و كان ينقم على الذين يزورون قبر رسول اللّه (ص) و يقول: «تبا لهم انما يطوفون باعواد

---

(۱) شرح النهج ۲/ ۲۹۷.

(۲) الاماويه: من انواع الطيب.

(۳) رسالة الغفران (ص ۱۴۵).

(۴) النزاع و التخاصم للمقريزى (ص ۲۷) رسائل الجاحظ (ص ۲۹۷) العقد الفريد ۳/ ۳۵۵.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۳

و رمة بالية، هلا طافوا بقصر امير المؤمنين عبد الملك الا يعلمون ان خليفة المرء خير من رسوله» «۱».

و هكذا كان جهاز الحكم الأموى فى كثير من ادواره قد تنكر للرسول الاعظم (ص) و ازدرى برسالته.

تغيير الواقع الاسلامى:

و عمد معاوية الى تغيير الواقع الاسـلامى المشـرق الذى تبنى الحركات النضالية و القضايا المصيرية لجميع الشعوب، فأهاب بالمسلمين أن لا يقروا على كظة ظالم، و لا سـغب مظلوم، و قد تبنى هذا الشعار المقدس الصحابى العظيم ابو ذر الغفارى الذى فهم الاسلام، عن واقعه، فرفع رايـة الكفـاح فى وجه الحكم الأـموى، و طالب عثمان، و معاويـة بانصاف المظلومين و المضـطهدين و توزيع ثروات الأمة على الفقراء و المحرومين.

لقـد اراد معاويـة اقبار هذا الوعى الدينى، و اماتة الشـعور بالسؤولية فأوعز الى لجان الوضع التى ابتدعها ان تفتعل الاحاديث على لسان

المحرر العظيم الرسول (ص) فى الزام الأمة بالخضوع للظلم، و الخنوع للجور، و التسليم لما تقترفه سلطانها من الجور و الاستبداد و هذه بعض الاحاديث:

۱- روى البخارى بسنده عن رسول اللّه (ص) انه قال لاصحابه:

«انكم سترون بعدى اثرة، و امورا تنكرونها. قالوا فما تأمرنا يا رسول اللّه؟

قال: ادوا إليهم حقهم، و اسألوا اللّه حقكم ..» «۲»

۲- روى البخارى بسنده عن رسول اللّه (ص) أنه قال: «من

---

(۱) شرح النهج ۱۵/ ۲۴۲.

(۲) صحيح البخارى ۸/ ۸۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۴

رأى من أميره شيئا يكره فليصبر عليه فانه من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية ...» «۱»

۳- روى البخارى بسنده عن مسلمة بن زيد الجعفى أنه سأل رسول اللّه (ص) فقال له: يا نبى اللّه أ رأيت ان قامت علينا امراء يسألونا حقهم، و يمنعونا حقنا فما ترى؟ فاعرض «ص» عنه فسأله ثانيا و ثالثا و الرسول معرض فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول اللّه (ص): اسمعوا و اطيعوا فان عليهم ما حملوا و عليكم ما حملتم.» «۲»

۴- روى البخارى بسنده عن عجرفة قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: إنه ستكون هنات و هنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة و هى جمع فاضربوه بالسيف كائنا ما كان.» «۳»

الى غير ذلك من الموضوعات التى خدرت الأمة، و شلت حركتها الثورية، و جعلتها قابعة ذليلة تحت وطأة الاستبداد الأموى و جوره، و قد هب الامام الحسين (ع) الثائر الأول فى الاسلام الى اعلان الجهاد المقدس ليوقظ الأمة من سباتها و يعيد للاسلام نضارته و روحه النضالية التى انحسرت فى عهد الحكم الأموى.

مع أهل البيت:

اشارة

و سخر معاوية جميع اجهزته للحط من قيمة اهل البيت (ع) الذين هم وديعة رسول اللّه (ص) و العصب الحساس فى هذه الأمة، و قد

---

(۱) صحيح البخارى ۸/ ۸۷.

(۲) صحيح البخارى ۲/ ۱۱۹.

(۳) صحيح البخارى ۲/ ۱۲۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۵

استخدم اخطر الوسائل فى محاربتهم و اقصائهم عن واقع الحياة الاسلامية، و كان من بين ما استخدمه فى ذلك ما يلى:

۱- تسخير الوعاظ.

و سخر معاوية الوعاظ فى جميع انحاء البلاد ليحولوا القلوب عن أهل البيت «۱» و يذيعوا الاضاليل فى انتقاصهم تدعيما للحكم

الأموى.

۲- استخدام معاهد التعليم.

و استخدم معاوية معاهد التعليم و اجهزة الكتاتيب لتغذية النشىء ببغض أهل البيت (ع) و خلق جبل معاد لهم «۲» و قد قامت تلك الاجهزة بدور خطير فى بث روح الكراهية فى نفوس النشىء لعترة النبى (ص).

۳- افتعال الاخبار.

اشارة

و اقام معاوية شبكة لوضع الاخبار تعد من اخطر الشبكات التخريبية فى الاسلام فعهد إليها بوضع الاحاديث على لسان النبى (ص) للحط من قيمة أهل البيت (ع) اما الاعضاء البارزون فى هذه اللجنة فهم:

۱- ابو هريرة الدوسى.

۲- سمرة بن جندب.

۳- عمرو بن العاص.

۴- المغيرة بن شعبة.

و قد افتعلوا آلاف الاحاديث على لسان النبى (ص) و كانت عدة طوائف مختلفة حسب التخطيط السياسى للدولة و هى:

الطائفة الأولى: وضع الاخبار فى فضل الصحابة لجعلهم قبال أهل البيت،

و قد عدّ الامام الباقر (ع) اكثر من مائة حديث منها:

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۱۶۱ الطبعة الثانية.

(۲) حياة الامام الحسن ۲/ ۱۶۱ الطبعة الثانية.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۶

أ- ان عمر محدث- بصيغة المفعول- اى تحدثه الملائكة.

ب- إن السكينة تنطق على لسان عمر.

ج- إن عمر يلقنه الملك.

د- إن الملائكة لتستحى من عثمان «۱».

الى كثير من امثال هذه الاخبار التى وضعت فى فضل الصحابة، يقول المحدث ابن عرفة المعروف بنفطويه: «ان اكثر الاحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى ايام بنى أميّة تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم ..» «۲» كما وضعوا فى فضل الصحابة الاحاديث المماثلة للاحاديث النبوية فى فضل العترة الطاهرة كوضعهم: «ان سيدى كهول أهل الجنة ابو بكر و عمر» و قد عارضوا بذلك الحديث المتواتر «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة» «۳».

الطائفة الثانية: وضع الاخبار فى ذم العترة الطاهرة و الحط من شأنها

فقد اعطى معاوية سمرة بن جندب اربع مائة الف على أن يخطب فى أهل الشام، و يروى لهم أن الآية الكريمة نزلت فى على و هى قوله تعالى:

«وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ» «۴» فروى لهم سمرة ذلك و اخذ العوض الضخم من بيت مال المسلمين «۵» ... و مما رووا أن النبى (ص) قال فى آل

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۱۶۲ الطبعة الثانية.

(۲) النصائح الكافية (ص ۷۴).

(۳) حياة الامام الحسن ۲/ ۱۶۲.

(۴) سورة البقرة: آية ۲۰۳ و ۲۰۴.

(۵) النصائح الكافية (ص ۲۵۳).

أبى طالب «إن آل أبى طالب ليسوا بأولياء لى انما ولى اللّه و صالح المؤمنين» «۱» و روى الأعمش انه لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (سنة ۴۱) جاء الى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مرارا، و قال: يا أهل العراق أ تزعمون أنى اكذب «۲» على رسول اللّه (ص) و احرق نفسى بالنار؟

لقد سمعت رسول اللّه (ص) يقول: ان لكل نبى حرما، و ان حرمى بالمدينة ما بين عير الى ثور فمن احدث فيهما حدثا فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس اجمعين، و اشهد باللّه ان عليا احدث فيها!! فلما بلغ معاوية قوله اجازه و اكرمه و ولاه امارة المدينة «۳».

الى كثير من امثال هذه الموضوعات التى تقدح فى العترة الطاهرة التى هى مصدر الوعى و الاحساس فى العالم الاسلامى.

الطائفة الثالثة افتعال الاخبار فى فضل معاوية لمحو العار الذى لحقه و لحق أباه و أسرته فى مناهضتهم للاسلام،

و اخفاء ما أثر عن النبى (ص) فى ذمهم، و هذه بعض الاخبار المفتعلة:

۱- قال (ص): «معاوية بن أبى سفيان احلم أمتى و اجودها» «۴»

---

(۱) شرح ابن ابى الحديد ۳/ ۱۵.

(۲) علق على ذلك العلامة فقيد الاسلام الشيخ محمود ابو رية فى كتابه أبو هريرة (ص ۲۳۶) بقوله «يدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبى كان قد اشتهر حتى عم الآفاق و اصبح الناس يتحدثون به فى كل مكان.»

(۳) شرح نهج البلاغة ۱/ ۳۵۹.

(۴) البداية و النهاية ۸/ ۱۲۱، تطهير الجنان المطبوع على هامش الصواعق المحرقة (ص ۲۶).

۲- قال (ص): «صاحب سرى معاوية بن أبى سفيان» «۱»

۳- قال (ص) «اللهم علمه- يعنى معاوية- الكتاب و قه العذاب و ادخله الجنة ..» «۲».

۴- قال (ص) «اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقبلوه «۳» فانه امين هذه الامة» «۴» الى غير ذلك من الاحاديث الموضوعة التى

تعكس الصراع الفكرى ضد الاسلام عند معاوية و انه حاول جاهدا محو هذا الدين و القضاء عليه.

حديث مفتعل على الحسين:

من الأحاديث الموضوعة على الامام الحسين ما روى أنه وفد على معاوية زائرا فى يوم الجمعة و كان قائما على المنبر خطيبا فقال له رجل من القوم ائذن للحسين يصعد المنبر فقال له معاوية: ويلك دعنى افتخر، ثم حمد اللّه و أثنى عليه، و وجه خطابه للحسين قائلا له:

- سألتك يا أبا عبد اللّه أ ليس أنا ابن بطحاء مكة؟

- اى و الذى بعث جدى بشيرا.

- سألتك يا أبا عبد اللّه أ ليس أنا خال المؤمنين؟

- أى و الذى بعث جدى نبيا.

---

(۱) تطهير الجنان (ص ۲۶).

(۲) تطهير الجنان (ص ۲۶).

(۳) وضع هذه الحديث لمعارضة الحديث الصحيح المروى عن رسول اللّه (ص) اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاضربوا عنقه».

(۴) تأريخ بغداد.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۵۹

- سألتك يا أبا عبد اللّه أ ليس أنا كاتب الوحى؟

- اى و الذى بعث جدى نذيرا.

ثم نزل معاوية عن المنبر، فصعد الحسين فحمد اللّه بمحامد لم يحمده الأولون و الآخرون بمثلها ثم قال: حدثنى أبى عن جدى عن جبرائيل عن اللّه تعالى ان تحت قائمة كرسى العرش ورقة آس خضراء مكتوب عليها «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، يا شيعة آل محمد لا يأتى أحدكم يوم القيامة الا ادخله اللّه الجنة».

فقال له معاوية: سألتك يا أبا عبد اللّه من شيعة آل محمد؟ فقال عليه السلام: الذين لا يشتمون الشيخين أبا بكر و عمر، و لا يشتمون عثمان و لا يشتمونك يا معاوية.

و علق الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث بقوله: «هذا حديث منكر و لا أرى سنده متصلا الى الحسين «۱».

و قد امتحن المسلمون امتحانا عسيرا بهذه الموضوعات التى دونت فى كتب السنة، و ظن الكثيرون من المسلمين أنها حق، فاضفوا على معاوية ثوب القداسة، و ألحقوه بالرعيل الأول من الصحابة المتحرجين فى دينهم و هم من دون شك لو علموا واقعها لتبرءوا منها- كما يقول المدائنى- «۲»

و لم تقتصر الموضوعات على تقديس معاوية و الحط من شأن أهل البيت (ع) و انما تدخلت فى شئون الشريعة فالصقت بها المتناقضات و المستحيلات مما شوهت الواقع الاسلامى و أفسدت عقائد المسلمين.

---

(۱) تأريخ ابن عساكر ۴/ ۳۱۳.

(۲) شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد ۳/ ۱۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۰

سب الامام امير المؤمنين:

و تمادى معاوية فى عدائه للامام أمير المؤمنين (ع) فاعلن سبه و لعنه فى نواديه العامة و الخاصة و أوعز إلى جميع عماله و ولاته أن يذيعوا سبه بين الناس، و سرى سب الامام فى جميع انحاء العالم الاسلامى، و قد خطب معاوية فى أهل الشام فقال لهم:

«أيها الناس، ان رسول اللّه (ص) قال لى: إنك ستلى الخلافة من بعدى فاختر الارض المقدسة- يعنى الشام- فان فيها الابدال، و قد اخترتكم فالعنوا أبا تراب».

و عج أهل الشام بسب الامام «۱» و خطب فى اولئك الوحوش فقال لهم:

«ما ظنكم برجل- يعنى عليا لا يصلح لاخيه- يعنى عقيلا- يا أهل الشام إن أبا لهب المذموم فى القرآن هو عم على بن أبى طالب» «۲».

و يقول المؤرخون: انه كان اذا خطب ختم خطابه بقوله: «اللهم ان أبا تراب الحد فى دينك و صد عن سبيلك فالعنه لعنا وبيلا، و عذبه عذابا أليما ..»

و كان يشاد بهذه الكلمات على المنابر «۳» و لما ولى معاوية المغيرة بن شعبة امارة الكوفة كان أهم ما عهد إليه ان لا يتسامح فى شتم الامام (ع) و الترحم على عثمان، و العيب لاصحاب على و اقصائهم، و اقام المغيرة

---

(۱) النصائح الكافية (ص ۷۲).

(۲) شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد ۳/ ۳۶۱.

(۳) النصائح الكافية (ص).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۱

واليا على الكوفة سبع سنين و هو لا يدع ذم على و الوقوع فيه «۱». و قد اراد معاوية بذلك ان يصرف القلوب عن الامام (ع) و ان يحول بين الناس و بين مبادئه التى اصبحت تطارده فى قصوره يقول الدكتور محمود صبحى: «لقد اصبح على جثة هامدة لا يزاحمهم فى سلطانهم، و يخيفهم بشخصه، و لا يعنى ذلك- اى سب الامام- الا ان مبادئه فى الحكم و آراءه فى السياسة كانت تنغص عليهم فى موته كما كانت فى حياته ..» «۲»

لقد كان الامام رائد العدالة الانسانية و المثل الأعلى لهذا الدين، يقول الجاحظ: «لا يعلم رجل فى الأرض متى ذكر السبق فى الاسلام و التقدم فيه، و متى ذكر النخوة و الذب عن الاسلام، و متى ذكر الفقه فى الدين، و متى ذكر الزهد فى الامور التى تناصر الناس عليها كان مذكورا فى هذه الخلال كلها الا فى على.» «۳»

و يقول الحسن البصرى:

«و اللّه لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما صائبا من مرامى اللّه عز و جل، ربانى هذه الأمة بعد نبيها (ص) و صاحب شرفها و فضلها و ذا القرابة القريبة من رسول اللّه (ص) غير مسئوم لأمر اللّه، و لا سروقة لمال اللّه اعطى القرآن عزائمه فاورده رياضا مونقة، و حدائق مغدقة ذلك على بن ابى طالب.» «۴»

لقد عادت اللعنات التى كان يصبها معاوية و ولاته على الامام باظهار فضائله فقد برز الامام للناس اروع صفحة فى تأريخ الانسانية كلها، و ظهر للمجتمع انه المنادى الأول بحقوق الانسان، و المؤسس الأول للعدالة الاجتماعية

---

(۱) تأريخ الطبرى ۶/ ۱۴۱ طبع اوربا.

(۲) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية (ص ۲۸۲).

(۳) الاسلام و الحضارة العربية ۲/ ۱۴۵.

(۴) مناقب ابن المغازلى رقم الحديث ۶۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۲

فى الأرض لقد انطوت السنون و الاحقاب، و اندكت معالم تلك الدول التى ناوئت الامام سواء أ كانت من بنى أميّة أم من بنى العباس، و لم يبق لها أثر، و بقى الامام (ع) وحده قد احتل قمة المجد فها هو رائد الانسانية الاول و قائدها الاعلى و اذا بحكمه القصير الأمد يصبح طغراء فى حكام هذا الشرق، و اذا الوثائق الرسمية التى أثرت عنه تصبح منارا لكل حكم صالح يستهدف تحقيق القضايا المصيرية للشعوب، و اذا بحكم معاوية اصبح رمزا للخيانة و العمالة و رمزا لاضطهاد الشعوب و احتقارها.

ستر فضائل أهل البيت:

و حاول معاوية بجميع طاقاته حجب فضائل آل البيت (ع) و ستر مآثرهم عن المسلمين، و عدم اذاعة ما أثر عن النبى (ص) فى فضلهم، يقول المؤرخون: إنه بعد عام الصلح حج بيت اللّه الحرام فاجتاز على جماعة فقاموا إليه تكريما و لم يقم إليه ابن عباس، فبادره معاوية قائلا:

يا ابن عباس ما منعك من القيام؟ كما قام أصحابك إلا لموجدة على بقتالى إياكم يوم صفين!! يا ابن عباس إن ابن عمى عثمان قتل مظلوما.!

فرد عليه ابن عباس ببليغ منطقه قائلا:

- فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما، فسلم الأمر الى ولده، و هذا ابنه- و اشار الى عبد اللّه بن عمر-

اجابه معاوية بمنطقه الرخيص.

«إن عمر قتله مشرك ..»

فانبرى ابن عباس قائلا:

- فمن قتل عثمان؟

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۳

- قتله المسلمون.

و امسك ابن عباس بزمامه فقال له:

«فذلك ادحض لحجتك إن كان المسلمون قتلوه و خذلوه فليس الا بحق» و لم يجد معاوية مجالا للرد عليه، فسلك حديثا آخر أهم عنده من دم عثمان فقال له:

«إنا كتبنا الى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب على و أهل بيته فكف لسانك يا ابن عباس»

فانبرى ابن عباس بفيض من منطقه و بليغ حجته يسدد سهاما لمعاوية قائلا:

- فتنهانا عن قراءة القرآن؟

- لا

- فتنهانا عن تأويله؟

- نعم

- فنقرأه و لا نسأل عما عنى اللّه به؟

- نعم

- فايهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

- العمل به.

- فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى اللّه بما أنزل علينا؟

- سل عن ذلك ممن يتأوله على غير ما تتأوله أنت و أهل بيتك.

- انما نزل القرآن على اهل بيتى، فأسأل عنه آل ابى سفيان و آل ابى معيط؟!!

- فاقرءوا القرآن، و لا تروا شيئا مما أنزل اللّه فيكم، و مما قاله رسول اللّه (ص) فيكم، و اروا ما سوى ذلك.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۴

و سخر منه ابن عباس، و تلا قوله تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ، وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ»

و صاح به معاوية:

«اكفنى نفسك، و كف عنى لسانك، و إن كنت فاعلا فليكن سرا، و لا تسمعه أحدا علانية ..» «۱»

و دلت هذه المحاورة على عمق الوسائل التى اتخذها معاوية فى مناهضته لأهل البيت، و اخفاء مآثرهم.

و بلغ الحقد بمعاوية على الامام أنه لما ظهر عمرو بن العاص بمصر على محمد بن ابى بكر، و قتله استولى على كتبه و مذكراته و كان من بينها عهد الامام له، و هو من اروع الوثائق السياسية، فرفعه ابن العاص الى معاوية فلما رآه قال لخاصته: إنا لا نقول هذا من كتب على بن ابى طالب و لكن نقول: هذا من كتب ابى بكر التى كانت عنده «۲»

التحرج من ذكر الامام:

و اسرف الحكم الاموى الى حد بعيد فى محاربة الامام امير المؤمنين (ع) فقد عهد بقتل كل مولود يسمى عليا، فبلغ ذلك على بن رباح فخاف، و قال: لا اجعل فى حل من سمانى عليا فان اسمى على- بضم العين- «۳» و يقول المؤرخون: ان العلماء و المحدثين تحرجوا من ذكر الامام على و الرواية

عنه خوفا من بنى أمية فكانوا اذا ارادوا أن يروا عنه يقولون:

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۳۴۳.

(۲) شرح النهج ۲/ ۲۸.

(۳) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۱۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۵

«روى أبو زينب» «۱» و روى معمر عن الزهرى عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (ص): «إن اللّه عز و جل منع بنى اسرائيل قطر السماء لسوء رأيهم فى انبيائهم، و اختلافهم فى دينهم، و انه اخذ على هذه الأمة بالسنين، و منعهم قطر السماء ببغضهم على بن ابى طالب».

قال معمر: حدثنى الزهرى فى مرضة مرضها، و لم اسمعه يحدث عن عكرمة قبلها و لا بعدها فلما ابل من مرضه ندم على حديثه لى و قال:

«يا يمانى اكتم هذا الحديث، و اطوه دونى فان هؤلاء- يعنى بنى أمية- لا يعذرون احدا فى تقريض على و ذكره.»

قال معمر: «فما بالك عبت عليا مع القوم، و قد سمعت الذى سمعت؟ ..»

قال الزهرى: «حسبك يا هذا انهم اشركونا مهمامهم فاتبعناهم فى اهوائهم ..» «۲»

و قد امتحن المسلمون امتحانا عسيرا فى مودتهم للامام و تحرجوا اشد التحرج فى ذلك، يقول الشعبى: «ما ذا لقينا من على إن احببناه ذهبت دنيانا و ان ابغضناه ذهب ديننا» و يقول الشاعر:

حب على كله ضرب يرجف من تذكاره القلب هذه بعض المحن التى عاناها المسلمون فى مودتهم لاهل البيت (ع) التى هى جزء من دينهم.

---

(۱) شرح النهج ۱۱/ ۱۴.

(۲) مناقب ابن المغازلى رقم الحديث (۱۴۹).

مع الشيعة:

و اضطهدت الشيعة أيام معاوية اضطهادا رسميا فى جميع انحاء البلاد، و قوبلوا بمزيد من العنف و الشدة، فقد انتقم منهم معاوية كأشد ما يكون الانتقام قسوة و عذابا، فقد قاد مركبة حكومته على جثث الضحايا منهم، و قد حكى الامام الباقر (ع) صورا مريعة من بطش الأمويين بشيعة آل البيت (ع) يقول: «و قتلت شيعتنا بكل بلدة، و قطعت الايدى و الأرجل على الظنة، و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره» «۱» و تحدث بعض رجال الشيعة الى محمد بن الحنفية عما عانوه من المحن و الخطوب بقوله: «فما زال بنا الشين فى حبكم حتى ضربت عليه الاعناق، و أبطلت الشهادات، و شردنا فى البلاد، و أوذينا حتى لقد هممت أن أذهب فى الأرض قفرا، فاعبد اللّه حتى القاه، لو لا أن يخفى على أمر آل محمد (ص) و حتى هممت أن اخرج مع اقوام «۲» شهادتنا و شهادتهم واحدة على امرائنا فيخرجون فيقاتلون.» «۳»

لقد كان معاوية لا يتهيب من الإقدام على اقتراف اية جريمة من اجل ان يضمن ملكه و سلطانه، و قد كانت الشيعة تشكل خطرا على حكومته فاستعمل معهم اعنف الوسائل و اشدها قسوة من اجل القضاء عليهم، و من بين الإجراءات القاسية التى استعملها ضدهم ما يلى:

---

(۱) شرح ابن ابى الحديد ۳/ ۱۵.

(۲) الاقوام: هم الخوارج.

(۳) طبقات ابن سعد ۵/ ۹۵.

القتل الجماعى:

و اسرف معاوية الى حد كبير فى سفك دماء الشيعة، فقد عهد الى الجلادين من قادة جيشه بتتبع الشيعة و قتلهم حيثما كانوا، و قد قتل بسر بن أبى ارطاة- بعد التحكيم- ثلاثين الفا عدا من احرقهم بالنار «۱» و قتل سمرة بن جندب ثمانية آلاف من أهل البصرة «۲» و اما زياد بن ابيه فقد ارتكب افظع المجازر فقطع الايدى و الارجل و سمل العيون، و انزل بالشيعة من صنوف العذاب ما لا يوصف لمرارته و قسوته.

ابادة القوى الواعية:

اشاره

و عمد معاوية الى ابادة القوى المفكرة و الواعية من الشيعة، و قد ساق زمرا منهم الى ساحات الاعدام، و اسكن الثكل و الحداد فى بيوتهم، و فيما يلى بعضهم.

۱- حجر بن عدى:

اشارة

لقد رفع حجر بن عدى علم النضال، و كافح عن حقوق المظلومين و المضطهدين، و سحق ارادة الحاكمين من بنى أميّة الذين تلاعبوا فى مقدرات الأمة و حولوها الى مزرعة جماعية لهم و لعملائهم و اتباعهم ... لقد استهان حجر من الموت و سخر من الحياة، و استلذ الشهادة فى سبيل عقيدته، فكان احد المؤسسين لمذهب اهل البيت (ع).

---

(۱) شرح النهج ۲/ ۶.

(۲) الطبرى ۶/ ۳۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۸

و امتحن حجر كأشد ما تكون المحنة قسوة حينما رأى السلطة تعلن سب الامام امير المؤمنين (ع) و ترغم الناس على البراءة منه فانكر ذلك، و جاهر بالرد على ولاة الكوفة، و استحل زياد بن ابيه دمه فالقى عليه القبض، و بعثه مخفورا مع كوكبة من اخوانه الى معاوية، و اوقفوا فى (مرج عذراء) فصدرت الأوامر من دمشق باعدامهم، و نفذ الجلادون فيهم حكم الاعدام فخرت جثثهم على الأرض و هى ملفعة بدم الشهادة و الكرامة و هى تضىء للناس معالم الطريق نحو حياة افضل لا ظلم فيها، و لا طغيان.

مذكرة الامام الحسين:

و فزع الامام الحسين حينما وافته الانباء بمقتل حجر فرفع مذكرة شديدة اللهجة الى معاوية ذكر فيها احداثه و بدعه، و التى كان منها قتله لحجر و البرة من اصحابه، و قد جاء فيها:

«ا لست القاتل حجرا اخا كندة، و المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم و يستعظمون البدع، و لا يخافون فى اللّه لومة لائم ... قتلتهم ظلما و عدوانا من بعد ما كنت اعطيتهم الايمان المغلظة، و المواثيق المؤكدة ان لا تأخذهم بحدث كان بينك و بينهم و لا بإحنة تجدها فى نفسك عليهم ..» «۱»

و احتوت هذه المذكرة على ما يلى:

۱- الانكار الشديد على معاوية لقتله حجرا و اصحابه من دون أن يقترفوا جرما أو يحدثوا فسادا فى الارض.

۲- انها اشادت بالصفات البطولية فى هؤلاء الشهداء من انكار الظلم،

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۳۶۵.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۶۹

و مقاومة الجور و استعظام البدع و المنكرات التى احدثتها حكومة معاوية، و قد هبوا الى ميادين الجهاد لاقامة الحق و مناهضة المنكر.

۳- انها اثبتت ان معاوية قد اعطى حجرا و اصحابه عهدا خاصا فى وثيقة وقعها قبل ابرام الصلح ان لا يعرض لهم باى إحنة كانت بينه و بينهم، و لا يصيبهم بأى مكروه، و لكنه قد خاس بذلك فلم يف به كما لم يف للامام الحسن بالشروط التى اعطاها له، و انما جعلها تحت قدميه كما اعلن ذلك فى خطابه الذى القاه فى النخيلة.

لقد كان قتل حجر من الاحداث الجسام فى الاسلام، و قد توالت صيحات الانكار على معاوية من جميع الاقاليم الاسلامية، و قد ذكرناها بالتفصيل فى كتابنا (حياة الامام الحسن «ع»).

۲- رشيد الهجرى:

و فى فترات المحنة الكبرى التى منيت بها الشيعة فى عهد ابن سمية تعرض رشيد الهجرى لانواع المحن و البلوى فقد بعث زياد شرطته إليه فلما مثل عنده صاح به «ما قال لك خليلك- يعنى عليا- انا فاعلون بك؟ ..»

فاجابه بصدق و ايمان:

«تقطعون يدىّ و رجلىّ، و تصلبونى»

و قال الخبيث مستهزءا و ساخرا:

«اما و اللّه لأكذبن حديثه، خلوا سبيله.»

و خلت الجلاوزة سراحه، و ندم الطاغية فأمر باحضاره فصاح به:

«لا نجد شيئا اصلح مما قال صاحبك: إنك لا تزال تبغى لنا سوءا إن بقيت، اقطعوا يديه و رجليه» و بادر الجلادون فقطعوا يديه و رجليه، و هو غير حافل بما يعانيه من الآلام، و يقول المؤرخون: انه اخذ يذكر مثالب بنى أميّة، و يدعو الى ايقاظ الوعى و الثورة، مما غاظ ذلك زيادا فأمر بقطع

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۰

لسانه «۱» الذى كان يطالب بالحق و العدل، و ينافح عن حقوق الفقراء و المحرومين.

۳- عمرو بن الحمق الخزاعى:

اشارة

و من شهداء العقيدة: الصحابى العظيم عمرو بن الحمق الخزاعى الذى دعا له النبى (ص) أن يمتعه اللّه بشبابه، و استجاب اللّه دعاء نبيه فقد اخذ عمرو بعنق الثمانين عاما و لم تر فى كريمته شعرة بيضاء «۲» و تأثر عمرو بهدى اهل البيت و اخذ من علومهم فكان من اعلام شيعتهم ...

و فى اعقاب الفتنة الكبرى التى منيت بها الكوفة فى عهد الطاغية زياد بن سمية شعر عمرو بتتبع السلطة له ففر مع زميله رفاعة بن شداد الى الموصل، و قبل أن ينتهيا إليه كمنا فى جبل ليستجما فيه، و ارتابت الشرطة فبادرت الى القاء القبض على عمرو اما رفاعة ففر و لم تستطع ان تلقى عليه القبض و جيء بعمرو مخفورا الى حاكم الموصل عبد الرحمن الثقفى، فرفع امره الى معاوية فأمره بطعنه تسع طعنات بمشاقص «۳» لأنه طعن عثمان بن عفان؛ و بادرت الجلاوزة الى طعنه فمات فى الطعنة الأولى، و احتز رأسه الشريف و ارسل الى طاغية دمشق فأمر ان يطاف به فى الشام، و يقول المؤرخون انه اول رأس طيف به فى الاسلام، ثم أمر به معاوية ان يحمل الى زوجته السيدة آمنة بنت شريد، و كانت فى سجنه، فلم تشعر الا و رأس زوجها قد وضع فى حجرها، فذعرت و كادت أن تموت و

حملت من السجن الى معاوية و جرت بينها و بينه محادثات دلت على ضعة معاوية و استهانته بالقيم العربية و الاسلامية القاضية بمعاملة المرأة معاملة كريمة و لا تؤخذ بأى ذنب يقترفه زوجها أو غيره.

---

(۱) سفينة البحار ۱/ ۵۲۲.

(۲) الاصابة ۲/ ۵۲۶.

(۳) المشاقص:- جمع مفردة مشقص- النصل العريض أو سهم فيه نصل عريض

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۱

مذكرة الامام الحسين:

و التاع الامام الحسين (ع) أشد ما تكون اللوعة حينما علم بمقتل عمرو فرفع مذكرة الى معاوية عدد فيها احداثه و ما تعانيه الأمة فى عهده من الاضطهاد و الجور، و جاء فيما يخص عمروا:

«ا و لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللّه (ص) العبد الصالح الذى ابلته العبادة فنحل جسمه، و اصفر لونه، بعد ما امنته، و اعطيته من عهود اللّه و مواثيقه ما لو اعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جراءة على ربك و استخفافا بذلك العهد ..» «۱»

لقد خاس معاوية بما اعطاه لهذا الصحابى الجليل- بعد الصلح- من العهد و المواثيق بان لا يعرض له بسوء و لا مكروه.

۴- اوفى بن حصن:

و كان اوفى بن حصن من خيار الشيعة- فى الكوفة- و احد اعلامهم النابهين، و هو من أشد الناقمين على معاوية فكان يذيع مساوئه و احداثه؛ و لما علم به ابن سمية أوعز الى الشرطة بالقاء القبض عليه و لما علم اوفى بذلك اختفى، و فى ذات يوم استعرض زياد الناس فاجتاز عليه أوفى فشك فى امره فسأل عنه فاخبر باسمه، فامر باحضاره فلما مثل عنده سأله عن سياسته فعابها و انكرها؛ فأمر زياد بقتله، فهوى الجلادون عليه بسيوفهم و تركوه جثة هامدة «۲».

---

(۱) حياة الامام الحسن.

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۱۸۰، الطبرى ۶/ ۱۳۰- ۱۳۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۲

۵- الحضرمى مع جماعته:

اشارة

و كان عبد اللّه الحضرمى من اولياء الامام امير المؤمنين و من خلص شيعته كما كان من شرطة الخميس؛ و قد قال له الامام يوم الجمل:

«ابشر يا عبد اللّه فانك و اباك من شرطة الخميس، لقد اخبرنى رسول اللّه باسمك و اسم ابيك فى شرطة الخميس و لما قتل الامام جزع عليه الحضرمى و بنى له صومعة يتعبد فيها و انضم إليه جماعة من خيار الشيعة، فأمر ابن سمية باحضارهم، و لما مثلوا عنده أمر

بقتلهم، فقتلوا صبرا «۱».

لقد كانت فاجعة عبد اللّه كفاجعة حجر بن عدى فكلاهما قتل صبرا و كلاهما اخذ بغير ذنب سوى الولاء لعترة رسول اللّه (ص).

انكار الامام الحسين:

و فزع الامام الحسين كأشد ما يكون الفزع الما و محنة على مقتل الحضرمى و جماعته الاخيار فانكر على معاوية فى مذكرته التى بعثها له و قد جاء فيها.

«ا و لست قاتل الحضرمى الذى كتب فيه إليك زياد أنه على دين على (ع) فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين على، فقتلهم و مثل فيهم بأمرك، و دين على هو دين ابن عمه (ص) الذى اجلسك مجلسك الذى أنت فيه، و لو لا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء و الصيف.»

و دلت هذه المذكرة- بوضوح- على أن معاوية قد عهد الى زياد بقتل كل من كان على دين على (ع) الذى هو دين رسول اللّه (ص) كما دلت على ان زيادا قد مثّل بهؤلاء البررة بعد قتلهم تشفيا منهم لولائهم لعترة

---

(۱) بحار الأنوار ۱۰/ ۱۰۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۳

رسول اللّه (ص).

۶- جويرية العبدى:

و من عيون شيعة الامام جويرية بن مسهر العبدى، و فى فترات المحنة الكبرى التى امتحنت بها الشيعة أيام ابن سمية، بعث خلفه فأمر بقطع يده و رجله و صلبه على جذع قصير «۱».

۷- صيفى بن فسيل:

و من ابطال العقيدة الاسلامية صيفى بن فسيل الذى ضرب اروع الامثلة للايمان فقد سعى به الى الطاغية زياد فلما جيء به إليه صاح به:

- يا عدو اللّه ما تقول فى ابى تراب؟

- ما اعرف أبا تراب «۲»

- ما اعرفك به؟

- أ ما تعرف على بن أبى طالب؟

- بلى

- فذاك أبو تراب.

- كلا ذاك أبو الحسن و الحسين.

و انبرى مدير شرطة زياد منكرا عليه:

«يقول لك الأمير: هو أبو تراب، و تقول: أنت لا:!!»

فصاح به البطل العظيم مستهزءا منه و من أميره.

«و إن كذب الأمير أ تريد أن أكذب؟ و أشهد على باطل كما شهد

---

(۱) شرح ابن ابى الحديد.

(۲) كان الأمويون يرمزون بهذه السكنية الى جعل الامام كقاطع طريق جاء ذلك فى التأريخ السياسى للدولة العربية ۲/ ۷۵، و جاء فى الاغانى ۱۳/ ۱۶۸ ان زيادا كان يحتقر الشيعة و يسميهم الترابية.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۴

و تحطم كبرياء الطاغية، و ضاقت به الأرض فقال له:

«و هذا أيضا مع ذنبك»

و صاح بشرطته على بالعصا، فاتوه بها، فقال له:

«ما قولك؟»

و انبرى البطل بكل بسالة و اقدام غير حافل به قائلا:

«أحسن قول أنا قائله فى عبد من عباد اللّه المؤمنين ..»

و اوعز السفاك الى جلاديه بضرب عاتقه حتى يلتصق بالأرض، فسعوا إليه بهراواتهم فضربوه ضربا مبرحا حتى وصل عاتقه الى الأرض، ثم أمرهم بالكف عنه، و قال له:

«إيه ما قولك فى على؟»

و حسب الطاغية ان وسائل تعذيبه سوف تقلبه عن عقيدته فقال له:

و اللّه لو شرحتنى بالمواسى و المدى، ما قلت الا ما سمعت منى»

و فقد السفاك اهابه فصاح به؛

«لتلعننه أو لأضربن عنقك ..»

و هتف صيفى يقول:

«إذا تضربها و اللّه قبل ذلك، فإن أبيت الا أن تضربها رضيت باللّه و شقيت أنت ..»

و أمر به ان يوقر فى الحديد، و يلقى فى ظلمات السجون «۱» ثم بعثه مع حجر بن عدى فاستشهد معه «۲».

۸- عبد الرحمن:

و كان عبد الرحمن العنزى من خيار الشيعة و قد وقع فى قبضة جلاوزة

---

(۱) الطبرى ۴/ ۱۹۸.

(۲) حياة الامام الحسن ۲/ ۳۶۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۵

زياد فطلب منهم مواجهة معاوية لعله أن يعفو عنه فاستجابوا له و ارسلوه مخفورا الى دمشق فلما مثل عند الطاغية قال له:

«إيه أخا ربيعة ما تقول فى على؟ ..»

«دعنى و لا تسألنى فهو خير لك ...»

«و اللّه لا ادعك ..».

فانبرى البطل الفذ يدلى بفضائل الامام، و يشيد بمقامه قائلا:

أشهد انه كان من الذاكرين اللّه كثيرا، و الآمرين بالحق، و القائمين بالقسط، و العافين عن الناس»

«و التاع معاوية فعرج نحو عثمان لعله أن ينال منه فيستحل اراقة دمه فقال له:

«ما قولك فى عثمان؟»

فاجابه عن انطباعاته عن عثمان، فغاظ ذلك معاوية و صاح به:

«قتلت نفسك»

«بل اياك قتلت، و لا ربيعة بالوادى.»

و ظن عبد الرحمن أن اسرته ستقوم بحمايته و انقاذه، فلم ينبر إليه احد و لما أمن منهم معاوية بعثه الى الطاغية زياد، و أمره بقتله فبعثه زياد الى «قس الناطف» «۱» فدفنه و هو حى «۲»

لقد رفع هذا البطل العظيم راية الحق، و حمل معول الهدم على قلاع الظلم و الجور، و استشهد منافحا عن اقدس قضية فى الاسلام.

هؤلاء بعض الشهداء من اعلام الشيعة الذين حملوا مشعل الحرية،

و أضاءوا الطريق لغيرهم من الثوار الذين اسقطوا هيبة الحكم الأموى، و عملوا على انقاضه.

---

(۱) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة.

(۲) الطبرى ۶/ ۱۵۵.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۶

المروعون من اعلام الشيعة:

اشارة

و روع معاوية طائفة كبيرة من الشخصيات البارزة من رؤساء الشيعة و فيما يلى بعضهم:

۱- عبد اللّه بن هاشم المرقال.

۲- عدى بن حاتم الطائى.

۳- صعصعة بن صوحان.

۴- عبد اللّه بن خليفة الطائى.

و قد ارهق معاوية هؤلاء الاعلام ارهاقا شديدا، فطاردتهم شرطته و افزعتهم الى حد بعيد و قد ذكرنا ما عانوه من الخطوب فى كتابنا «حياة الامام الحسن».

ترويع النساء:

و لم يقتصر معاوية فى تنكيله على السادة من رجال الشيعة، و انما تجاوز ظلمه الى السيدات من نسائهم، فاشاع فيهن الذعر و الارهاب، فكتب الى بعض عماله يحمل بعضهن إليه، فحملت له هذه السيدات:

۱- الزرقاء بنت عدى.

۲- أم الخير البارقية.

۳- سودة بنت عمارة

۴- أم البراء بنت صفوان.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۷۷

۵- بكارة الهلالية.

۶- اروى بنت الحارث.

۷- عكرشة بنت الاطرش.

۸- الدارمية الحجونية.

و قد قابلهن معاوية بمزيد من التوهين و الاستخفاف، و اظهر لهن الجبروت و القدرة على الانتقام غير حافل بوهن المرأة و ضعفها، و قد ذكرنا ما جرى عليهن في مجلسه من التحقير في كتابنا «حياة الامام الحسن»

هدم دور الشيعة:

و اوعز معاوية الى جميع عماله بهدم دور الشيعة، فقاموا بنقضها «۱» و تركوا شيعة آل البيت (ع) بلا مأوى يأوون إليه، و لم يكن هناك اى مبرر لهذه الإجراءات القاسية سوى تحويل الناس عن عترة رسول اللّه (ص)

حرمان الشيعة من العطاء:

و من المآسي الكئيبة التي عانتها الشيعة في أيام معاوية أنه كتب الى جميع عماله نسخة واحدة جاء فيها «انظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب عليا و أهل بيته فامحوه من الديوان و اسقطوا عطاءه و رزقه» «۲» و بادر عماله في الفحص في سجلاتهم فمن وجدوه محبا لآل البيت (ع) محوا اسمه و اسقطوا عطاءه.

---

(۱) شرح النهج ۱۱/ ۴۴.

(۲) شرح النهج ۱۱/ ۴۴.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۷۸

عدم قبول شهادة الشيعة:

و عمد معاوية الى اسقاط الشيعة اجتماعيا فعهد الى جميع عماله بعدم قبول شهادتهم في القضاء و غيره «۱» مبالغة في اذلالهم و تحقيرهم.

ابعاد الشيعة الى خراسان:

و اراد زياد بن أبيه تصفية الشيعة من الكوفة، و كسر شوكتهم فأجلى خمسين الفا منهم الى خراسان المقاطعة الشرقية في فارس «۲» و قد دق زياد بذلك اول مسمار في نعش الحكم الأموي، فقد اخذت تلك الجماهير التي ابعدت الى فارس تعمل على نشر التشيع في تلك البلاد، حتى تحولت الى مركز للمعارضة ضد الحكم الأموي، و هي التي اطاحت به تحت قيادة أبي مسلم الخراساني.

هذا بعض ما عانته الشيعة في عهد معاوية من صنوف التعذيب و الارهاب، و كان ما جرى عليهم من المآسي الاليمة من اهم الاسباب في ثورة الامام الحسين، فقد رفع علم الثورة لينقذهم من المحنة الكبرى التي امتحنوا بها و يعيد لهم الأمن و الاستقرار.

البيعة ليزيد:

اشارة

و ختم معاوية حياته باكبر اثم فى الاسلام و افظع جريمة فى التأريخ،

---

(۱) حياة الامام الحسن.

(۲) تأريخ الشعوب الاسلامية ۱/ ۱۴۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۷۹

فقد اقدم غير متحرج على فرض خليعه يزيد خليفة على المسلمين يعيث فى دينهم و دنياهم، و يخلد لهم الويلات و الخطوب، .. و قد استخدم معاوية شتى الوسائل المنحطة فى جعل الملك وراثة فى ابنائه. و يرى الجاحظ أنه تشبه بملوك الفرس البزنطيين فحول الخلافة الى ملك كسروى، و عصب قيصرى .. و قبل أن نعرض الى تلك البيعة المشومة، و ما رافقها من الاحداث نذكر عرضا موجزا لسيرة يزيد، و ما يتصف به من القابليات الشخصية التى عجت بذمها كتب التأريخ من يومه حتى يوم الناس هذا، و فيما يلى ذلك

ولادة يزيد:

ولد يزيد سنة (۲۵) أو (۲۶ ه) «۱» و قد دهمت الأرض شعلة من نار جهنم و زفيرها تحوط به دائرة السوء و غضب من اللّه، و هو اخبث انسان وجد فى الأرض فقد خلق للجريمة و الإساءة الى الناس، و اصبح علما للانحطاط الخلقى و الظلم الاجتماعى و عنوانا بغيضا للاعتداء على الأمة و قهر ارادتها فى جميع العصور، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «اما كلمة يزيد فقد كانت من قبل اسما لابن معاوية أما هى الآن عند الشيعة فانها رمز للفساد و الاستبداد، و التهتك و الخلاعة و عنوان للزندقة و الالحاد فحيث يكون الشر و الفساد فثم اسم يزيد، و حيثما يكون الخير و الحق و العدل فثم اسم الحسين» «۲»

و قد أثر عن النبى (ص) انه نظر الى معاوية يتبختر فى بردة حبرة و ينظر الى عطفيه فقال (ص): «اى يوم لأمّتى منك، و اى يوم سوء

---

(۱) تأريخ القضاعى من مصورات مكتبة الامام الحكيم العامة.

(۲) الشيعة فى الميزان (ص ۴۵۵).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۰

لذريتى منك من جرو يخرج من صلبك يتخذ آيات اللّه هزوا و يستحل من حرمتى ما حرم اللّه عز و جل» «۱».

نشأته:

نشأ يزيد عند اخواله فى البادية من بنى كلاب الذين كانوا يعتنقون المسيحية قبل الاسلام، و كان مرسل العنان مع شبابهم الماجنين، فتأثر بسلوكهم الى حد بعيد فكان يشرب معهم الخمر و يلعب معهم بالكلاب، يقول العلائلى: «إذا كان يقينا أو يشبه اليقين ان تربية يزيد لم تكن اسلامية خالصة أو بعبارة اخرى كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزا مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الاسلامية، لا يحسب لتقاليدها و اعتقاداتها أى حساب، و لا يقيم لها وزنا بل الذى نستغرب أن يكون على غير ذلك» «۲»

و الذى نراه أن نشأته كانت نشأة جاهلية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، و لا تحمل أى طابع من الدين مهما كان، فان استهتاره فى الفحشاء و امعانه فى المنكر و الأثم مما يوحى الى الاعتقاد بذلك.

صفاته:

اما صفاته الجسمية فقد كان شديد الأدمة بوجهه آثار الجدرى «۳»

---

(۱) المناقب و المثالب «ص ۷۱» للقاضى نعمان المصرى.

(۲) سمو المعنى فى سمو الذات «ص ۵۹».

(۳) تأريخ القضاعى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۱

كما كان ضخما ذا سمنة كثير الشعر «۱» و اما صفاته النفسية فقد ورث صفات جده أبى سفيان و أبيه معاوية من الغدر و النفاق، و الطيش و الاستهتار يقول السيد مير على الهندى:

«و كان يزيد قاسيا غدارا كأبيه، و لكنه ليس داهية مثله كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستار من اللباقة الدبلوماسية الناعمة و كانت طبيعته المنحلة، و خلقه المنحط لا تتسرب إليهما شفقة و لا عدل ..

كان يقتل و يعذب نشدانا للمتعة و اللذة التى يشعر بها، و هو ينظر الى آلام الآخرين، و كان بؤرة لأبشع الرذائل، و ها هم ندماؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك .. لقد كانوا من حثالة المجتمع ..» «۲»

لقد كان جافى الخلق مستهترا، بعيدا عن جميع القيم الانسانية، و من ابرز ذاتياته ميله الى اراقة الدماء، و الإساءة الى الناس ففى السنة الاولى من حكمه القصير أباد عترة رسول اللّه «ص» و فى السنة الثانية اباح المدينة ثلاثة ايام و قتل سبعمائة رجل من المهاجرين و الانصار و عشرة آلاف من الموالى و العرب و التابعين.

ولعه بالصيد:

و من مظاهر صفات يزيد ولعه بالصيد فكان يقضى اغلب أوقاته فيه، و يقول المؤرخون: حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ج۲ ۱۸۱

ولعه بالصيد: ..... ص : ۱۸۱

كان يزيد بن معاوية كلفا بالصيد لاهيا به، و كان يلبس كلاب

---

(۱) تأريخ الاسلام للذهبى ۱/ ۲۶۷.

(۲) روح الاسلام (ص ۲۹۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۲

الصيد الاساور من الذهب و الجلال المنسوجة منه، و يهب لكل كلب عبدا يخدمه.» «۱»

شغفه بالقرود:

و كان يزيد- فيما اجمع عليه المؤرخون- ولعا بالقرود، فكان له قرد يجعله بين يديه و يكنيه بأبى قيس، و يسقيه فضل كأسه، و يقول: هذا شيخ من بنى اسرائيل اصابته خطيئة فمسخ، و كان يحلمه على اتان وحشية و يرسله مع الخيل فى حلبة السباق، فحمله يوما فسبق

الخيل فسر بذلك و جعل يقول:

تمسك أبا قيس بفضل زمامهافليس عليها ان سقطت ضمان

فقد سبقت خيل الجماعة كلهاو خيل امير المؤمنين اتان و ارسله مرة فى حلبة السباق فطرحته الريح فمات فحزن عليه حزنا شديدا و أمر بتكفينه و دفنه كما أمر أهل الشام أن يعزوه بمصابه الأليم، و أنشأ راثيا له:

كم من كرام و قوم ذوو محافظهجاءوا لنا ليعزوا فى أبى قيس

شيخ العشيرة امضاها و اجملهاعلى الرؤوس و فى الأعناق و الريس

لا يبعد اللّه قبرا أنت ساكنهفيه جمال و فيه لحية التيس «۲» و ذاع بين الناس هيامه و شغفه بالقرود حتى لقبوه بها، و يقول رجل من تنوخ هاجيا له:

---

(۱) الفخرى (ص ۴۵).

(۲) جواهر المطالب فى مناقب الامام على بن أبى طالب (ص ۱۴۳) من مصورات مكتبة الامام الحكيم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۳ يزيد صديق القرد ملّ جوارنافحنّ الى ارض القرود يزيد

فتبا لمن امسى علينا خليفةصحابته الادنون منه قرود «۱»

ادمانه على الخمر:

و الظاهرة البارزة من صفات يزيد ادمانه على الخمر، و قد اسرف فى ذلك الى حد كبير فلم ير فى وقت الا و هو ثمل لا يعى من السكر، و من شعره فى الخمر

اقول لصحب ضمت الكأس شملهمو داعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم و لذةفكل و إن طال المدى يتصرم «۲» و جلس يوما على الشراب و عن يمينه ابن زياد بعد قتل الحسين فقال:

اسقنى شربة تروى شاشىثم صل مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر و الامانة عندىو لتسديد مغنمى و جهادى «۳» و فى عهده طرأ تحول كبير على شكل المجتمع الاسلامى فقد ضعف ارتباط المجتمع بالدين، و انغمس الكثيرون من المسلمين فى الدعارة و المجون و لم يكن ذلك التغيير اقليميا، و انما شمل جميع الاقاليم الاسلامية فقد سادت فيها الشهوات و المتعة و الشراب، و قد تغيرت الاتجاهات الفكرية التى ينشدها الاسلام عند اغلب المسلمين.

و قد اندفع الاحرار من شعراء المسلمين فى اغلب عصورهم الى هجاء

---

(۱) انساب الاشراف ۲/ ۲

(۲) تاريخ المظفرى.

(۳) مروج الذهب ۲/ ۷۴

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۴

يزيد لادمانه على الخمر، يقول الشاعر بن عرادة:

ابنى أمية ان آخر ملككمجسد بحوّارين ثمّ مقيم

طرقت منيته و عند وسادهكوب وزق راعف مرثوم

و مرنة تبكى على نشوانه‌بالصنج تقعد تارة و تقوم «۱» و يقول فيه أنور الجندى:

خلقت نفسه الأثيمة بالمكرو هامت عيناه بالفحشاء

فهو و الكأس فى عناق طويل‌و هو و العار و الخناء فى خباء و يقول فيه بولس سلامة:

و ترفق بصاحب العرش مشغولا عن اللّه بالقيان الملاح

الف «اللّه اكبر» لا تساوى‌بين كفى يزيد نهلة راح

تتلظى فى الدن بكرا فلم‌تدنس بلثم و لا بماء قراح «۲» لقد عاقر يزيد الخمر، و اسرف فى الادمان حتى ان بعض المصادر تعزو سبب وفاته الى أنه شرب كمية كبيرة منه فاصابه انفجار فهلك منه «۳»

ندماؤه:

و اصطفى يزيد جماعة من الخلعاء و الماجنين فكان يقضى معهم لياليه الحمراء بين الشراب و الغناء و فى طليعة ندمائه الاخطل الشاعر المسيحى الخليع

---

(۱) تأريخ الطبرى ۷/ ۴۳

(۲) ملحمة الغدير (ص ۲۲۷)

(۳) تأريخ المظفرى من مصورات مكتبة الامام الحكيم، و جاء فى انساب الاشراف ۴/ ق ۲/ ۲ ان سبب وفاة يزيد انه حمل قرده على اتان، و هو سكران فركض خلفها فاندقت عنقه فانقطع شىء فى جوفه فمات

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۵

فكانا يشربان و يسمعان الغناء، و اذا اراد السفر صحبه معه «۱» و لما هلك يزيد و آل أمر الخلافة الى عبد الملك بن مروان قربه فكان يدخل عليه بغير استئذان، و عليه جبة خز، و فى عنقه سلسلة من ذهب، و الخمر يقطر من لحيته «۲».

نصيحة معاوية ليزيد:

و لما شاع استهتار يزيد و اقترافه لجميع الوان المنكر و الفساد، استدعاه معاوية فاوصاه بالتكتم فى نيل الشهوات لئلا تسقط مكانته الاجتماعية، قائلا:

يا بنى ما اقدرك على أن تصير الى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك و قدرك ثم انشده.

انصب نهارا فى طلاب العلى‌و اصبر على هجر الحبيب القريب

حتى اذا الليل اتى بالدجى‌و اكتحلت بالغمض عين الرقيب

فباشر الليل بما تشتهى‌فانما الليل نهار الأريب

كم فاسق تحسبه ناسكاقد باشر الليل بأمر عجيب «۳»

دفاع محمد عزة دروزة:

من الكتاب الذين يحملون النزعة الأموية فى هذا العصر محمد عزة دروزة فقد جهد نفسه- مع الأسف- على الدفاع عن منكرات الأمويين

---

(۱) الاغانى ۷/ ۱۷۰.

(۲) الاغانى ۷/ ۱۷۰.

(۳) البدايۀ و النهايۀ ۸/ ۲۲۸.

حياۀ الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۶

و تبرير مـا أثر عنهم من الظلم و الجور و الفساد، و قـد دافع عن معاويـۀ و نزهـۀ عما اقترفه من الموبقات التى هى لطخـۀ عار فى تأريخ الانسانيۀ ...

و قـد علق على هـذه البادرۀ بقوله: «نحن ننزه معاويـۀ صاحب رسول اللّه (ص) و كاتب وحيه، و الـذى أثرت عنه مخافـۀ اللّه و تقواه و حرصه، عن أن يرضـى من ابنه الشـذوذ عن هـذه الحـدود بله التشـجيع بل نسـتبعد هذا عن يزيد» «۱» و هـذا مما يدعو الى السـخريۀ و التفكه، فقد تنكر دروزۀ للواضحات التى لا يشك فيها أى انسان يملك عقله و اختياره، و قديما قد قيل.

و ليس يصـح فى الاذهـان شـىءاذا احتـاج النهار الى دليل أن ما أثر عن معاويـۀ من الأحـداث الجسام كقتله حجر بن عـدى، و رشـيد الهجرى و عمرو بن الحمق الخزاعى و نظرائهم من المؤمنين، و سـبه للعـترۀ الطـاهرۀ، و نكـايته بالأمـۀ بفرض يزيـد خليفـۀ عليهـا و غير ذلك من الجرائم التى ألمعنا الى بعضـها فى البحوث السابقـۀ و هى مما تـدل على تشويه اسـلامه و انحرافه عن الطريق القويم، و لكن دروزۀ و امثاله لا ينظرون الى الواقع الا بمنظار اسود فراحوا يقـدسون الامويين الذين اثبتوا بتصـرفاتهم السياسـيۀ و الاداريۀ انهم خصوم الاسلام و اعداؤه.

اقرار معاويۀ لاستهتار يزيد:

و هـام معاويـۀ بحب ولـده يزيـد فـاقره على فسـقه و فجوره، و لم يردعه عنه و يقول المؤرخون: انه نقل له ان ولـده على الشـراب فاتاه يتجسس عليه فسمعه ينشد:

---

(۱) تأريخ الجنس العربى ۸/ ۸۶.

حياۀ الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۷ اقول لصحب ضمت الكأس شملهمو داعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم و لذۀفكل و إن طال المدى يتصرم

و لا تتركوا يوم السرور الى غدفان غدا يأتى بما ليس يعلم

الا ان اهنا العيش ما سمحت بهصروف الليالى و الحوادث نوم فعاد معاويۀ الى مكانه و لم يعلمه بنفسه، و راح يقول:

و اللّه لا كنت عليه، و لا نغصت عليه عيشه «۱»

حقد يزيد على النبى:

و اترعت نفس يزيد بالحقد على النبى (ص) و البغض له، لأنه وتره باسرته يوم بدر، و لما أباد العترۀ الطاهرۀ جلس على اريكۀ الملك جـذلانا مسـرورا يهز اعطافه فقـد اسـتوفى ثأره من النبى (ص) و تمنى حضور اشـياخه ليروا كيف أخذ بثأرهم و جعل يترنم بابيات ابن الزبعرى:

ليت اشياخى ببدر شهدواجزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا و استهلوا فرحاثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من اشياخهمو عدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلاخبر جاء و لا وحى نزل

لست من خندف إن لم انتقممن بنى احمد ما كان فعل «۲»

---

(۱) تأريخ المظفرى من مصورات مكتبة الامام الحكيم.

(۲) البداية و النهاية ۸/ ۱۹۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۸

بغضه للانصار:

و كان يزيد يبغض الانصار بغضا عارما لأنهم ناصروا النبى (ص) و قاتلوا قريشا، و حصدوا رءوس اعلامهم، كما كانوا يبغضون بنى أمية فقد قتل عثمان بين ظهرانيهم و لم يدافعوا عنه، ثم بايعوا عليا، و ذهبوا معه الى صفين لحرب معاوية، و لما استشهد الامام كانوا من أهم العناصر المعادية لمعاوية، و كان يزيد يتميز من الغيظ عليهم و طلب من كعب بن جعيل التغلبى أن يهجوهم فامتنع و قال له: «اردتنى الى الاشراك بعد الايمان، لا اهجو قوما نصروا رسول اللّه (ص) و لكن ادلك على غلام منا نصرانى كأن لسانه لسان ثور- يعنى الاخطل-»

فدعا يزيد الاخطل، و طلب منه هجاء الانصار فاجابه الى ذلك، و هجاهم بهذه الابيات المقذعة:

لعن الإله من اليهود عصابةما بين صليصل و بين صرار «۱»

قوم اذا هدر القصير رأيتهمحمرا عيونهم من المسطار «۲»

خلوا المكارم لستم من اهلهاو خذوا مساحيكم بنى النجار

ان الفوارس يعلمون ظهوركمأولاد كل مقبح اكاز «۳»

ذهبت قريش بالمكارم كلهاو اللؤم تحت عمائم الانصار «۴»

---

(۱) صليصل و صرار: من الاماكن القريبة للمدينة.

(۲) المسطار: الخمر الصارعة لشاربها.

(۳) اكاز: الحراث.

(۴) طبقات الشعراء (ص ۳۹۲)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۸۹

لقد ابتدأ الاخطل هجاءه للانصار بذم اليهود و قرن بينهم و بين الانصار لأنهم يساكنونهم فى يثرب، و قد عاب على الانصار بأنهم اهل زرع و فلاحة و انهم ليسوا أهل مجد و لا مكارم و اتهمهم بالجبن عند اللقاء، و نسب الشرف و المجد الى القرشيين و اللؤم كله تحت عمائم الانصار، و قد أثار هذا الهجاء المر حفيظة النعمان بن بشير الذى هو احد عملاء الأمويين، فانبرى غضبانا الى معاوية فلما مثل عنده حسر عمامته عن رأسه و قال:

«يا معاوية أ ترى لؤما؟.»

«لا بل ارى خيرا و كرما، فما ذاك؟!!»

زعم الاخطل أن اللؤم تحت عمائمنا!!»

و اندفع النعمان يستجلب عطف معاوية قائلا

معاوى الا تعطنا الحق تعترف‌لحق الازد مسدولا عليها العمائم

أ يشتمنا عبد الاراقم ضلةفما ذا الذى تجدى عليك الاراقم

فمالى ثأر دون قطع لسانهفدونك من ترضيه عنه الدراهم «۱» قال معاوية:

- ما حاجتك؟

- لسانه

- ذلك لك

و بلغ الخبر الاخطل فأسرع الى يزيد مستجيرا به و قال له: هذا الذى كنت اخافه فطمأنه يزيد و ذهب الى أبيه، فأخبره بأنه قد اجاره، فقال معاوية: لا سبيل الى ذمة أبى خالد- يعنى يزيدا- فعفى عنه، و جعل الاخطل يفخر برعاية يزيد له، و يشمت بالنعمان بقوله:

---

(۱) العقد الفريد ۵/ ۳۲۱- ۳۲۲

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۹۰

أبا خالد دافعت عنى عظيمةو ادركت لحمى قبل أن يتبددا

و اطفأت عنى نار نعمان بعد ماأغذ لأمر عاجز و تجردا

و لما رأى النعمان دونى ابن حرةطوى الكشح اذ لم يستطعنى و عردا «۱» هذه بعض نزعات يزيد و اتجاهاته، و قد كشفت عن مسخه و تمرسه فى الجريمة و تجرده من كل خلق قويم ... و ان من مهازل الزمن و عثرات الأيام ان يكون هذا الخليع حاكما على المسلمين و اماما لهم.

دعوة المغيرة لبيعة يزيد

و أول من تصدى لهذه البيعة المشومة اعور ثقيف المغيرة بن شعبة صاحب الاحداث و الموبقات فى الاسلام «۲» و قد وصفه بروكلمان بأنه رجل انتهازى لا ذمة له و لا ذمام «۳» و هو احد دهاة العرب الخمسة «۴» و قد قضى حياته فى التآمر على الأمة، و السعى وراء مصالحه الخاصة.

اما السبب فى دعوته لبيعة يزيد- فيما يرويه المؤرخون- فهو ان معاوية اراد عزله من الكوفة ليولى عليها سعيد بن العاص «۵» فلما بلغه ذلك سافر الى دمشق ليقدم استقالته من منصبه حتى لا تكون حزازة عليه فى عزله، و اطال التفكير فى امره فرأى ان خير وسيلة لاقراره فى منصبه

---

(۱) ديوان الاخطل (ص ۸۹)

(۲) من موبقات المغيرة انه اول من رشى فى الاسلام كما يروى البيهقى كما انه كان الوسيط فى استلحاق زياد بمعاوية.

(۳) تأريخ الشعوب الاسلامية ۱/ ۱۴۵.

(۴) الطبرى

(۵) الامامة و السياسة ۲/ ۲۶۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۹۱

أن يجتمع بيزيد فيحبذ له الخلافة حتى يتوسط فى شأنه الى أبيه و التقى الماكر بيزيد فابدى له الاكبار، و اظهر له الحب، و قال له: قد ذهب اعيان محمد (ص) و كبراء قريش و ذوو اسنانهم، و انما بقى ابناؤهم، و أنت من افضلهم و احسنهم رأيا، و اعلمهم بالسنة و السياسة، و لا ادرى ما يمنع امير المؤمنين ان يعقد لك البيعة؟ ..».

و غزت هذه الكلمات قلب يزيد فشكره و اثنى على عواطفه، و قال له:

- أ ترى ذلك يتم؟

- نعم

و انطلق يزيد مسرعا الى أبيه فأخبره بمقالة المغيرة، فسر معاوية بذلك و ارسل خلفه، فلما مثل عنده أخذ يحفزه على المبادرة فى أخذ البيعة ليزيد قائلا:

«يا امير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء و الاختلاف بعد عثمان و فى يزيد منك خلف فاعقد له، فان حدث بك حدث كان كهفا للناس، و خلفا منك، و لا تسفك دماء، و لا تكون فتنة.

و اصابت هذه الكلمات الوتر الحساس فى قلب معاوية فراح يخادعه مستشيرا فى الأمر قائلا:

- من لى بهذا؟

- اكفيك أهل الكوفة، و يكفيك زياد أهل البصرة، و ليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك.

و استحسن معاوية رأيه فشكره عليه و أقره على منصبه و أمره بالمبادرة الى الكوفة لتحقيق غايته، و لما خرج من عند معاوية قال لحاشيته:

«لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أمة محمد (ص)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۹۲

و فتقت عليه فتقا لا يرتق ثم تمثل بقول الشاعر:

بمثلى شاهد النجوى و غالى‌بى الاعداء و الخصم الغضابا ففى سبيل المغنم فتق المغيرة على أمة محمد (ص) فتقا لا يرتق، و أخلد لها الكوارث و الخطوب.

و سار المغيرة الى الكوفة، و هو يحمل الشر و الدمار لأهلها و لعموم المسلمين، وفور وصوله عقد اجتماعا ضم عملاء الأمويين فعرض عليهم بيعة يزيد فاجابوه الى ذلك، و أوفد جماعة منهم الى دمشق و جعل عليهم ولده أبا موسى، فلما انتهوا الى معاوية حفزوه على عقد البيعة ليزيد، فشكرهم على ذلك و أوصاهم بالكتمان، و التفت الى ابن المغيرة فقال له:

- بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم؟

- بثلاثين الف درهم.

- فضحك معاوية و قال ساخرا:

لقد هان عليهم دينهم.

ثم اوصلهم بثلاثين الف درهم «۱» لقد استجاب لهذه البيعة و رضى بها كل من يحمل ضميرا قلقا عرضه للبيع و الشراء.

تبرير معاوية:

اشارة

و دافع جماعة من المؤلفين و الكتاب عن معاوية و برروا بيعته ليزيد التى كانت من افجع النكبات التى منى بها العالم الاسلامى، و فيما يلى بعضهم:

۱- احمد دحلان

و من اصلب المدافعين عن معاوية احمد دحلان قال: «فلما نظر

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۴۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۹۳

معاوية إلى قوة شوكتهم- يعني الأمويين- و استحكام عصبيتهم حتى انهم لو خرجت الخلافة عنهم بعده يحدثون فتنة و يقع افتراق للأمة فأراد اجتماع الكلمة يجعل الأمر فيهم، ثم انه نظر فيمن كان منهم اقوى شوكة فرآه ابنه يزيد لأنه كان كبيرا، و باشر امارة الجيوش في حياة أبيه و صارت له هيبة عند الأمراء، و له تمكن، و نفاذ كلمة فلو جعل الأمر لغيره منهم كان ذلك سببا لمنازعته لا سيما و له تمكن و اقتدار على الاستيلاء على ما في بيت المال من الأموال فيقع الافتراق و الاختلاف لو جعل الأمر لغيره، فرأى أن جعل الأمر له بهذا الاجتهاد يكون سببا للألفة، و عدم الافتراق و هذا هو السبب في جعله ولي عهده، و لم يعلم ما يبديه اللّه بعد ذلك ..» «۱».

حقنة من التراب على أمثال هؤلاء الذين دفعتهم العصبية الآثمة إلى تبرير المنكر و توجيه الباطل، فهل ان أمر الخلافة التي هي ظل اللّه في الأرض يعود الى الأمويين حتى يرعى معاوية عواطفهم و رغباتهم و هم الذين ناهضوا نبي الاسلام، و ناجزوه الحرب، و عذبوا كل من دخل في دين الاسلام فكيف يكون أمر الخلافة بأيديهم و لو كان هناك منطق و وعي ديني لكانوا في ذيل القافلة و لا يحسب لهم أي حساب.

۲- الدكتور عبد المنعم

و من المبررين لمعاوية في بيعته ليزيد الدكتور عبد المنعم ماجد قال:

«و يبدو أن معاوية قصد من وراء توريث يزيد الخلافة القضاء على افتراق كلمة الأمة الاسلامية، و وقوع الفتنة مثلما حدث بعد عثمان، و لعله أيضا أراد أن يوجد حلا للمسألة التي تركها النبي (ص) دون حل و هي ايجاد سلطة دائمة للاسلام و من المحقق أن معاوية لم يكن له مندوحة من أن يفعل

---

(۱) تاريخ دول الاسلامية (ص ۲۸).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۹۴

ذلك خوفا من غضب بني أمية الذين لم يكونوا يرضون بتسليم الأمر إلى سواهم.» «۱» و هذا الرأي لا يحمل أي طابع من التوازن فان معاوية في بيعته ليزيد لم يجمع كلمة المسلمين و انما فرقها و اخلد لهم الشر و الخطوب فقد عانت الأمة- في عهد يزيد- من ضروب البلاء و المحن ما لا يوصف لفضاعته و مرارته، فقد جهد حفيد أبي سفيان على تدمير الاسلام، و سحق جميع مقدساته و قيمه، فاباد العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم حسب النصوص النبوية المتواترة و أنزل بأهل المدينة في واقعة الحرة من الجرائم ما تندى له جبين الانسانية، فهل جمع بذلك معاوية كلمة المسلمين و وحد صفوفهم و مما يدعو إلى السخرية ما ذهب إليه من أن النبي (ص) ترك مسألة الخلافة بغير حل فجاء معاوية فحل هذه العقدة، ببيعته ليزيد!! إن النبي (ص) لم يترك أي شأن من شئون أمته بغير حل و انما وضع لها الحلول الحاسمة، و كان أهم ما عنى به شأن الخلافة فقد عهد بها إلى أفضل أمته و باب مدينة علمه الامام أمير المؤمنين (ع) و قد بايعه كبار الصحابة و عموم من كان معه في يوم الغدير، و لكن القوم كرهوا اجتماع النبوة و الخلافة في بيت واحد فزووا الخلافة عن أهل بيت نبيهم فأدى ذلك إلى أن يلي أمر المسلمين يزيد و أمثاله من المنحرفين الذين أثبتوا في تصرفاتهم أنهم لا علاقة لهم بالاسلام، و لا عهد لهم بالدين.

۳- حسين محمد يوسف

و من المدافعين- بحرارة- عن معاوية في ولايته ليزيد حسين محمد يوسف و قد أطال الكلام- بغير حجة- في ذلك، قال في آخر حديثه:

و خلاصة القول في موقف معاوية أنه كان مجتهدا في رأيه، و انه حين دعا

---

(۱) التأريخ السياسي للدولة العربية ۲/ ۶۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۹۵

الأمة الى بيعة يزيد، كان حسن الظن به «لأنه لم يثبت عنده أي نقص فيه، بل كان يزيد يدس على أبيه من يحسن له حاله، حتى اعتقد أنه أولى من أبناء بقية الصحابة كلهم» فان كان معاوية قد أصاب في اختياره فله اجران، و ان كان قد أخطأ فله أجر واحد، و ليس لأحد بعد ذلك أن يخوض فيما وراء ذلك فانما الأعمال بالنيات و لكل امرئ ما نوى» «۱».

ان من المؤسف- حقا- أن ينبرى هؤلاء، لتبرير معاوية في اقترافه لهذه الجريمة النكراء التي اغرقت العالم الاسلامي بالفتن و الخطوب .. و متى اجتهد معاوية في فرض ابنه خليفة على المسلمين؟ فقد سلك في سبيل ذلك جميع المنعطفات و الطرق الملتوية، فأرغم عليها المسلمين، و فرضها عليهم تحت غطاء مكثف من قوة الحديد .... ان معاوية لم يجتهد في ذلك، و انما استجاب لعواطفه المترعة بالحنان و الولاء لولده من دون أن يرعى أي مصلحة للأمة في ذلك.

هؤلاء بعض المؤيدين لمعاوية في عقده البيعة ليزيد، و هم مدفوعون بدافع غريب على الاسلام، و بعيد كل البعد عن منطق الحق.

كلمة الحسن البصري:

و شجب الحسن البصري بيعة يزيد، و جعلها من جملة موبقات معاوية قال: «أربع خصال: كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: ابتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، و فيهم بقايا الصحابة و ذوو الفضيلة، و استخلاف ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير، و يضرب بالطنابير، و ادعاؤه زيادا، و قد

---

(۱) سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (ص ۲۰۸).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۱۹۶

قال رسول (ص): الولد للفراش و للعاهر الحجر، و قتله حجرا و أصحابه ويل له من حجر و أصحابه ..» «۱».

كلمة ابن رشد:

و يرى الفيلسوف الكبير ابن رشد أن بيعة معاوية ليزيد قد غيرت مجرى الحياة الاسلامية و هدمت الحكم الصالح في الاسلام، قال: «ان أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح فكأنما وصف افلاطون حكومتهم في (جمهوريته) الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب أن تكون مثالا لجميع الحكومات، و لكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم، و أقام مكانه دولة بني أمية و سلطانها الشديد ففتح بذلك بابا للفتن التي لا تزال الى الآن قائمة حتى في بلادنا هذه- يعني الاندلس-» «۲».

لقد نقم على معاوية في بيعة يزيد جميع اعلام الفكر و قادة الرأي في الأمة الاسلامية منذ عهد معاوية حتى يوم الناس هذا، و وصفوها بأنها اعتداء صارخ على الأمة و خروج على ارادتها.

دوافع معاوية:

أما الـدوافع التى دعت معاوية لفرض ابنه السـكير خليفة على المسـلمين فكان من ابرزها الحب العارم لولده، فقد هام بحبه، و قد أدلى بذلك

---

(۱) الطبرى ۶/ ۲۵۷ و غيره.

(۲) ابن رشد و فلسفته (ص ۶۰) لفرج انطون.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۹۷

فى حديثه مع سعيد بن عثمان حينما طلب منه أن يرشحه للخلافة، و يدع ابنه يزيد، فسخر منه معاوية و قال له:

«و اللّه لو ملئت لى الغوطة رجالا مثلك لكان يزيد أحب إلى منكم كلكم ..» «۱».

لقد أعماه حبه لولده، و اضله عن الحق، و قد قال:

«لو لا هواى فى يزيد لأبصرت رشدى ..» «۲».

و كان يؤمن بأن استخلافه ليزيد من أعظم ما اقترفه من الذنوب، و قد صارح ولده بذلك فقال له:

«ما ألقى اللّه بشىء أعظم فى نفسى من استخلافى اياك» «۳».

لقد اقترف معاوية وزرا عظيما فيما جناه على الأمة بتحويل الخلافة إلى ملك عضوض لا يعنى فيه بارادة الأمة و اختيارها.

الوسائل الدبلوماسية فى أخذ البيعة:

اشارة

أما الوسائل الدبلوماسية التى اعتمد عليها معاوية فى فرض خليعه على المسلمين فهى:

۱- استخدام الشعراء

اشارة

أما الشعراء فكانوا فى ذلك العصر- من أقوى أجهزة الأعلام

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۸۰

(۲) المناقب و المثالب (ص ۶۸) للقاضى نعمان المصرى.

(۳) تأريخ الخلفاء لمؤلف مجهول قامت بنشره أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۱۹۸

و قـد أجزل لهم معاويـة العطاء، و أغـدق عليهم الأموال فانطلقت ألسـنتهم بالمديـح و الثناء على يزيـد فأضافوا إليه الصـفات الرفيعة، و خلعوا عليه النعوت الحسنة، و فيما يلى بعضهم:

العجاج:

و مدحه العجاج مدحا عاطرا فقال فيه:

اذا زلزل الأقوام لم تزلزلعن دين موسى و الرسول المرسل

و كنت سيف اللّه لم يفللیفرع «۱» أحيانا و حينا يختلى «۲» و معنى هذا الشعر أن يزيد يقتفى أثر الرسول موسى و النبى محمد (ص) و انه سيف اللّه البتار الا انه كان مشهورا على أولياء اللّه و أحبائه.

الأحوس:

و مدحه الشاعر الأحوس بقصيدة جاء فيها:

ملك تدين له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال نزول

يجبى له بلخ و دجلة كلهاو له الفرات و ما سقى و النيل لقد جاءته تلك الهيبة التى تخضع لها الجباه، و تزول منها الجبال من ادمانه على الخمر و مزاملته للقرود، و لعبه بالكلاب و اقترافه للجرائم و الموبقات.

مسكين الدارمى:

و من الشعراء المرتزقة مسكين الدارمى، و قد أوعز إليه معاوية أن يحثه على بيعة يزيد أمام من كان عنده من بنى أمية و أشراف أهل الشام،

---

(۱) يفرع: يعلو رءوس الناس.

(۲) شعراء النصرانية بعد الاسلام (ص ۲۳۴).

فدخل مسكين على معاوية فلما رأى مجلسه حاشدا بالناس رفع عقيرته:

ان ادع مسكينا فانى ابن معشرمن الناس أحمى عنهم و أذود

الا ليت شعرى ما يقول ابن عامرو مروان أم ما ذا يقول سعيد

بنى خلفاء اللّه مهلا فانمايبوّئها الرحمن حيث يريد

اذا المنبر الغربى خلاه ربهفان أمير المؤمنين يزيد

على الطائر الميمون و الجد ساعدلكل أناس طائر و جدود

فلا زلت اعلى الناس كعباو لم تزل وفود تساميها إليك وفود

و لا زال بيت الملك فوقك عالياتشيد أطناب له و عمود «۱» هؤلاء بعض الشعراء الذين مدحوا يزيد، و افتعلوا له المآثر لتغطية ما ذاع عنه من الدعارة و المجون.

بذل الأموال للوجوه:

و أنفق معاوية الأموال الطائلة بسخاء للوجوه و الأشراف ليقروه على فرض ولده السكير خليفة على المسلمين، و يقول المؤرخون: إنه أعطى عبد اللّه بن عمر مائة الف درهم فقبلها منه «۲» و كان ابن عمر من أصلب المدافعين عن بيعة يزيد و قد نقم على الامام الحسين (ع) خروجه عليه، و سنذكر ذلك بمزيد من التفصيل فى البحوث الآتية.

(۱) الاعانى ۸/ ۷۱.

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۵۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۰

مراسلة الولاة:

و راسل معاوية جميع عماله و ولاته فى الأقاليم الاسلامية بعزمه على عقد البيعة ليزيد، و أمرهم بتنفيذ ما يلى:

۱- اذاعة ذلك بين الجماهير الشعبية، و اعلامها بما صممت عليه حكومة دمشق من عقد الخلافة ليزيد.

۲- الايعاز للخطباء و سائر أجهزة الاعلام بالثناء على يزيد، و افتعال المآثر له:

۳- ارسال الوفود إليه من الشخصيات الاسلامية حتى يتعرف على رأيها فى البيعة ليزيد «۱» و قام الولاة بتنفيذ ما عهد إليهم، فأذاعوا ما صمم عليه معاوية من عقد البيعة ليزيد، كما أوعزوا للخطباء و غيرهم بالثناء على يزيد.

وفود الاقطار الاسلامية:

و اتصلت الحكومات المحلية فى الأقطار الاسلامية بقادة الفكر فعرضت عليهم ما عزم عليه معاوية من تولية ولده للخلافة، و طلبوا منهم السفر فورا إلى دمشق لعرض آرائهم على معاوية، و سافرت الوفود إلى دمشق و كان فى طليعتهم.

۱- الوفد العراقى بقيادة زعيم العراق الأحنف بن قيس.

۲- الوفد المدنى بقيادة محمد بن عمرو بن حزم «۲».

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۵۰.

(۲) نفس المصدر.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۱

و انتهت الوفود إلى دمشق لعرض آرائها على عامل الشام، و قد قام معاوية بضيافتهم و الاحسان إليهم.

مؤتمر الوفود الاسلامية:

و عقدت وفود الأقطار الاسلامية مؤتمرا فى البلاط الأموى فى دمشق لعرض آرائها فى البيعة ليزيد، و قد افتتح المؤتمر معاوية بالثناء على الاسلام، و لزوم طاعة ولاة الأمور، ثم ذكر يزيد و فضله، و علمه بالسياسة و دعاهم لبيعته.

المؤيدون للبيعة:

و انبرت كوكبة من أقطاب الحزب الأموى فأيدوا معاوية و حثوه على الاسراع للبيعة و هم:

۱- الضحاك بن قيس

۲- عبد الرحمن بن عثمان

۳- ثور بن معن السلمى

۴- عبد اللّه بن عصام

۵- عبد اللّه بن مسعدة

و كان معاوية قد عهد إليهم بالقيام بتأييده، و الرد على المعارضين له

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۲

خطاب الأحنف بن قيس:

و انبرى إلى الخطابة زعيم العراق و سيد تميم الأحنف بن قيس الذى تقول فيه ميسون أم يزيد: «لو لم يكن فى العراق إلا هذا لكفاهم» «۱» و تقدم فحمد اللّه و أثنى عليه ثم التفت إلى معاوية قائلا:

«أصلح اللّه أمير المؤمنين» ان الناس فى منكر زمان قد سلف،

و معروف زمان مؤتنف، و يزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف، و قد حلبت الدهر أشطره.

يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك، ثم اعصى أمر من يأمرك، و لا يغررك من يشير عليك، و لا ينظر لك، و أنت أنظر للجماعة، و اعلم باستقامة الطاعة مع ان أهل الحجاز و أهل العراق لا يرضون بهذا، و لا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا ..».

و أثار خطاب الأحنف موجة من الغضب و الاستياء عند الحزب الأموى فاندفع الضحاك بن قيس منددا به، و شتم أهل العراق، و قدح بالامام الحسن، و دعا الوفد العراقى الى الاخلاص لمعاوية و الامتثال لما دعا إليه، و لم يعن به الأحنف فقام ثانيا فنصح معاوية و دعاه إلى الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه من تسليم الأمر إلى الحسن من بعده حسب اتفاقية الصلح التى كان من أبرز بنودها ارجاع الخلافة من بعده الى الامام الحسن كما انه هدد معاوية باعلان الحرب اذا لم يف بذلك.

---

(۱) تذكرة ابن حمدون (ص ۸۱).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۳

فشل المؤتمر:

و فشل المؤتمر فشلا ذريعا بعد خطاب الزعيم الكبير الأحنف بن قيس، و وقع نزاع حاد بين أعضاء الوفود و أعضاء الحزب الأموى، و انبرى يزيد بن المقفع فهدد المعارضين باستعمال القوة قائلا:

«أمير المؤمنين هذا- و أشار الى معاوية- فان هلك فهذا- و أشار الى يزيد- و من أبى فهذا- و أشار الى السيف-».

فاستحسن معاوية قوله و راح يقول له:

«أجلس فأنت سيد الخطباء و اكرمهم».

و لم يعن به الأحنف بن قيس فانبرى الى معاوية فدعاه إلى الامساك عن بيعة يزيد، و ان لا يقدم أحدا على الحسن و الحسين، و اعرض عنه معاوية، و بقى مصرا على فكرته التى هى أبعد ما تكون عن الاسلام:

و على أى حال فان المؤتمر لم يصل الى النتيجة التى أرادها معاوية فقد استبان له أن بعض الوفود الاسلامية لا تقره على هذه البيعة و لا ترضى بها.

سفر معاوية ليثرب:

و قرر معاوية السفر إلى يثرب التى هى محط أنظار المسلمين، و فيها أبناء الصحابة الذين يمثلون الجبهة المعارضة للبيعة، فقد كانوا لا يرون يزيدا ندا لهم، و ان أخذ البيعة له خروج على ارادة الأمة، و انحراف عن الشريعة الاسلامية التى لا تبيح ليزيد أن يتولى شئون

المسلمين لما عرف به من الاستهتار و تفسخ الأخلاق.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۰۴

و سافر معاوية إلى يثرب في زيارة رسمية، و تحمل أعباء السفر لتحويل الخلافة الاسلامية إلى ملك عضوض لا ظل فيه للحق و العدل.

اجتماع مغلق:

وفور وصول معاوية إلى يثرب أمر باحضار عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه بن جعفر، و عبد اللّه بن الزبير، و عبد اللّه بن عمر، و عقد معهم اجتماعا مغلقا، و لم يحضر معهم الحسن و الحسين لأنه قد عاهد الحسن أن تكون الخلافة له من بعده فكيف يجتمع به، و ما ذا يقول له؟ و قد أمر حاجبه أن لا يسمح لأي أحد بالدخول عليه حتى ينتهي حديثه معهم.

كلمة معاوية:

و ابتدأ معاوية الحديث بحمد اللّه و الثناء عليه، و صلى على نبيه ثم قال:

«أما بعد: فقد كبر سني، و وهن عظمي، و قرب أجلي، و أوشكت أن ادعى فاجيب؟ و قد رأيت أن استخلف بعدي يزيد، و رأيته لكم رضا و أنتم عبادلة قريش، و خيارهم، و ابناء خيارهم، و لم يمنعني أن أحضر حسنا و حسينا الا انهما أولاد أبيهما علي، على حسن رأي فيهما و شدة محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيرا رحمكم اللّه ..».

و لم يستعمل معهم الشدة و الارهاب استجلابا لعواطفهم و لم يخف عليهم ذلك، فانبروا جميعا الى الانكار عليه،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۰۵

كلمة عبد اللّه بن عباس:

و أول من كلمه عبد اللّه بن عباس فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«أما بعد: فانك قد تكلمت فانصتنا و قلت: فسمعنا، و ان اللّه جل ثناؤه و تقدست أسماؤه اختار محمدا (ص) لرسالته، و اختاره لوحيه و شرفه على خلقه فاشرف الناس من تشرف به، و اولاهم بالأمر أخصهم به، و انما على الأمة التسليم لنبيها اذا اختاره اللّه لها، فانه انما اختار محمدا بعلمه، و هو العليم الخبير، و استغفر اللّه لي و لكم.»

و كانت دعوة ابن عباس صريحة في ارجاع الخلافة لأهل البيت (ع) الذين هم الصق الناس برسول اللّه (ص) و أمسهم به رحما، فان الخلافة انما هي امتداد لمركز رسول اللّه (ص) فأهل بيته أحق بمقامه و أولى بمكانته.

كلمة عبد اللّه جعفر:

و انبرى عبد اللّه بن جعفر فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«أما بعد: فان هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه، و إن أخذ فيها بسنة رسول اللّه (ص) فاولو رسول اللّه (ص) و إن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر و عمر فأي الناس أفضل و أكمل و احق بهذا الأمر من آل الرسول (ص)؟ و أيم اللّه لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه و صدقه، و لأطيع الرحمن، و عصي الشيطان، و ما اختلف في الأمة سيفان، فاتق اللّه يا معاوية فانك قد صرت راعيا و نحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسئول عنها غدا،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۰۶

و أما ما ذكرت من ابني عمي، و تركك أن تحضرهما، فو اللّه ما أصبت الحق، و لا يجوز ذلك الا بهما، و انك لتعلم انهما معدن

العلم و الكرم فقل أودع، و استغفر اللّه لى و لكم ..».

و حفل هـذا الخطاب بالـدعوة الى الحق و الاخلاص للأمـة فقـد رشح أهل البيت (ع) للخلافة و قيادة الأمة، و حذره من صـرفها عنهم كما فعل غيره من الخلفاء فكان من جراء ذلك ان منيت الامة بالأزمات و النكسات و عانت أعنف المشاكل و اقسى الحوادث.

كلمة عبد اللّه بن الزبير:

و انطلق عبد اللّه بن الزبير للخطابة فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

«أما بعد: فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية و افعالها المرضية، مع شرف الآباء و كرم الأبناء، فاتق اللّه يا معاوية و انصف نفسك فان هـذا عبـد اللّه بن عباس ابن عم رسول اللّه (ص) و هذا عبد اللّه ابن جعفر ذى الجناحين ابن عم رسول اللّه (ص) و أنا عبـد اللّه بن الزبير ابن عمـة رسول اللّه (ص) و على خلف حسـنا و حسـينا و أنت تعلم من هما و ما هما؟ فاتق اللّه يا معاوية، و أنت الحاكم بيننا و بين نفسك ..».

و قد رشح ابن الزبير هؤلاء النفر للخلافة، و قد حفزهم بذلك لمعارضة معاوية و افساد مهمته.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۷

كلمة عبد اللّه بن عمر:

و اندفع عبد اللّه بن عمر فقال بعد حمد اللّه و الصلاة على نبيه:

«أما بعـد: فان هـذه الخلافة ليست بهرقلية، و لا قيصـرية، و لا كسـروية يتوارثها الأبناء عن الآباء، و لو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبى فو اللّه ما ادخلنى مع السـتة من أصـحاب الشورى، الا على أن الخلافة ليست شـرطا مشـروطا و انما هى فى قريش خاصة لمن كان لهـا أهلا ممن ارتضاه المسـلمون لأنفسـهم ممن كان اتقى و ارضـى، فان كنت تريـد الفتيان من قريش فلعمرى أن يزيـد من فتيانها، و اعلم انه لا يغنى عنك من اللّه شيئا ..».

و لم تعبر كلمات العبادلة عن شـعورهم الفردى، و انما عبرت تعبيرا صادقا عن رأى الأغلبية الساحقة من المسلمين الذين كرهوا خلافة يزيد، و لم يرضوا بها.

كلمة معاوية:

و ثقل على معاوية كلامهم، و لم يجد ثغرة ينفذ منها للحصول على رضاهم، فراح يشيد بابنه فقال:

«قد قلت: و قلتم: و انه قد ذهبت الآباء، و بقيت الأبناء فابنى أحب إلى من ابنائهم، مع ان ابنى إن قاولتموه وجد مقالا .. و انما كان هذا الأمر لبنى عبـد مناف لأنهم اهل رسول اللّه فلما مضـى رسول اللّه ولىّ الناس أبا بكر و عمر من غير معـدن الملك و الخلافة غير أنهما سارا يسيرة جميلة ثم رجع الملك إلى بنى عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة، و قد

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۸

اخرجك اللّه يا بن الزبير، و أنت يا بن عمر منها، فأما ابنا عمى هذان فليسا بخارجين من الرأى ان شاء اللّه ..» «۱».

و انتهى اجتماع معاويـة بالعبادلـة، و قـد اخفق فيه اخفاقا ذريعا، فقـد اسـتبان له ان القوم مصـممون على رفض بيعـة يزيـد ... و على اثر ذلك غادر يثرب، و لم تذكر المصادر التى بأيدينا اجتماعه بسبطى رسول اللّه (ص) فقد اهملت ذلك و اكبر الظن انه لم يجتمع بهما.

فزع المسلمين:

و ذعر المسلمون حينما وافتهم الأنباء بتصميم معاوية على فرض ابنه خليفة عليهم، و كان من اشد المسلمين خوفا المدنيون و الكوفيون، فقد عرفوا واقع يزيد، و وقفوا على اتجاهاته المعادية للاسلام، يقول توماس آرنولد: «كان تقرير معاوية للمبدإ الوراثى نقلة خطيرة فى حياة المسلمين الذين ألفوا البيعة و الشورى، و النظم الأولى فى الاسلام و هم بعد قريبون منها و لهذا احسوا- و خاصة فى مكة و المدينة حيث كانوا يتمسكون بالأحاديث و السنن النبوية الأولى- ان الأمويين نقلوا الخلافة الى حكم زمنى متأثر بأسباب دنيوية مطبوع بالعظمة و حب الذات بدلا من أن يحتفظوا بتقوى النبى و بساطته» «۲».

لقد كان اقدام معاوية على فرض ابنه يزيد حاكما على المسلمين تحولا خطيرا فى حياة المسلمين الذين لم يألفوا مثل هذا النظام الثقيل الذى فرض عليهم بقوة السلاح.

---

(۱) الامامة و السياسة ۱/ ۱۸۰- ۱۸۳، جمهرة الخطب ۲/ ۲۳۳- ۲۳۶.

(۲) الخلافة (ص ۱۰) لتوماس.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۰۹

الجبهة المعارضة:

اشارة

و اعلن الأحرار و المصلحون فى العالم الاسلامى رفضهم القاطع لبيعة يزيد، و لم يرضوا به حاكما على المسلمين، و فيما يلى بعضهم.

۱- الامام الحسين

اشارة

و فى طليعة المعارضين لبيعة يزيد الامام الحسين فقد كان يحتقر يزيد، و يكره طباعه الذميمة، و وصفه بأنه صاحب شراب و قنص، و انه قد لزم طاعة الشيطان، و ترك طاعة الرحمن، و اظهر الفساد و عطل الحدود و استأثر بالفيء، و أحل حرام اللّه و حرم حلاله «۱» و اذا كان بهذه الضعة فكيف يبايعه و يقره حاكما على المسلمين، و لما دعاه الوليد إلى بيعة يزيد قال له الامام: «أيها الأمير إنا اهل بيت النبوة و معدن الرسالة، و مختلف الملائكة بنا فتح اللّه، و بنا يختم، و يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، و قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، و مثلى لا يبايع مثله».

و رفض بيعة يزيد جميع أفراد الأسرة النبوية تبعا لزعيمهم العظيم، و لم يشذوا عنه.

الحرمان الاقتصادى

و قابل معاوية الأسرة النبوية بحرمان اقتصادى عقوبة لهم لامتناعهم عن بيعة يزيد، فقد حبس عنهم العطاء سنة كاملة «۲» و لكن ذلك لم يثنهم عن عزمهم فى شجب البيعة و رفضها.

---

(۱) تأريخ ابن الاثير.

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۵۲، الامامة و السياسة ۱/ ۲۰۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۰

۲- عبد الرحمن بن أبى بكر

و من الذين نقموا على بيعة يزيد عبد الرحمن بن أبى بكر، فقد و سمها بأنها هرقلية كلما مات هرقل قام مكانه هرقل آخر «۱» و أرسل إليه معاوية مائة الف درهم ليشترى بها ضميره فأبى و قال: لا أبيع دينى «۲».

۳- عبد اللّه بن الزبير

و رفض عبد اللّه بن الزبير بيعة يزيد، و وصفه بقوله: «يزيد الفجور، و يزيد القرود، و يزيد الكلاب، و يزيد النشوات، و يزيد الفلوات» «۳» و لما أجبرته السلطة المحلية فى يثرب على البيعة فرّ منها، إلى مكة.

۴- المنذر بن الزبير

و كره المنذر بن الزبير بيعة يزيد، و شجبها، و أدلى بحديث له عن فجور يزيد امام أهل المدينة فقال: «انه قد أجازنى بمائة الف، و لا يمنعنى ما صنع بى أن أخبركم خبره و اللّه إنه ليشرب الخمر، و اللّه إنه ليسكر حتى يدع الصلاة» «۴».

۵- عبد الرحمن بن سعيد

و امتنع عبد الرحمن بن سعيد من البيعة ليزيد، و قال فى هجائه:

---

(۱) الاستيعاب.

(۲) الاستيعاب البداية و النهاية ۸/ ۸۹.

(۳) انساب الاشراف ۴/ ۳۰.

(۴) الطبرى ۴/ ۳۶۸.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۱ لست منا و ليس خالك منايا مضيع الصلاة للشهوات «۱»

۶- عابس بن سعيد

و رفض عابس بن سعيد بيعة يزيد، حينما دعاه إليها عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فقال له: «أنا أعرف به منك، و قد بعت دينك بدنياك» «۲».

۷- عبد اللّه بن حنظلة

و كان عبد اللّه بن حنظلة من أشد الناقمين على البيعة ليزيد، و كان من الخارجين عليه فى وقعة الحرة، و قد خاطب أهل المدينة فقال لهم:

«فو اللّه ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ..

إن رجلا ينكح الأمهات و البنات، و يشرب الخمر، و يدع الصلاة و اللّه لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت للّه فيه بلاء حسنا ..» «۳»

و كان يرتجز فى تلك الواقعة:

بعدا لمن رام الفساد و طغى‌و جانب الحق و آيات الهدى

لا يبعد الرحمن الا من عصى «۴_____»

(۱) الحسين بن على ۲/ ۶.

(۲) القضاة للكندى (ص ۳۱۰).

(۳) طبقات ابن سعد.

(۴) تأريخ الطبرى ۷/ ۱۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۲

موقف الاسرة الأموية:

اشارة

و نقمت الأسـرة الأموية على معاوية فى عقده البيعة ليزيد، و لكن لم تكن نقمتهم عليه مشـفوعة بدافع دينى أو اجتماعى، و انما كانت من أجل مصالحهم الشخصية الخاصة، لأن معاوية قلد ابنه الخلافة و حرمهم منها، و فيما يلى بعض الناقمين:

۱- سعيد بن عثمان

و حينما عقد معاوية البيعة ليزيد أقبل سعيد بن عثمان إلى معاوية و قد رفع عقيرته قائلا:

«علام جعلت ولـدك يزيـد ولى عهـدك فو اللّه لأبى خير من أبيه، و أمى خير من أمه، و أنا خير منه، و قـد ولىناك فما عزلناك، و بنا نلت ما نلت ..».

فراوغ معاوية، و قال له:

«أمـا قولـك: إن أبـاك خير من أبيه فقـد صـدقت، لعمر اللّه إن عثمان لخير منى، و أما قولك: ان أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون فى بيت قومها و ان يرضاها بعلها، و ينجب ولدها، و أما قولك:

انك خير من يزيد، فو اللّه ما يسرنى أن لى بيزيد ملء الغوطة ذهبا مثلك و أما قولك: انكم وليتمونى فما عزلتمونى فما وليتمونى انما ولاـنى من هو خير منكم عمر بن الخطـاب فـأقررتمونى، و مـا كنت بئس الوالى لكم، لقـد قمت بثاركم، و قتلت قتلـة أبيكم، و جعلت الأمر فيكم و أغنيت فقيركم، و رفعت الوضيع منكم ..».

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۳

و كلمه يزيد فارضاه، و جعله واليا على خراسان «۱».

۲- مروان بن الحكم

و شجب مروان بن الحكم البيعة ليزيد، و تقديمه عليه فقد كان شيخ الأمويين و زعيمهم، فقال له:

«اقم يا ابن أبى سفيان: و اهدأ من تأميرك الصبيان، و اعلم ان لك فى قومك نظراء و ان لهم على مناوئتك وزرا».

فخادعه معاوية و قال له:

«أنت نظير امير المؤمنين بعده، و فى كل شدة عضده، فقد وليتك قومك، و أعظمنا فى الخراج سهمك، و إنا مجيرو وفدك و محسنو

رفدك» «۲».

و قال مروان: لمعاوية «جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم «۳».

۳- زياد بن أبيه

و كره زياد بن أبيه بيعة معاوية لولده، و ذلك لما عرف به من الاستهتار و الخلاعة و المجون و يقول المؤرخون: ان معاوية كتب إليه يدعوه إلى أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد، و انه ليس أولى من المغيرة بن شعبة، فلما قرأ كتابه دعا برجل من أصحابه كان يأتمنه حيث لا يأتمن أحدا غيره فقال له: انى أريد أن ائتمنك على ما لم آتمن عليه بطون الصحائف ائت معاوية و قل له: يا أمير المؤمنين ان كتابك ورد على بكذا، فما ذا يقول

---

(۱) وفيات الأعيان ۵/ ۳۸۹- ۳۹۰.

(۲) الامامة و السياسة ۱/ ۱۲۸.

(۳) الاسلام و الحضارة العربية ۲/ ۳۹۵.

الناس انا دعوناهم إلى بيعة يزيد، و هو يلعب بالكلاب و القرود، و يلبس المصبغ، و يدمن الشراب، و يمسى على الدفوف، و يحضرهم- أى الناس- الحسين بن على، و عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه بن الزبير، و عبد اللّه ابن عمر، و لكن تأمره أن يتخلق باخلاق هؤلاء حولا أو حولين، فعسانا أن نموه على الناس، و سار الرسول الى معاوية فادى إليه رسالة زياد فاستشاط غضبا، و راح يتهدده و يقول:

«و يلى على ابن عبيد لقد بلغنى أن الحادى حدا له أن الأمير بعدى زياد، و اللّه لأردنه الى أمه سمية و الى أبيه عبيد.» «۱».

هؤلاء بعض الناقدين لمعاوية من الأسرة الأموية و غيرهم فى توليته خليعه يزيد خليفة على المسلمين.

ايقاع الخلاف بين الأمويين:

و اتبع معاوية سياسة التفريق بين الأمويين حتى يصفو الأمر لولده يزيد، فقد عزل عامله على يثرب سعيد بن العاص، و استعمل مكانه مروان بن الحكم، ثم عزل مروان و استعمل سعيدا مكانه، و أمره بهدم داره، و مصادرة أمواله، فأبى سعيد من تنفيذ ما أمره به معاوية فعزله، و ولى مكانه مروان، و أمره بمصادرة أموال سعيد و هدم داره فلما همّ مروان بتنفيذ ما عهد إليه أقبل إليه سعيد و أطلعه على كتاب معاوية فى شأنه فامتنع مروان من القيام بما أمره معاوية، و كتب سعيد الى معاوية رسالة يندد فيها بعمله و قد جاء فيها:

«العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا فى قرابتنا له أن يضغن بعضنا

---

(۱) تأريخ اليعقوبى ۲/ ۱۹۶.

على بعض .. فامير المؤمنين فى حمله و صبره على ما يكره من الاخبثين، و عفوه و ادخاله القطيعة بنا، و الشحناء و توارث الأولاد ذلك» «۱».

و علق عمر ابو النصر على سياسة التفريق التى تبعها معاوية مع اسرته بقوله:

«إن سبب هذه السياسة هو رغبة معاوية فى ايقاع الخلاف بين اقاربه الذين يخشى نفوذهم على يزيد من بعده فكان يضرب بعضهم

ببعض حتى يظلوا بحاجة إلى عطفه و عنايته.» «۲».

تجميد البيعة:

و جمد معاوية رسميا البيعة ليزيد الى اجل آخر حتى يتم له ازالة الحواجز و السدود التى تعترض طريقه، و يقول المؤرخون: انه بعد ما التقى بعبادلة قريش فى يثرب و اطلع على آرائهم المعادية لما ذهب إليه اوقف كل نشاط سياسى فى ذلك و ارجئ العمل الى وقت آخر «۳».

اغتيال الشخصيات الاسلامية:

اشارة

و رأى معاوية انه لا يمكن بأى حال تحقيق ما يصبو إليه من تقليد ولده الخلافة مع وجود الشخصيات الرفيعة التى تتمتع باحترام بالغ فى نفوس المسلمين فعزم على القيام باغتيالهم ليصفو له الجو فلا يبقى أمامه أى مزاحم

---

(۱) الطبرى ۴/ ۱۸.

(۲) السياسة عند العرب (ص ۹۸) لعمر ابو النصر.

(۳) الامامة و السياسة ۱/ ۱۸۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۶

و قد قام باغتيال الذوات التالية:

۱- سعد بن أبى وقاص

و لسعد المكافة العليا فى نفوس الكثيرين من المسلمين فهو أحد اعضاء الشورى و فاتح العراق، و قد ثقل مركزه على معاوية فدس إليه سما فمات منه «۱».

۲- عبد الرحمن بن خالد

و اخلص اهل الشام لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد و أحبوه كثيرا و قد شاورهم معاوية فيمن يعقد له البيعة بعد وفاته، فقالوا له: رضينا بعبد الرحمن بن خالد، فشق ذلك عليه و أسرها فى نفسه، و مرض عبد الرحمن، فأمر معاوية طبيبا يهوديا كان مكينا عنده ان يأتيه للعلاج فيسقيه سقية تقتله، فسقاه الطبيب فمات على اثر ذلك «۲».

۳- عبد الرحمن بن ابى بكر

و كان عبد الرحمن بن أبى بكر من اقوى العناصر المعادية لبيعة معاوية لولده، و قد انكر عليه ذلك، و بعث إليه معاوية بمائة الف درهم فردها عليه، و قال: لا ابيع دينى بدنياى و لم يلبث أن مات فجأة بمكة «۳» و تعزو المصادر سبب وفاته الى أن معاوية دس إليه سما فقتله.

---

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۲۹).

(۲) الاستيعاب.

(۳) المصدر نفسه.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۷

۴- الامام الحسن

و قام معاوية باقتراف أعظم جريمة و اثم فى الاسلام، فقد عمد إلى اغتيال سبط النبى (ص) و ريحانته الامام الحسن (ع) الذى عاهده بأن يكون الخليفة من بعده ... و لم يتحرج الطاغية من هذه الجريمة فى سبيل إنشاء دولة أموية تنتقل بالوراثة إلى أبنائه و اعقابه، و قد وصفه «الميجر اوزبورن» بانه مخادع و ذا قلب خال من كل شفقة، و انه كان لا يتهيب من الاقدام على أية جريمة من أجل أن يضمن مركزه فالقتل احدى وسائله لازالة خصومه و هو الذى دبر تسميم حفيد الرسول (ص) كما تخلص من مالك الأشتر قائد على بنفس الطريقة «۱».

و قد استعرض الطاغية السفاكين ليعهد إليهم القيام باغتيال ريحانة النبى (ص) فلم ير أحدا خليقا بارتكاب الجريمة سوى جعيدة بنت الأشعث فانها من بيت قد جبل على المكر و طبع على الغدر و الخيانة، فأرسل الى مروان بن الحكم سما فاتكا كان قد جلبه من ملك الروم، و أمره بأن يغرى جعيدة بالأموال، و زواج ولده يزيد اذا استجابت له، و فاوضها مروان سرا، ففرحت، فأخذت منه السم، و دسته للامام و كان صائما فى وقت ملتهب من شدة الحر، و لما وصل إلى جوفه تقطعت أمعاؤه، و التفت الى الخبيثة فقال لها:

«قتلتينى قتلك اللّه، و اللّه لا تصيبن منى خلفا، لقد غرك- يعنى معاوية- و سخر منك يخزيك اللّه، و يخزيه.».

و أخذ حفيد الرسول (ص) يعانى الآلام الموجعة من شدة السم،

---

(۱) روح الاسلام (ص ۲۹۵).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۸

و قد ذبلت نضارته و اصفر لونه، حتى وافاه الأجل المحتوم، و قد ذكرنا تفصيل وفاته مع ما رافقها من الأحداث فى كتابنا (حياة الامام الحسن)

اعلان البيعة رسميا:

و صفا الجو لمعاوية بعد اغتياله لسبط الرسول (ص) و ريحانته، فقد قضى على من كان يحذر منه، و قد استتبت له الأمور، و خلت الساحة من أقوى المعارضين له، و كتب الى جميع عماله أن يبادروا دون ما أى تأخير الى اخذ البيعة ليزيد، و يرغموا المسلمين على قبولها، و اسرع الولاة فى اخذ البيعة من الناس، و من يخلف عنها نال اقصى العقوبات الصارمة.

مع المعارضين فى يثرب:

و امتنعت يثرب من البيعة ليزيد، و اعلن زعماؤها و على رأسهم الامام الحسين (ع) رفضهم القاطع للبيعة، و رفعت السلطة المحلية ذلك الى معاوية فرأى أن يسافر الى يثرب ليتولى بنفسه اقناع المعارضين، فان أبوا اجبرهم على ذلك، و اتجه معاوية الى يثرب فى موكب رسمى تحوطه قوة هائلة من الجيش، و لما انتهى إليها استقبله أعضاء المعارضة فجفاهم و هددهم و فى اليوم الثانى ارسل الى الامام الحسين و الى عبد اللّه بن عباس، فلما مثلا عنده قابلهما بالتكريم و الحفاوة، و أخذ يسأل الحسين (ع) عن ابناء اخيه و الامام

يجيبه ثم خطب معاويـة فأشاد بالنبى (ص) و اثنى عليه، و عرض الى بيعـة يزيد و منح ابنه الألقاب الفخمة و النعوت الكريمة و دعاهما الى بيعته.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۱۹

خطاب الامام الحسين:

و انبرى أبى الضيم فحمد اللّه و اثنى عليه ثم قال:

«أما بعـد: يا معاويـة فلن يؤدى المادح و ان اطنب فى صـفة الرسول (ص) من جميع جزءا، و قـد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول اللّه (ص) من ايجاز الصـفة، و التنكب عن اسـتبلاغ النعت، و هيهات هيهات يا معاويـة!! فضح الصـبح فحمة الدجى، و بهرت الشـمس أنوار السـرج و لقد فضلت حتى افرطت، و استأثرت حتى اجحفت، و منعت حتى بخلت، و جرت حتى جاوزت، ما بذلت لذى حق من اسم حقه من نصيب، حتى اخذ الشيطان حظه الأوفر، و نصيبه الأكمل.

و فهمت ما ذكرته عن يزيـد من اكتماله، و سياسـته لأمـة محمـد (ص) تريـد أن توهم الناس فى يزيـد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، و قـد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من اسـتقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش و الحمام السبق لأترابهن، و القيان ذوات المعازف، و ضروب الملاهى تجده ناصرا.

و دع عنك ما تحاول: فما اغناك ان تلقى اللّه بوزر هـذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فو اللّه ما برحت تقدح باطلا فى جور، و حنقا فى ظلم، حتى ملأت الأسـقية، و ما بينك و بين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشـهود، و لات حين مناص، و رأيتك عرضت بنا بعـد هذا الأمر، و متعتنا عن آبائنا تراثا، و لعمر اللّه اورثنا الرسول (ص) ولادة، و جئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك و رده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل، و فعلتم الأفاعيل و قلتم: كان

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۰

و يكون حتى اتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا أولى الابصار.

و ذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول اللّه (ص) و تأميره له، و قد كان ذلك و لعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول و بيعته لـه، و مـا صـار لعمر اللّه يومئـذ مبعثهم حـتى انـف القـوم امرته، و كرهـوا تقـديمه و عـدوا عليه افعـاله، فقـال (ص): لاـ جرم يـا معشـر المهـاجرين لاـ يعمل عليكم بعـد اليوم غيرى، فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول فى اوكـد الأحكام، و أولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف صـاحبت بصـاحب تابعـا، و حولك من لا يؤمن فى صـحبته، و لا يعتمـد فى دينه و قرابته، و تتخطاهم الى مسـرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بهذا الباقى فى دنياه و تشقى بها فى آخرتك، ان هذا لهو الخسران المبين، و استغفر اللّه لى و لكم ..».

و فنـد الامـام فى خطابه جميع شـبهات معاويـة و سـد عليه جميع الطرق و النوافـذ، و حمله المسـئولية الكبرى فيما اقـدم عليه من ارغام المسـلمين على البيعة لولده، كما عرض للخلافة و ما منيت به من الانحراف عما أرادها اللّه من أن تكون فى العترة الطاهرة الا ان القوم زووها عنهم، و حرفوها عن معدنها الأصيل.

و ذهل معاوية من خطاب الامام، و ضاقت عليه جميع السبل فقال لابن عباس:

«ما هذا يا بن عباس؟».

«لعمر اللّه إنها لذريـة الرسول (ص) و أحـد اصـحاب الكساء، و من البيت المطهر قاله: عما تريد، فان لك فى الناس مقنعا حتى يحكم اللّه

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۱

بامره و هو خير الحاكمين ..» «۱».

و نهض ابى الضيم و ترك معاوية يتميز من الغيظ، و قد استبان له أنه لا يتمكن أن يخدع الامام الحسين و يأخذ البيعة منه.

ارغام المعارضين:

و غادر معاوية يثرب متجها الى مكة و هو يطيل التفكير فى أمر المعارضين فرأى أن يعتمد على وسائل العنف و الارهاب، و حينما وصل الى مكة احضر الامام الحسين، و عبد اللّه بن الزبير، و عبد الرحمن بن أبى بكر و عبد اللّه بن عمر و عرض عليهم مرة أخرى البيعة إلى يزيد فاعلنوا رفضهم لها، فانبرى إليهم مغضبا و قال:

«انى أتقدم إليكم انه قد اعذر من انذر انى كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم منكم فيكذبنى على رءوس الناس فاحمل ذلك و اصفح، و انى قائم بمقالة فاقسم باللّه لئن رد على أحدكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يسبقنى رجل الا على نفسه ..».

و دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال له: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء، رجلين و مع كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد علىّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما، ثم خرج و خرجوا معه فرقى المنبر فحمد اللّه و اثنى عليه ثم قال:

«ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين و خيارهم لا يبتز أمر دونهم،

---

(۱) الامامة و السياسة ۱/ ۱۹۵- ۱۹۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۲

و لا يقضى الا عن مشورتهم، و انهم رضوا و بايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم اللّه ..».

فبايعه الناس، ثم ركب رواحله، و غادر مكة «۱» و قد حسب معاوية ان الأمر قد تم لولده، و استقر الملك فى بيته، و لم يعلم أنه قد جر الدمار على دولته، و اعد المجتمع للثورة على حكومة ولده.

موقف الامام الحسين:

كان موقف الامام الحسين مع معاوية يتسم بالشدة و الصرامة، فقد أخذ يدعو المسلمين بشكل سافر الى مقاومة معاوية، و يحذرهم من سياسته الهدامة الحاملة لشارات الدمار الى الاسلام.

وفود الاقطار الاسلامية:

و اخذت الوفود تترى على الامام من جميع الأقطار الاسلامية و هى تعج بالشكوى إليه و تستغيث به مما ألم بها من الظلم و الجور، و تطلب منه القيام بانقاذها من الاضطهاد، و نقلت الاستخبارات فى يثرب الى السلطة المحلية تجمع الناس و اختلافهم على الامام الحسين، و كان الوالى مروان ففزع من ذلك و خاف إلى حد بعيد.

---

(۱) الكامل ۳/ ۲۵۲، الامالى ۲/ ۷۳، ذيل الامالى (ص ۱۷۷) عيون الاخبار ۲/ ۲۱۰ البيان و التبيين ۱/ ۳۰۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۳

مذكرة مروان لمعاوية:

اشارة

و رفع مروان مذكرة لمعاوية سجل فيها تخوفه من تحرك الامام، و اختلاف الناس عليه، و هذا نصها:

«أما بعد فقد كثر اختلاف الناس الى حسين، و اللّه انى لأرى لكم منه يوما عصيبا» «۱».

جواب معاوية:

و أمره معاوية بعدم القيام بأى حركة مضادة للامام فقد كتب إليه:

«اترك حسينا ما تركك، و لم يظهر لك عداوته، و يبد صفحته، و اكمن عنه كمون الثرى ان شاء اللّه و السلام ..» «۲».

لقد خاف معاوية من تطور الأحداث، فعهد الى مروان بعدم التعرض له بأى أذى أو مكروه.

رأى مروان فى ابعاد الامام:

و اقترح مروان على معاوية ابعاد الامام عن يثرب و فرض الاقامة الجبرية عليه فى الشام، ليقطعه عن الاتصال بأهل العراق، و لم يرتض معاوية ذلك فرد عليه «اردت و اللّه أن تستريح منه و تبتلينى به، فان صبرت عليه صبرت على ما أكره و ان اسأت إليه قطعت رحمه ..» «۳».

---

۱ و ۲ أنساب الاشراف ق ۱ ج ۱.

۳ العقد الفريد ۲/ ۱۱۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۴

رسالة معاوية للحسين:

اشارة

و اضطرب معاوية من تحرك الامام و اختلاف الناس عليه فكتب إليه رسالة، و قد رويت بصورتين.

۱- رواها البلاذرى و هذا نصها: «أما بعد: فقد انهيت إلى عنك امور إن كانت حقا فانى لم اظنها بك رغبة عنها، و ان كانت باطلة فأنت اسعد الناس بمجانبتها، و بحظ نفسك تبدأ، و بعهد اللّه توفى فلا تحملنى على قطيعتك و الإساءة إليك، فانك متى تنكرنى انكرك، و متى تكدنى اكدك فاتق اللّه يا حسين فى شق عصا الأمة، و ان تردهم فى فتنة.» «۱».

۲- رواها ابن كثير و هذا نصها: «ان من اعطى اللّه صفقة يمينه و عهده لجدير بالوفاء، و قد انبئت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك الى الشقاق، و أهل العراق من قد جربت، قد افسدوا على أبيك و أخيك، فاتق اللّه، و اذكر الميثاق فانك متى تكدنى اكدك» «۲».

و احتوت هذه الرسالة حسب النص الأخير على ما يلى:

۱- ان معاوية قد طالب الامام بتنفيذ ما شرطه عليه فى بنود الصلح أن لا يخرج عليه، و قد وفى له الامام بذلك الا ان معاوية لم يف بشىء مما أبرمه على نفسه من شروط الصلح.

۲- ان معاوية كان على علم بوفود أهل الكوفة التى دعت الامام للخروج عليه و قد وسمهم بأنهم أهل الشقاق و انهم قد غدروا بعلى و الحسن من قبل.

۳- التهديد السافر للامام بأنه متى كاد معاوية فانه يكيده.

(۱) انساب الأشراف ق ۱ ج ۱.

(۲) تأريخ ابن كثير ۸/ ۱۶۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۵

جواب الامام:

و رفع الامام إلى معاوية مذكرة خطيرة كانت جوابا لرسالته حمله مسئوليات جميع ما وقع فى البلاد من سفك الدماء، و فقدان الأمن، و تعريض الأمة للأزمات، و هى من أروع الوثائق الرسمية التى حفلت بذكر الأحداث التى صدرت من معاوية و هذا نصها:

«أما بعد: فقد بلغنى كتابك نذكر فيه أنه انتهت إليك عنى أمور أنت عنها راغب و أنا بغيرها عندك جدير، و ان الحسنات لا يهدى لها و لا يسدد إليها إلا اللّه تعالى.

أما ما ذكرت أنه رقى إليك عنى، فانه انما رقاه إليك الملاقون المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، و كذب الغاوون. ما أردت لك حربا، و لا عليك خلافا، و إنى لأخشى اللّه فى ترك ذلك منك، و من الاعذار فيه إليك و إلى اوليائك القاسطين حزب الظلمة.

أ لست القاتل حجر بن عدى أخا كندة و اصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، و يستعظمون البدع، و يأمرون بالمعروف، و ينهون عن المنكر، و لا يخافون فى اللّه لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما و عدوانا، من بعد ما أعطيتهم الايمان المغلظة و المواثيق المؤكدة، جراءة على اللّه و استخفافا بعهده.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعى صاحب رسول اللّه (ص) العبد الصالح الذى ابلته العبادة فنحل جسمه و اصفر لونه، فقتلته بعد ما أمنته و اعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رءوس الجبال.

أ و لست بمدعى زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، و قد قال رسول اللّه (ص): الولد للفراش و للعاهر الحجر

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۲۶

فتركت سنة رسول اللّه (ص) تعمدا و تبعت هواك بغير هدى من اللّه ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم، و يسمل أعينهم، و يصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة و ليسوا منك.

أ و لست قاتل الحضرمى الذى كتب فيه إليك زياد أنه على دين على كرم اللّه وجهه فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين على، فقتلهم، و مثل بهم بأمرك، و دين على هو دين ابن عمه (ص) الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، و لو لا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء و الصيف.

و قلت: فيما قلت: انظر لنفسك و دينك و لأمة محمد (ص) و اتق شق عصا هذه الأمة، و ان تردهم الى فتنة، و انى لا اعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، و لا اعظم لنفسى و لدينى و لأمة محمد (ص) أفضل من ان أجاهرك، فان فعلت فانه قربة إلى اللّه، و ان تركته فانى استغفر اللّه لدينى، و اسأله توفيقه لارشاد أمرى.

و قلت: فيما قلت: إنى إن انكرتك تنكرنى، و إن اكدك تكدنى فكدنى ما بدا لك. فانى أرجو أن لا يضرنى كيدك، و ان لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك و تحرصت على نقض عهدك.

و لعمرى ما وفيت بشرط، و لقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح و الايمان و العهود و المواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا و قتلوا، و لم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا و تعظيمهم حقنا، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن

يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۲۷

فابشر يا معاوية بالقصاص، و استيقن بالحساب، و اعلم أن للّه تعالى كتابا لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا احصاها. و ليس اللّه بناس لأخذك بالظنة و قتلك أولياءه على التهم، و نفيك اياهم من دورهم الى دار الغربة و اخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب، و يلعب بالكلاب ما أراك الا قد خسرت نفسك، و تبرت دينك «۱» و غششت رعيتك و سمعت مقالة السفيه الجاهل و اخفت الورع التقي و السلام» «۲».

لا اكاد أعرف وثيقة سياسية في ذلك العهد عرضت لعبث السلطة و سجلت الجرائم التي ارتكبها معاوية، و الدماء التي سفكها، و النفوس التي أرعبها غير هذه الوثيقة، و هي صرخة في وجه الظلم و الاستبداد «و للّه كم هي هذه الكلمة رقيقة شاعرة (كأنك لست من هذه الأمة و ليسوا منك) هذه الكلمة المشبعة بالشعور القومي الشريف و قديما قال الصابي: «إن الرجل من قوم ليست له أعصاب تقسو عليهم» و هو اتهام من الحسين لمعاوية في وطنيته و قوميته، و اتخذ من الدماء الغزيرة المسفوكة عنوانا على ذلك» «۳».

لقد حفلت هذه المذكرة بالأحداث الخطيرة التي اقترفها معاوية و عماله خصوصا زياد بن سمية الذي نشر الارهاب و الظلم بين الناس فقتل على الظنة و التهمة، و اعدم كل من كان على دين الامام امير المؤمنين الذي هو دين ابن عمه رسول اللّه (ص) و قد اسرف هذا الطاغية في سفك الدماء بغير حق، و من الطبيعي انه لم يقترف ذلك الا بايعاز من معاوية فهو الذي عهد إليه بذلك:

---

(۱) تبرت: اهلكت دينك.

(۲) الامامة و السياسة ۱/ ۲۸۴، رجال الكشي (ص ۳۲) الدرجات الرفيعة (ص ۳۳۴).

(۳) الامام الحسين (ص ۳۳۸).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۲۸

صدى الرسالة:

و لما انتهت رسالة الامام الى معاوية ضاق بها ذرعا، و راح يراوغ على عادته و يقول: «ان أثرنا بأبي عبد اللّه الا أسدا» «۱».

المؤتمر السياسي العام:

و عقد الامام في مكة مؤتمرا سياسيا عاما دعا فيه جمهورا غفيرا ممن شهد موسم الحج من المهاجرين و الانصار و التابعين و غيرهم من سائر المسلمين فانبرى (ع) خطيبا فيهم، و تحدث ببليغ بيانه بما ألم بعترة النبي (ص) و شيعتهم من المحن و الخطوب التي صبها عليهم معاوية و ما اتخذه من الاجراءات المشددة من أخفاء فضائلهم، و ستر ما أثر عن الرسول الأعظم في حقهم و الزم حضار مؤتمره باذاعة ذلك بين المسلمين، و فيما يلي نص حديثه فيما رواه سليم بن قيس قال:

«و لما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن علي، و عبد اللّه ابن عباس، و عبد اللّه بن جعفر، فجمع الحسين بني هاشم و نساءهم و مواليهم، و من حج من الأنصار ممن يعرفهم الحسين و أهل بيته، ثم أرسل رسلا، و قال لهم: لا تدعوا أحدا حج العام من أصحاب رسول اللّه (ص) المعروفين بالصلاح و النسك الا اجمعوهم لي، فاجتمع إليه بمنى اكثر من سبعمائة رجل و هم في سرادق، عامتهم من التابعين، و نحو من مائتي رجل من اصحاب النبي (ص) فقام فيهم خطيبا «فحمد اللّه و اثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فان هذا الطاغية- يعني معاوية- قد فعل بنا و بشيعتنا

---

(۱) سير الاعلام النبلاء ۳/ ۱۹۸.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۲۹

ما قد رأيتم، و علمتم و شهدتم، و انى أريد أن اسألكم عن شيء فان صدقت فصدقونى، و إن كذبت فكذبونى، اسمعوا مقالتى، و اكتبوا قولى، ثم ارجعوا إلى امصاركم و قبائلكم، فمن أمنتم من الناس، و وثقتم به فادعوهم الى ما تعلمون من حقنا، فانى أتخوف أن يدرس هذا الأمر و يغلب، و اللّه متم نوره و لو كره الكافرون».

و ما ترك شيئا مما أنزله اللّه فيهم من القرآن الا تلاه و فسره و لا شيئا مما قاله رسول اللّه (ص) فى أبيه و أخيه و فى نفسه و أهل بيته إلا رواه.

و كل ذلك يقول أصحابه: اللهم نعم، قد سمعنا و شهدنا، و يقول التابعى: اللهم قد حدثنى به من أصدقه و ائتمنه من الصحابة فقال (ع).

«أنشدكم اللّه الا حدثتم به من تثقون به و بدينه ..» «۱».

و كان هذا المؤتمر أول مؤتمر اسلامى عرفه المسلمون فى ذلك الوقت و قد شجب فيه الامام سياسة معاوية و دعا المسلمين لاشاعة فضائل أهل البيت (ع)، و اذاعة مآثرهم التى حاولت السلطة حجبها عن المسلمين.

رسالة جعدة للامام:

اشارة

و كان جعدة بن هبيرة بن أبى وهب من اخلص الناس للامام الحسين عليه السّلام، و اكثرهم مودة له و قد اجتمعت عنده الشيعة، و أخذوا يلحون عليه فى مراسلة الامام للقدوم الى مصرهم ليعلن الثورة على حكومة معاوية، و رفع جعدة رسالة للامام و هذا نصها:

«أما بعد: فان من قبلنا من شيعتك متطلعة انفسهم إليك، لا يعدلون بك أحدا، و قد كانوا عرفوا رأى الحسن اخيك فى الحرب. و عرفوك باللين

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۲۱۶- ۲۱۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۳۰

لأوليائك و الغلظة على أعدائك، و الشدة فى أمر اللّه، فان كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا فقد وطنا أنفسنا على الموت معك.».

جواب الامام:

و لم يكن من رأى الامام الحسين الخروج على معاوية، و ذلك لعلمه بفشل الثورة و عدم نجاحها، فان معاوية بما يملك من وسائل دبلوماسية و عسكرية لا بد أن يقضى عليها، و يخرجها من اطارها الاسلامى الى حركة غير شرعية و يوسم القائمين بها بالتمرد و الخروج على النظام، و قد اجابهم عليه السلام بعد البسملة و الثناء على اللّه بما يلى:

«أما اخى فانى ارجو أن يكون اللّه قد وفقه و سدده، و أما أنا فليس رأيى اليوم ذاك، فالصقوا رحمكم اللّه بالأرض، و اكمنوا فى البيوت و احترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا، فان يحدث اللّه به حدثا و أنا حى كتبت إليكم برأيى و السلام ..» «۱».

لقد أمر (ع) شيعته بالخلود إلى الصبر و الامساك عن المعارضة، و أن يلزموا بيوتهم خوفا عليهم من سلطان معاوية الذى كان يأخذ

البرىء بالسقيم و المقبل بالمدبر و يقتل على الظنة و التهمة، و اكبر الظن ان هذه الرسالة كانت فى عهد زياد الذى سمل عيون الشيعة، و صلبهم على جذوع النخل و دمرهم تدميرا ساحقا.

---

(۱) الأخبار الطوال (ص ۲۰۳) انساب الأشراف ج ۱ ق ۱

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۳۱

نصيحة الخدرى للامام:

و شاعت فى الأوساط الاجتماعية أنباء وفود أهل الكوفة، على الامام الحسين (ع) و استنجادهم به لانقاذهم من ظلم معاوية و جوره، و لما علم ابو سعيد الخدرى بذلك خف مسرعا للامام ينصحه و يحذره، و هذا نص حديثه: «يا أبا عبد اللّه انى انا ناصح، و انى عليكم مشفق، و قد بلغنى أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة، يدعونكم الى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فانى سمعت أباك يقول بالكوفة، و اللّه لقد مللتهم، و ابغضتهم و ملونى و أبغضونى، و ما يكون منهم وفاء قط، و من فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، و اللّه ما لهم ثبات و لا عزم على أمر، و لا صبر على السيف» «۱»

و ليس من شك فى أن أبا سعيد الخدرى كان من ألمع أصحاب الامام امير المؤمنين و اكثرهم اخلاصا و ولاء لأهل البيت، و قد دفعه حرصه على الامام الحسين، و خوفه عليه من معاوية أن يقوم بالنصيحة له فى عدم خروجه على معاوية، و لم تذكر المصادر التى بأيدينا جواب الامام الحسين له.

استيلاء الحسين على اموال للدولة:

اشارة

و كان معاوية ينفق اكثر أموال الدولة على تدعيم ملكه، كما كان يهب الأموال الطائلة لبنى أمية لتقوية مركزهم السياسى و الاجتماعى، و كان الامام الحسين يشجب هذه السياسة، و يرى ضرورة انقاذ الأموال من من معاوية و انفاقها على المحتاجين، و قد اجتازت على يثرب أموال من اليمن الى خزينة دمشق، فعمد الامام الى الاستيلاء عليها، و وزعها على

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۱۶۱، تأريخ ابن عساكر ۱۳/ ۶۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۳۲

المحتاجين من بنى هاشم و غيرهم و كتب الى معاوية:

«من الحسين بن على الى معاوية بن أبى سفيان، أما بعد: فان عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا و حللا و عنبرا و طيبا إليك، لتودعها خزائن دمشق، و تعل بها بعد النهل بنى أبيك، و انى احتجت إليها فاخذتها و السلام ...».

و أجابة معاوية

«من عبد اللّه معاوية الى الحسين بن على، أما بعد: فان كتابك ورد على تذكر ان عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا، و حللا و عنبرا و طيبا إلى لأودعها خزائن دمشق، و اعل بها بعد النهل بنى أبى، و انك احتجت إليها فأخذتها، و لم تكن جديرا بأخذها اذ نسبتها إلى لأن الوالى أحق بالمال، ثم عليه المخرج منه، و ايم اللّه لو تركت ذلك حتى صار إلى لم ابخسك حظك منه و لكننى قد ظننت يا ابن

أخى ان فى رأسك نزوة، و بودى أن يكون ذلك فى زمانى فاعرف لك قدرك، و اتجاوز عن ذلك و لكننى و اللّه اتخوف أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة».

و كتب فى اسفل كتابه هذه الأبيات:

يا حسين بن على ليس ماجئت بالسائغ يوما و العلل

أخذك المال و لم تؤمر بهان هذا من حسين لعجل

قد اجزناها و لم نغضب لهاو احتملنا من حسين ما فعل

يا حسين بن على ذا الأملك بعدى وثبة لا تحتمل

و بودى اننى شاهدهافاليها منك بالخلق الأجل

اننى أرهب ان تصل بمنعنده قد سبق السيف العذل «۱»

---

(۱) شرح نهج البلاغة ۴/ ۳۲۷ الطبعة الأولى.

و فى هذا الكتاب تهديد للامام بمن يخلف معاوية و هو ابنه يزيد الذى لا يؤمن بمقام الحسين و مكانته من رسول اللّه (ص).

و على أى حال فقد قام الامام بانقاذ هذه الأموال من معاوية و انفقها على الفقراء فى حين أنه لم يكن يأخذ لنفسه أى صلة من معاوية، و قد قدم له مالا كثيرا و ثيابا وافرة و كسوة فاخرة فرد الجميع عليه «۱»، و قد روى الامام موسى بن جعفر (ع) ان الحسن و الحسين كانا لا يقبلان جوائز معاوية «۲».

حديث موضوع:

من الأخبار الموضوعة ما روى ان الامام الحسين وفد مع أخيه الحسن على معاوية فأمر لهما بمائة ألف درهم و قال لهما:

«خذها و أنا ابن هند، ما اعطاها أحد قبلى، و لا يعطيها أحد بعدى ..».

فانبرى إليه الامام الحسين قائلا:

«و اللّه ما أعطى احد قبلك و لا بعدك لرجلين اشرف منا ..».

و لا مجال للقول بصحة هذه الرواية فان الامام الحسين (ع) لم يفد على معاوية بالشام، و انما وفد عليه الامام الحسن (ع) لا لأجل الصلة و العطاء كما يذهب لذلك بعض السذج من المؤرخين، و انما كان الغرض ابراز الواقع الأموى، و التدليل على مساوئ معاوية، كما اثبتت ذلك

---

(۱) الحسين ۱/ ۱۱۷ لعلى جلال.

(۲) حياة الامام موسى بن جعفر ۲/ ۳۳۲.

مناظراته مع معاوية و بطانته، و التى لم يقصد فيها الا تلك الغاية، و قد أوضحنا ذلك بصورة مفصلة فى كتابنا (حياة الامام الحسن).

الحسين مع بنى أمية:

كانت العداوة بين الحسين و بين بنى أمية ذاتية فهى عداوة الضد للضد، و قد سأل سعيد الهمدانى الامام الحسين عن بنى أمية فقال

(ع) «إنا و هم الخصمان اللذان اختصما فى ربهم ..» «۱».

أجل انهما خصمان فى أهدافهما، و خصمان فى اتجاههما، فالحسين (ع) كان يمثل جوهر الايمان باللّه، و بمثل القيم الكريمة التى يشرف بها الانسان و بنو أمية كانوا يمثلون مساوئ الجاهلية التى تهبط بالانسان الى مستوى سحيق و كان الأمويون بحسب طباعهم الشريرة، يحقدون على الامام الحسين و يبالغون فى توهينه، و قد جرت منازعة بين الحسين و بين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فى مال كان بينهما فتحامل الوليد على الحسين فى حقه، فثار الامام فى وجهه و قال:

«احلف باللّه لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى، ثم لأقومن فى مسجد رسول اللّه (ص) وادعون بحلف الفضول ..».

لقد أراد أن يحيى حلف الفضول الذى أسسه الهاشميون و الذى كان شعاره انصاف المظلومين و الأخذ بحقوقهم، و قد حاربه الأمويون فى جاهليتهم لأنه يتنافى مع طباعهم و مصالحهم.

و انبرى عبد اللّه بن الزبير فانضم للحسين و انتصر له و قال:

---

(۱) الكنى و الأسماء ۱/ ۷۷ لأبى بشر الدولابى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۳۵

«و أنا احلف باللّه لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينتصف من حقه أو نموت جميعا.».

و بلغ المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى الحديث فانضم للحسين، و قال بمثل مقالته و شعر الوليد بالوهن و الضعف، فتراجع عن غيه، و انصف الحسين (ع) من حقه «۱».

و من الوان الحقد الأموى على الحسين أنه كان جالسا فى مسجد النبى (ص) فسمع رجلا يحدث اصحابه، و يرفع صوته ليسمع الحسين و هو يقول:

«انا شاركنا آل أبى طالب فى النبوة حتى نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب و النسب، و نلنا من الخلافة ما لم ينالوا فبم يفخرون علينا؟».

و كرر هذا القول ثلاثا، فأقبل عليه الحسين فقال له: انى كففت عن جوابك فى قولك الأول حلما، و فى الثانى عفوا، و أما فى الثالث فانى مجيبك انى سمعت أبى يقول: ان فى الوحى الذى أنزله اللّه على محمد (ص) اذا قامت القيامة الكبرى حشر اللّه بنى أمية فى صور الذر يطؤهم الناس حتى يفرغ من الحساب ثم يؤتى بهم فيحاسبوا، و يصار بهم الى النار «۲» و لم يطق الأموى جوابا و انصرف و هو يتميز من الغيظ ..

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن موقف الامام مع معاوية و بنى أمية، و نعرض فيما يلى الى وفاة معاوية و ما رافقها من الأحداث.

---

(۱) سيرة ابن هشام ۱/ ۱۴۲.

(۲) المناقب و المثالب للقاضى نعمان المصرى (ص ۶۱).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۳۶

مرض معاوية:

و مرض معاوية و تدهورت صحته، و لم تجد معه الوصفات الطبية، فقد تناهبت جسمه الأمراض، وفد شعر بدنو اجله، و كان فى حزن على ما اقترفه فى قتله لحجر بن عدى فكان ينظر إليه شبحا مخيفا، و كان يقول:

و يلى منك يا حجر! إن لى مع ابن عدى ليوما طويلا «۱» و تحدث الناس عن مرضه، فقالوا إنه الموت، فأمر أهله أن يحشوا عينيه

اثمدا، و يسبغوا على رأسه الطيب، و يجلسوه ثم أذن للناس فدخلوا و سلموا عليه قياما فلما خرجوا من عنده أنشد قائلا:

و تجلدى للشامتين أريهم‌أنى لريب الدهر لا اتضعضع فسمعه رجل من العلويين فأجابه.

و اذا المنية أنشبت أظفارهاالفيت كل تميمة لا تنفع «۲»

وصاياه:

و لما ثقل حال معاوية عهد بوصيته إلى يزيد، و قد جاء فيها «يا بنى انى قد كفيتك الشر و الترحال، و وطأت لك الأمور، و ذللت لك الأعداء و اخضعت لك رقاب العرب و جمعت لك ما لم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك، و اكرم من قدم عليك منهم، و تعاهد من غاب، و انظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل

---

(۱) الفتنة الكبرى ۲/ ۲۴۵.

(۲) حياة الحيوان للدميرى ۱/ ۵۹.

أيسر من أن يشهر عليك مائة الف سيف، و انظر أهل الشام فليكونوا بطانتك و عيبتك، فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فان أقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم ..

و انى لست اخاف عليك أن ينازعك فى هذا الأمر الا أربعة نفر من قريش الحسين بن على، و عبد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن الزبير و عبد الرحمن ابن أبى بكر، فاما ابن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة، فاذا لم يبق احد غيره بايعك و اما الحسين بن على فهو رجل خفيف، و لن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فان خرج و ظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة و حقا عظيما و قرابة من محمد، و أما ابن ابى بكر فان رأى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة الا فى النساء و اللهو، و اما الذى بجثم لك جثوم الأسد، و يراوغك مراوغة الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به فقطعه اربا اربا و احقن دماء قومك ما استطعت ..» «۱».

و اكبر الظن ان هذه الوصية من الموضوعات فقد افتعلت لاثبات حلم معاوية و انه عهد الى ولده بالاحسان الشامل الى المسلمين و هو غير مسئول عن تصرفاته .. و مما يؤيد وضعها ما يلى:

۱- ان المؤرخين رووا أن معاوية أوصى يزيد بغير ذلك فقال له:

ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته «۲» و كان مسلم بن عقبة جزارا جلادا لا يعرف الرحمة و الرأفة، و قد استعمله يزيد بعهد من أبيه فى واقعة الحرة فاقترف كل موبقة

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۵۹.

(۲) تأريخ خليفة خياط ۱/ ۲۲۹.

و اثم، فكيف تلتقى هذه الوصية بتلك الوصية التى عهد فيها بالاحسان الى أهل الحجاز.

۲- انه اوصاه برعاية عواطف العراقيين، و الاستجابة لهم اذا سألوه فى كل يوم عزل من ولاه عليهم، و هذا يتنافى مع ما ذكره المؤرخون انه عهد بولاية العراق الى عبيد اللّه بن زياد، و هو يعلم شدته و صرامته و غدره، فهو ابن زياد الذى أغرق العراق بدماء الأبرياء فهل العهد إليه بولاية العراق من الاحسان الى العراقيين و البر بهم؟!!

۳- انه جاء فی هذه الوصية انه يتخوف عليه من عبد اللّه بن عمر و قد وصفه بأنه قد وقذته العبادة، و اذا كان كذلك فهو بطبيعة الحال منصرف عن السلطة و المنازعات السياسية فما معنى التخوف منه؟!!

۴- انه جاء فی هذه الوصية انه يتخوف عليه من عبد الرحمن بن أبی بكر، و قد نص المؤرخون انه توفی فی حياة معاوية، فما معنى التخوف عليه من انسان ميت؟

۵- انه أوصاه برعاية الحسين (ع) و ان له رحما ماسة و حقا عظيما و قرابة من رسول اللّه (ص) و من المؤكد ان معاوية بالذات لم يرع أی جانب من جوانب القرابة من رسول اللّه، فقد قطع جميع أواصرها فقد فرض سبها على رءوس الاشهاد، و عهد إلى لجان التربية و التعليم بتربية النشیء ببغض أهل البيت، و لم يتردد فی ارتكاب أی وسيلة للحط من شأنهم، و قد علق الاستاذ عبد الهادی المختار على هذه الفقرات من الوصية بقوله:

«و تقول بعض المصادر ان معاوية أوصى ولده يزيد برعاية الحسين و الذی نعتقده أنه لا أثر لها من الصحة، فان معاوية لم يتردد فی اغتيال

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۲۳۹

الامام الحسن حتى بعد ما بايعه، فكيف يوصی ولده بالعفو عن الحسين ان ظفر به.

لم يكن معاوية بالذی يرعى لرسول اللّه (ص) حرمة أو قرابة حتى يوصی ابنه برعاية آل محمد، كلا ابدا فقد حارب الرسول فی الجاهلية حتى أسلم كرها يوم فتح مكة، ثم حارب صهر الرسول و خليفته و ابن عمه عليا، و نزا على خلافة المسلمين، و انتزعها قهرا، و سم ابن بنت الرسول الحسن، فهل يصدق بعد هذا كله أن يوصی بمثل ما أوصى به.

قد يكون أوصاه أن يغتاله سرا و يدس له السم، أو يبعث له من يطعنه بلبل- ربما كان هذا الفرض اقرب الى الصحة من تلك الوصية- و لكن المؤرخين سامحهم اللّه أرادوا أن يبرءوا ساحة الأب، و يلقوا جميع التبعات على الابن و هما فی الحقيقة غرس اثم واحد و ثمرة جريمة واحدة و أضاف يقول:

و لو ان الوصية المزعومة كانت صحيحة لما كان يزيد لا هم له بعد موت أبيه الا تحصيل البيعة من الحسين و تشديده على عامله بالمدينة بلزوم اجبار الحسين على البيعة.» «۱».

موت معاوية:

و استقبل معاوية الموت غير مطمئن فكان يتوجع و يظهر الجزع على ما اقترفه من الاسراف فی سفك دماء المسلمين و نهب أموالهم، و قد وافاه الأجل فی دمشق محروما عن رؤية ولده الذی اغتصب له الخلافة و حمله

---

(۱) مجلة الغری السنة الثامنة العدد ۹ و ۱۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۲۴۰

على رقاب المسلمين، و كان يزيد فيما يقول المؤرخون مشغولا عن أبيه- فی اثناء وفاته- برحلات الصيد و عربدات السكر، و نغمة العيدان.

و بهذا ينتهی بنا الحديث عن حكومة معاوية، و ما رافقها من الأحداث الجسام.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۲۴۱

حكومة يزيد

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۴۳

و تسلم يزيد بعد هلاك أبيه قيادة الدولة الاسلامية، و هو فى غضارة العمر، لم تهذبه الأيام و لم تصقله التجارب، و انما كان- فيما اجمع عليه المؤرخون- موفور الرغبة فى اللهو و القنص و الخمر و النساء و كلاب الصيد و ممعنا كل الامعان فى اقتراف المنكر و الفحشاء، و لم يكن حين هلاك أبيه فى دمشق، و انما كان فى رحلات الصيد فى حوارين الثنية «۱» فأرسل إليه الضحاك بن قيس رسالة يعزيه فيها بوفاة معاوية، و يهنئه بالخلافة، و يطلب منه الاسراع الى دمشق ليتولى أزمة الحكم، و حينما قرأ الرسالة اتجه فورا نحو عاصمته فى ركب من أخواله، و كان ضخما كثير الشعر، و قد شعث فى الطريق و ليس عليه عمامة، و لا متقلدا بسيف، فأقبل الناس يسلمون عليه، و يعزونه، و قد عابوا عليه ما هو فيه، و راحوا يقولون:

«هذا الاعرابى الذى ولاه معاوية أمر الناس، و اللّه سأله عنه» «۲»

و اتجه نحو قبر أبيه فجلس عنده و هو باك العين، و أنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاس يخب بهفاوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ما ذا فى كتابكمقال الخليفة أمسى مدنفا وجعا «۳» ثم سار متجها نحو القبة الخضراء فى موكب رسمى تحف به علوج أهل الشام و اخواله و سائر بنى أمية.

---

(۱) الفتوح ۴/ ۲۶۵.

(۲) تأريخ الاسلام للذهبى ۱/ ۲۶۷.

(۳) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۴۴

خطاب العرش:

و اتجه يزيد نحو منصة الخطابة ليعلن للناس سياسته، و مخططات حكومته، فلما استوى عليها ارتج عليه، و لم يطق الكلام، فقام إليه الضحاك بن قيس، فصاح به يزيد ما جاء بك؟ قال له الضحاك: كلم الناس و خذ عليهم، فأمره بالجلوس «۱»، و انبرى خطيبا فقال:

«الحمد للّه الذى ما شاء صنع، و من شاء منع، و من شاء خفض و من شاء رفع ان امير المؤمنين- يعنى معاوية- كان حبلا من حبال اللّه مده، ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه، و كان دون من قبله، و خيرا مما يأتى بعده، و لا أزكيه عند ربه و قد صار إليه، فان يعف عنه فبرحمته و إن يعاقبه فبذنبه، و قد وليت بعده الأمر و لست اعتذر من جهل، و لا اتى على طلب علم، و على رسلكم اذا كره اللّه شيئا غيره و اذا أحب شيئا يسره ..» «۲».

و لم يعرض يزيد فى هذا الخطاب لسياسة دولته، و لم يدل بأى شىء مما تحتاج إليه الأمة فى مجالاتها الاقتصادية و الاجتماعية، و من المقطوع به ان ذلك مما لم يفكر به، و انما عرض لطيشه و جبروته و استهانته بالأمة فهو لا يعتذر إليها من أى جهل يرتكبه، و لا من سيئة يقترفها، و انما على الأمة الاذعان و الرضا لظلمه و بطشه.

---

(۱) تأريخ الخلفاء، نشر اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى

(۲) العقد الفريد ۴/ ۱۵۳ عيون الأخبار ۲/ ۲۳۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۴۵

خطابه فی أهل الشام:

و خطب فی أهل الشام خطابا أعلن فيه عن عزمه و تصميمه على الخوض فی حرب مدمرة مع أهل العراق، و هذا نصه:

«يا أهل الشام فان الخير لم يزل فيكم، و سيكون بينی و بين أهل العراق حرب شديد، و قد رأيت فی منامی كأن نهرا يجری بينی و بينهم دما عبيطا، و جعلت أجهد فی منامی أن أجوز ذلك النهر فلم اقدر على ذلك حتى جاءنی عبيد اللّه بن زياد فجازه بين يدی، و أنا أنظر إليه.».

و انبری أهل الشام فأعلنوا تأييدهم و دعمهم الكامل له قائلين:

«يا امير المؤمنين امض بنا حيث شئت» و اقدم بنا على من أحببت فنحن بين يديك، و سيوفنا تعرفها أهل العراق فی يوم صفين.».

فشكرهم يزيد و اثنی على اخلاصهم و ولائهم له «۱» و قد بات من المقطوع به عند أوساط الشام ان يزيد سيعلن الحرب على أهل العراق لكراهتهم لبيعته، و تجاوبهم مع الامام الحسين. حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ج۲ ۲۴۵ مع المعارضة فی يثرب: ..... ص : ۲۴۵

مع المعارضة فی يثرب:

و لم يرق ليزيد أن يرى جبهة معارضة، لا- تخضع لسلطانه، و لا- تدين بالولاء لحكومته و قد عزم على التنكيل بها بغير هوادة، فقد استتبت له الأمور و خضعت له الرقاب، و صارت أجهزة الدولة كلها بيده فما الذی يمنعه من ارغام اعدائه و مناوئيه.

و أهم ما كان يفكر به من المعارضين الامام الحسين (ع) لأنه يتمتع

---

(۱) الفنوح ۵/ ۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۴۶

بنفوذ واسع النطاق، و مكانة مرموقة بين المسلمين فهو حفيد صاحب الرسالة و سيد شباب أهل الجنة، أما ابن الزبير فلم تكن له تلك الأهمية البالغة فی نفسه.

الاوامر المشددة الى الوليد:

و أصدر يزيد أوامره المشددة الى عامله على يثرب الوليد بن عتبة بارغام المعارضين له على البيعة، و قد كتب إليه رسالتين:

الأولى و قد رويت بصورتين و هما:

۱- رواها الخوارزمی و هذا نصها: أما بعد: فان معاوية كان عبدا من عباد اللّه أكرمه، و استخلصه، و مكن له ثم قبضه الى روحه و ريحانه و رحمته، عاش بقدر و مات بأجل، و قد كان عهد إلی و أوصانی بالحذر من آل أبی تراب لجرأتهم على سفك الدماء، و قد علمت يا وليد ان اللّه تبارك و تعالى منتقم للمظلوم عثمان بآل أبی سفيان لأنهم أنصار الحق و طلاب العدل فاذا ورد عليك كتابی هذا فخذ البيعة على أهل المدينة» «۱».

و قد احتوت هذه الرسالة على ما يلی:

۱- نعی معاوية إلى الوليد

۲- تخوف يزيد من الأسرة النبوية لأنه قد عهد إليه أبوه بالحذر منها، و هذا يتنافی مع تلك الوصية المزعومة لمعاوية التی جاء فيها

اهتمامه بشأن الحسين (ع) و الزام ولده بتكريمه و رعاية مقامه.

۳- الاسراع فى اخذ البيعة من أهل المدينة.

۲- رواها البلاذرى، و هذا نصها: «أما بعد: فان معاوية بن أبى سفيان كان عبدا من عباد اللّه أكرمه اللّه، و استخلفه، و خوله،

---

(۱) مقتل الخوارزمى ۱/ ۱۷۸.

و مكن له فعاش بقدر و مات بأجل، فرحمة اللّه عليه، فقد عاش محمودا و مات برا تقيا و السلام ..» «۱».

و اكبر الظن ان هذه الرواية هى الصحيحة فالها قد اقتصرت على نعى معاوية الى الوليد من دون أن تعرض إلى أخذ البيعة من الحسين و غيره من المعارضين، اما على الرواية الأولى، فانه يصبح ذكر الرسالة التالية- التى بعثها يزيد الى الوليد لارغام الحسين على البيعة لغوا.

الثانية: رسالة صغيرة، و صفت كأنها اذن فأرة، و قد رويت بثلاث صور:

۱- رواها الطبرى و البلاذرى، و هذا نصها: «أما بعد. فخذ حسينا، و عبد اللّه بن عمر و عبد اللّه بن الزبير أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا و السلام» «۲».

۲- رواها اليعقوبى و هذا نصها: «اذا أتاك كتابى فاحضر الحسين بن على و عبد اللّه بن الزبير، فخذهما بالبيعة فان امتنعا فاضرب أعناقهما، و ابعث إلى برءوسهما و خذ الناس بالبيعة فمن امتنع فانفذ فيه الحكم، و فى الحسين بن على و عبد اللّه بن الزبير و السلام» «۳».

و ليس فى الرواية الثانية ذكر لعبد اللّه بن عمر، و اكبر الظن أنه أضيف اسمه الى الحسين و ابن الزبير لالحاقه بالجبهة المعارضة و تبريره من التأييد السافر لبيعة يزيد.

۳- رواها الحافظ ابن عساكر، و هذا نصها: «إن ادع الناس

---

(۱) انساب الأشراف ج ۱ ق ۱ ص ۱۲۴.

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۸۴ أنساب الأشراف ج ۱ ق ۱ ص ۱۲۴

(۳) تأريخ اليعقوبى ۲/ ۲۱۵.

فبايعهم، و ابدا بوجوه قريش و ليكن اول من تبدأ به الحسين بن على فان أمير المؤمنين- يعنى معاوية- عهد إلى فى أمره الرفق و استصلاحه» «۱»

و ليس فى هذه الرواية ذكر لابن الزبير و ابن عمر اذ لم تكن لهما أية أهمية فى نظر يزيد إلا انا نشك فيما جاء فى أخر هذه الرسالة من أن معاوية قد عهد إلى يزيد الرفق بالحسين و استصلاحه، فان معاوية قد وقف موقفا ايجابيا يتسم بالعداء و الكراهية لعموم أهل البيت (ع) و اتخذ ضدهم جميع الاجراءات القاسية كما ألمعنا الى ذلك فى البحوث السابقة، و اكبر الظن ان هذه الجملة قد اضيفت إليها لتبرير معاوية، و نفى للمسئولية عنه فيما ارتكبه ولده من الجرائم ضد العترة الطاهرة.

بقى هنا شىء و هوان هذه الرسالة قد وصفها المؤرخون كأنها اذان فأرة لصغرها و لعل السبب فى ارسالها بهذا الحجم هو ان يزيد قد حسب ان الوليد سينفذ ما عهد إليه من قتل الحسين و ابن الزبير، و من الطبيعى ان لذلك كثيرا من المضاعفات السيئة و من أهمها ما يلحقه من التذمر و السخط الشامل بين المسلمين فأراد أن يجعل التبعة على الوليد، و أنه لم يعهد إليه بقتلهما، و انه لو أمره بذلك

لاصدر مرسوما خاصا مطولا به.

و حمل الرسالتين زريق مولى معاوية فاخذ يجذ فى السير لا يلوى على شيء حتى انتهى الى يثرب «۲» و كان معه عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح متلثما لا يبدو منه الا عيناه فصادفه عبد اللّه بن الزبير فاخذ بيده و جعل

---

(۱) تأريخ ابن عساكر ۱۳/ ۶۸.

(۲) تأريخ الاسلام للذهبى ۱/ ۲۶۹، تأريخ خليفة خياط ۱/ ۲۲۲ و جاء فى تأريخ ابن عساكر ۱۳/ ۶۸ و كتب يزيد مع عبد اللّه بن عمر، و ابن ادريس العامرى عامر بن لؤى هذه الرسالة.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۴۹

يسأله عن معاوية و هو لا يجيبه، فقال له: امات معاوية؟ فلم يكلمه بشيء فاعتقد بموت معاوية، و قفل مسرعا الى الحسين و أخبره الخبر «۱»، فقال له الحسين: إنى أظن ان معاوية قد مات، فقد رأيت البارحة فى منامى كأن منبر معاوية منكوس، و رأيت داره تشتعل نارا فأولت ذلك فى نفسى بموته «۲».

و اقبل زريق الى دار الوليد فقال للحاجب استأذن لى، فقال قد دخل و لا سبيل إليه، فصاح به زريق: انى جئته بأمر، فدخل الحاجب و أخبره بالأمر فاذن له، و كان جالسا على سرير فلما قرأ كتاب يزيد بوفاة معاوية جزع جزعا شديدا، و جعل يقوم على رجليه، و يرمى بنفسه على فراشه «۳».

فزع الوليد:

و فزع الوليد مما عهد إليه يزيد من التنكيل بالمعارضين، فقد كان على يقين من أن أخذ البيعة من هؤلاء النفر ليس بالأمر السهل، حتى يقابلهم بالعنف، او يضرب أعناقهم- كما أمره يزيد- ان هؤلاء النفر لم يستطع معاوية مع ما يتمتع به من القابليات الدبلوماسية أن يخضعهم لبيعة يزيد، فكيف يصنع الوليد أمرا عجز عنه معاوية.

---

(۱) شرح نهج البلاغة ۲/ ۱۱۵.

(۲) الفتوح ۵/ ۱۴.

(۳) تأريخ خليفة خياط ۱/ ۲۲۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۵۰

استشارته لمروان:

و حار الوليد فى امره فرأى انه فى حاجة الى مشورة مروان عميد الأسرة الأموية فبعث خلفه، فاقبل مروان و عليه قميص أبيض و ملاء موردة «۱» فنعى إليه معاوية فجزع مروان و عرض عليه ما أمره يزيد من ارغام المعارضين على البيعة له و اذا اصروا على الامتناع فيضرب أعناقهم، و طلب من مروان أن يمنحه النصيحة، و يخلص له فى الرأى.

رأى مروان:

و اشار مروان على الوليد فقال له: ابعث إليهم فى هذه الساعة فتدعوهم الى البيعة و الدخول فى طاعة يزيد، فان فعلوا قبلت ذلك منهم، و ان ابوا قدمهم، و اضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فانهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فاظهر الخلاف، و

دعا إلى نفسه، فعند ذلك اخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به، الا عبد اللّه بن عمر فانه لا ينازع فى هذا الأمر أحدا .. مع انى اعلم ان الحسين بن على لا يجيبك إلى بيعة يزيد، و لا يرى له عليه طاعة، و و اللّه لو كنت فى موضعك لم اراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته كائنا فى ذلك ما كان.

و عظم ذلك على الوليد و هو احنك بنى أمية و أملكهم لعقله و رشده فقال لمروان:

«يا ليت الوليد لم يولد و لم يك شيئا مذكورا.».

---

(۱) تأريخ الاسلام للذهبى ۱/ ۲۶۹.

فسخر منه مروان و راح يندد به قائلا:

«لا تجزع مما قلت لك: فان آل أبى تراب هم الأعداء من قديم الدهر و لم يزالوا و هم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين- يعنى معاوية- فحاربوه ..».

و نهره الوليد فقال له:

«ويحك يا مروان عن كلامك هذا، و احسن القول فى ابن فاطمة فانه بقية النبوة» «۱».

و اتفق رأيهم على استدعاء القوم، و عرض الأمر عليهم للوقوف على مدى تجاوبهم مع السلطة فى هذا الأمر.

أضواء على موقف مروان:

لقد حرض مروان الوليد على التنكيل بالمعارضين، و استهدف بالذات الامام الحسين، فالح بالفتك به ان امتنع من البيعة و فيما أحسب انه انما دعاه لذلك ما يلى:

۱- ان مروان كان يحقد على الوليد، و كانت بينهما عداوة متأصلة و هو- على يقين- ان الوليد يحب العافية، و لا ينفذ ما عهد إليه فى شأن الامام الحسين، فاستغل الموقف، و راح يشدد عليه فى اتخاذ الاجراءات الصارمة ضد الامام، ليستبين لطاغية الشام موقفه فيسلب ثقته عنه، و يقصيه عن ولاية يثرب، و فعلا قد تحقق ذلك فان يزيد حينما علم بموقف الوليد مع الحسين (ع) غضب عليه و أقصاه عن منصبه.

---

(۱) الفتوح ۵/ ۱۲- ۱۳.

۲- ان مروان كان ناقما على معاوية حينما عهد بالخلافة لولده و لم يرشحه لها، لأنه شيخ الأمويين و اكبرهم سنا، فأراد أن يورط يزيد فى قتل الامام ليكون به زوال ملكه.

۳- كان مروان من الحاقدين على الحسين لأنه سبط رسول اللّه (ص) الذى حصد رءوس بنى أمية، و نفى اباه الحكم عن يثرب، و قد لعنه و لعن من تناسل منه، و قد بلغ الحقد بمروان للأسرة النبوية أنه منع من دفن جنازة الحسن (ع) مع جده رسول اللّه (ص) و يقول المؤرخون: إنه كان يبغض أبا هريرة لأنه يروى ما سمعه من رسول اللّه (ص) فى فضل سبطيه و ريحانتيه، و قد دخل علىّ أبى هريرة عائدا له فقال له:

«يا أبا هريرة ما وجدت عليك فى شىء منذ اصطحبنا الا فى حبك الحسن و الحسين».

فأجابه ابو هريرة:

«اشهد لقد خرجنا مع رسول اللّه (ص) فسمع الحسن و الحسين يبكيان، فقال: ما شأن ابنى؟ فقالت فاطمة: العطش .. يا مروان كيف لا أحب هذين، و قد رأيت من رسول اللّه ما رأيت.» «۱».

لقد دفع مروان الوليد الى الفتك بالحسين لعله يستجيب له فيروى بذلك نفسه المترعة بالحقد و الكراهية لعترة النبى (ص).

۴- كان مروان- على يقين- انه سيلى الخلافة، فقد أخبره الامام امير المؤمنين وصى النبى (ص) و باب مدينة علمه حينما تشفع الحسنان به بعد واقعة الجمل، فقال: ان له امرة كلعقة الكلب انفه، و قد اعتقد بذلك مروان، و قد حرض الوليد على الفتك بالحسين ليكون

---

(۱) تأريخ ابن عساكر ۴/ ۲۰۸.

ذلك سببا لزوال ملك بنى سفيان، و رجوع الخلافة إليه.

هذه بعض الأسباب التى حفزت مروان الى الاشارة على الوليد بقتل الامام الحسين و انه لم يكن بذلك مشفوعا بالولاء و الاخلاص الى يزيد.

استدعاء الحسين:

و أرسل الوليد فى منتصف الليل «۱» عبد اللّه بن عمرو بن عثمان و هو غلام حدث خلف الحسين و ابن الزبير، و انما بعثه فى هذا الوقت لعله يحصل على الوفاق من الحسين و لو سرا على البيعة ليزيد، و هو يعلم انه اذا اعطاه ذلك فلن يخيس بعهده، و لن يتخلف عن قوله.

و مضى الفتى يدعو الحسين و ابن الزبير للحضور عند الوليد فوجدهما فى مسجد النبى (ص) فدعاهما إلى ذلك فاستجابا له، و أمراه بالانصراف و ذعر ابن الزبير، فقال للامام:

- ما تراه بعث إلينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها؟

- أظن أن طاغيتهم- يعنى معاوية- قد هلك فبعث إلينا بالبيعة قبل أن يفشو بالناس الخبر.

- و أنا ما اظن غيره فما تريد أن تصنع؟

- اجمع فتيانى الساعة، ثم اسير إليه، و اجلسهم على الباب.

- إنى اخاف عليك اذا دخلت.

- لا آتيه إلا و أنا قادر على الامتناع «۲».

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۱۶۰.

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۴.

و انصرف أبى الضيم الى منزله فاغتسل، و صلى و دعا اللّه «۱» و أمر أهل بيته بلبس السلاح و الخروج معه، فخفوا محدقين به، فأمرهم بالجلوس على باب الدار، و قال لهم: انى داخل فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتى قد علا فادخلوا على بأجمعكم، و دخل الامام على الوليد فرأى مروان عنده و كانت بينهما قطيعة فأمرهما الامام بالتقارب و الاصلاح، و ترك الاحقاد، و كانت سجية الامام (ع) التى طبع عليها الاصلاح حتى مع أعدائه و خصومه، فقال (ع) لهما:

«الصلة خير من القطيعة، و الصلح خير من الفساد، و قد آن لكما أن تجتمعا، اصلح اللّه ذات بينكما.» «۲».

و لم يجيباه بشيء فقد علاهما صمت رهيب، و التفت الامام إلى الوليد فقال له: هل اتاك من معاوية خبر؟ فانه كان عليلا و قد طالت علته، فكيف حاله الآن؟

فقال الوليد بصوت خافت حزين النبرات:

«آجرك اللّه فى معاوية فقد كان لك عم صدوق، و قد ذاق الموت و هذا كتاب أمير المؤمنين يزيد ..».

فاسترجع الحسين، و قال له:

«لما ذا دعوتنى؟».

«دعوتك للبيعة» «۳».

فقال (ع): إن مثلى لا يبايع سرا، و لا يجتزئ بها منى سرا، فاذا خرجت الى الناس ودعتهم للبيعة، دعوتنا معهم كان الأمر واحدا.

---

(۱) الدر النظيم (ص ۱۶۲).

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۴.

(۳) الفتوح ۵/ ۱۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۵۵

لقد طلب الامام تأجيل الأمر الى الصباح، حتى يعقد اجتماع جماهيرى فيدلى برأيه فى شجب البيعة ليزيد، و يستنهض همم المسلمين على الثورة و الاطاحة بحكمه، و كان الوليد- فيما يقول المؤرخون- يحب العافية و يكره الفتنة فشكر الامام على مقالته، و سمح له بالانصراف الى داره، و انبرى الوغد الخبيث مروان بن الحكم و هو مغيظ محنق فصاح بالوليد.

«لئن فارقك الساعة و لم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم و بينه، احبسه فان بايع و الا ضربت عنقه».

و وثب أبى الضيم الى الوزغ ابن الوزغ فقال له:

«يا ابن الزرقاء أ أنت تقتلنى أم هو؟ كذبت و اللّه و لؤمت» «۱»

و أقبل على الوليد فأخبره عن عزمه و تصميمه على رفض البيعة ليزيد قائلا:

«أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، و مختلف الملائكة و محل الرحمة، بنا فتح اللّه، و بنا ختم، و يزيد رجل فاسق، شارب خمر قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، و مثلى لا يبايع مثله، و لكن نصبح و تصبحون، و ننظر، و تنظرون أينا أحق بالخلافة و البيعة» «۲».

و كان هذا اول اعلان له على الصعيد الرسمى- بعد هلاك معاوية- فى رفض البيعة ليزيد، و قد أعلن ذلك فى بيت الامارة و رواق السلطة بدون مبالاة و لا خوف و لا ذعر.

لقد جاء تصريحه بالرفض لبيعة يزيد معبرا عن تصميمه، و توطين نفسه حتى النهاية على التضحية عن سمو مبدئه، و شرف عقيدته، فهو بحكم مواريثه الروحية، و بحكم بيته الذى كان ملتقى لجميع الكمالات الانسانية

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۴.

(۲) الفتوح ۵/ ۱۸.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۵۶

كيف يبايع يزيد الذى هو من عناصر الفسق و الفجور، و لو اقره اماما على المسلمين لساق الحياة الاسلامية الى الانهيار و الدمار و

عصف بالعقيدة الدينية فى متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة.

و كانت كلمة الحق الصارخة التى أعلنها ابو الأحرار قد احدثت استياء فى نفس مروان فاندفع يعنف الوليد و يلومه على اطلاق سراحه قائلا:

«عصيتنى! لا و اللّه لا يمكنك مثلها من نفسه أبدا».

و تأثر الوليد من منطق الامام، و تيقظ ضميره فاندفع يرد أباطيل مروان قائلا:

«ويحك!! انك أشرت على بذهاب دينى و دنياى، و اللّه ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها، و انى قتلت حسينا: سبحان اللّه!! أ أقتل حسينا ان قال: لا ابايع، و اللّه ما اظن احدا يلقى اللّه بدم الحسين الا و هو خفيف الميزان، لا ينظر اللّه إليه يوم القيامة، و لا يزكيه و له عذاب أليم»

و سخر منه مروان و طفق يقول:

«اذا كان هذا رأيك فقد اصبت!!» «۱».

و عزم الحسين على مغادرة يثرب و التوجه الى مكة ليلوذ بالبيت الحرام و يكون بمأمن من شرور الأمويين و اعتدائهم.

الحسين مع مروان:

و التقى أبى الضيم فى أثناء الطريق بمروان بن الحكم فى صبيحة تلك الليلة التى اعلن فيها رفضه لبيعة يزيد، فبادره مروان قائلا:

---

(۱) الطبرى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۵۷

«انى ناصح، فاطعنى ترشد و تسدد ..».

«و ما ذاك يا مروان؟».

«انى آمرك ببيعة امير المؤمنين يزيد فانه خير لك فى دينك و دنياك.»

و التاع كاشد ما تكون اللوعة و استرجع، و أخذ يرد على مقالة مروان ببليغ منطقه قائلا: «على الاسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ويحك يا مروان!! أ تأمرنى ببيعة يزيد، و هو رجل فاسق: لقد قلت: شططا من القول .. لا الومك على قولك، لأنك اللعين الذى لعنك رسول اللّه (ص) و أنت فى صلب أبيك الحكم بن أبى العاص و أضاف الامام يقول:

«إليك عنى يا عدو اللّه!! فانا أهل بيت رسول اللّه (ص) و الحق فينا، و بالحق تنطق ألسنتنا، و قد سمعت رسول اللّه (ص) يقول: الخلافة محرمة على آل أبى سفيان، و على الطلقاء و ابناء الطلقاء، و قال: اذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه، فو اللّه لقد رآه أهل المدينة على منبر جدى فلم يفعلوا ما أمروا به ..».

و تميز الخبيث الدنس مروان غيظا و غضبا، و اندفع يصيح:

«و اللّه لا تفارقنى أو تبايع ليزيد صاغرا فانكم آل أبى تراب، قد اشربتم بغض آل أبى سفيان، و حق عليكم أن تبغضوهم، و حق عليهم أن يبغضوكم» و صاح به الامام:

«إليك عنى فانك رجس، و أنا من أهل بيت الطهارة الذين انزل اللّه فيهم على نبيه (ص): «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

و لم يطق مروان الكلام، و قد تحرق ألما و حزنا، فقال له الامام:

«ابشر يا ابن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول (ص) يوم تقدم

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۵۸

على ربك فيسألك جدى عن حقى و حق يزيد ..».

و انصرف مروان مسرعا الى الوليد فاخبره بمقالة الحسين له «۱».

اتصال الوليد بدمشق:

و أحاط الوليد يزيد علما بالأوضاع الراهنة فى يثرب، و عرفه بامتناع الحسين (ع) من البيعة، و انه لا يرى له طاعة عليه، و لما فهم يزيد بذلك تميز غيظا و غضبا.

الأوامر المشددة من دمشق:

و أصدر يزيد أوامره المشددة الى الوليد باخذ البيعة من أهل المدينة ثانيا، و قتل الحسين (ع) و ارسال رأسه إليه و هذا نص كتابه.

«من عبد اللّه يزيد أمير المؤمنين الى الوليد بن عتبة، أما بعد: فاذا ورد عليك كنا هذا فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم و ذر عبد اللّه بن الزبير فانه لن يفوت أبدا ما دام حيا، و ليكن مع جوابك إلى برأس الحسين بن على، فان فعلت ذلك، فقد جعلت لك أعنة الخيل و لك عندى الجائزة و الحظ الأوفر و النعمة و السلام ..».

رفض الوليد:

و رفض الوليد رسميا ما عهد إليه يزيد من قتل الحسين، و قال: لا و اللّه لا يرانى اللّه قاتل الحسين بن على .. لا أقتل ابن بنت رسول اللّه (ص)

---

(۱) الفتوح: ۵/ ۲۴.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۵۹

و لو أعطانى يزيد الدنيا بحذافيرها «۱» و قد جاءته هذه الرسالة بعد مغادرة الامام يثرب الى مكة.

وداع الحسين لقبر جده:

و خف الحسين (ع) فى الليلة الثانية الى قبر جده (ص) و هو حزين كئيب ليشكو إليه ظلم الظالمين له، و وقف أمام القبر الشريف- بعد أن صلى ركعتين- و قد ثارت مشاعره و عواطفه، فاندفع يشكو الى اللّه ما ألم به من المحن و الخطوب قائلا:

«اللهم إن هذا قبر نبيك محمد، و أنا ابن بنت محمد، و قد حضرنى من الأمر ما قد علمت، اللهم انى أحب المعروف و انكر المنكر، و أنا اسألك يا ذا الجلال و الاكرام بحق هذا القبر و من فيه الا ما اخترت لى ما هو لك رضى و لرسولك رضى.».

رؤيا الحسين لجده:

و أخذ الحسين يطيل النظر الى قبر جده، و قد وثقت نفسه أنه لا يتمتع برؤيته، و انفجر بالبكاء، و قبل أن يندلع نور الفجر غلبه النوم فرأى جده الرسول (ص) قد اقبل فى كتيبة من الملائكة فضم الحسين الى صدره و قبل ما بين عينيه، و هو يقول له:

«يا بنى كأنك عن قريب اراك مقتولا مذبوحا بارض كرب و بلاء، بين عصابة من امتى، و أنت مع ذلك عطشان لا تسقى، و ظمآن

---

(۱) الفتوح ۵/ ۲۶- ۲۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۶۰

لا تروى، و هم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند اللّه من خلاق.

حبيبي يا حسين إن أباك و أمك و أخاك قد قدموا علي، و هم إليك مشتاقون ان لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة ..».

و جعل الحسين يطيل النظر إلى جده (ص) و يذكر عطفه و حنانه عليه فازداد و جيبه، و تمثلت أمامه المحن الكبرى التي يعانيها من الحكم الأموي فهو اما ان يبايع فاجر بني أمية أو يقتل، و أخذ يتوسل الى جده و يتضرع إليه قائلا:

«يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا، فخذني إليك، و ادخلني معك الى منزلك».

و التاع النبي (ص) فقال له:

«لا بد لك من الرجوع الى الدنيا، حتى ترزق الشهادة، و ما كتب اللّه لك فيها من الثواب العظيم فانك، و اباك، و أخاك، و عمك، و عم أبيك تحشرون يوم القيامة، في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة» «۱».

و استيقظ الحسين فزعا مرعوبا قد المت به تيارات من الأسى و الأحزان و صار على يقين لا يخامره أدنى شك انه لا بد أن يرزق الشهادة، و جمع أهل بيته فقص عليهم رؤياه الحزينة، فطافت بهم الآلام، و أيقنوا بنزول الرزء القاصم، و وصف المؤرخون شدة حزنهم، بأنه لم يكن في ذلك اليوم لا في شرق الأرض و لا في غربها أشد غما من أهل بيت رسول اللّه (ص) و لا أكثر باكية و باك منهم «۲».

---

(۱) الفتوح ۵/ ۲۸- ۲۹.

(۲) مقتل العوالم (ص ۵۴).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۶۱

وداعه لقبر أمه و أخيه:

و توجه الحسين في غلس الليل البهيم الى قبر أمه وديعة النبي (ص) و بضعته، و وقف امام قبرها الشريف مليا، و هو يلقى عليه نظرات الوداع الأخير، و قد تمثلت امامه عواطفها الفياضة، و شدة حنوها عليه، و قد ودّ أن تنشق الأرض لتواريه معها، و انفجر بالبكاء، و ودع القبر وداعا حارا، ثم انصرف الى قبر أخيه الزكي أبي محمد، فاخذ يروّي ثرى القبر من دموع عينيه، و قد ألمت به الآلام و الأحزان، ثم رجع إلى منزله، و هو غارق بالأسى و الشجون «۱».

فزع الهاشميات:

و لما عزم الامام على مغادرة يثرب و اللجوء الى مكة اجتمعن السيدات من نساء بني عبد المطلب، و قد جاشت عواطفهن بالأسى و الحزن؛ فقد تواترت عليهن الأنباء عن رسول اللّه (ص) عن مقتل ولده الحسين، و جعلن ينحن، و تعالت أصواتهن بالبكاء، و كان منظرا مفزعا، و انبرى إليهن الحسين، و هو رابط الجأش فقال لهن:

«انشدكن اللّه أن تبدين هذا الأمر معصية للّه و لرسوله».

فذابت نفوسهن، و صحن:

«لمن نستبقي النياحة و البكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، و علي و فاطمة و الحسن ... جعلنا اللّه فداك يا حبيب الأبرار ..».

(۱) الفتوح ۵/ ۲۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۶۲

و اقبلت عليه بعض عماته، و هي شاحبة اللون، فقالت بنبرات منقطعة بالبكاء لقد سمعت هاتفا يقول:

و ان قتيل الطف من آل هاشم‌اذل رقابا من قريش فذلت و جعل الامام (ع) يهدأ أعصابها، و يأمرها بالخلود الى الصبر، كما أمر سائر السيدات من بني عبد المطلب بذلك «۱».

مع أخيه ابن الحنفية:

و فزع محمد بن الحنفية الى الحسين، فجاء يتعثر في خطاه، و هو لا يبصر طريقه من شدة الحزن و الأسى، و لما استقر به المجلس اقبل على الحسين قال له بنبرات مشفوعة بالاخلاص و الحنو عليه.

«يا أخي فدتك نفسي، أنت أحب الناس إلي، و أعزهم علي، و لست و اللّه أدخر النصيحة لأحد من الخلق، و ليس أحد أحق بها منك فانك كنفسي و روحي، و كبير أهل بيتي، و من عليه اعتمادي، و طاعته في عنقي لأن اللّه تبارك و تعالى قد شرفك و جعلك من سادات أهل الجنة و اني اريد أن اشير عليك برأيي فاقبله مني ..».

لقد عبر محمد بهذا الحديث الرقيق عن عواطفه الفياضة المترعة بالولاء و الاكبار لاخيه، و اقبل عليه الامام فقال له محمد:

«اشير عليك أن تتنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية و عن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث برسلك الى الناس، فان بايعوك حمدت اللّه على ذلك و ان اجتمعوا على غيرك لم ينقص اللّه بذلك دينك، و لا عقلك، و لم تذهب مروءتك، و لا فضلك، و اني اخاف عليك أن تدخل مصرا من هذه

(۱) مقتل الحسين للمقرم (ص ۱۴۸).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۲۶۳

الامصار فيختلف الناس بينهم فطائفة معك، و أخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأول الأسنة غرضا، فاذا خير هذه الأمة كلها نفسا و أبا و أما أضيعها دما و اذلها اهلا ..».

و بادر الامام الحسين فقال له:

«اين أذهب؟».

«تنزل مكة فان اطمأنت بك الدار، و الا لحقت بالرمال، و شعب الجبال و خرجت من بلد الى آخر حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس، فانك اصوب ما تكون رأيا و احزمهم عملا، حتى تستقبل الأمور استقبالا و لا تكون الأمور أبدا اشكل عليك منها حتى تستدبرها استدبارا» «۱».

و انطلق الامام و هو غير حافل بالأحداث، فاخبره عن عزمه و تصميمه الكامل على رفض البيعة ليزيد قائلا:

«يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد ابن معاوية».

و انفجر ابن الحنفية بالبكاء، فقد أيقن بالرزء القاصم، و استشف ما ذا سيجرى على أخيه من الرزايا و الخطوب، و شكر الامام نصيحته و قال له:

«يا أخي: جزاك اللّه خيرا لقد نصحت، و أشرت بالصواب، و أنا عازم على الخروج الى مكة، و قد تهيأت لذلك أنا و اخوتي و بنو أخي و شيعتي أمرهم أمري، و رأيهم رأيي، و أما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا لا تخف عني شيئا من امورهم» «۲».

(۱) تأريخ الطبرى ۶/ ۱۹۱.

(۲) الفتوح ۵/ ۳۲.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۶۴

وصيته لابن الحنفية:

و عهد الامام بوصيته الخالدة إلى أخيه ابن الحنفية، و قد تحدث فيها عن أسباب ثورته الكبرى على حكومة يزيد و قد جاء فيها بعد البسملة:

«هذا ما أوصى به الحسين بن على الى أخيه محمد بن الحنفية، ان الحسين يشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و ان محمدا عبده و رسوله جاء بالحق من عنده، و ان الجنة حق، و النار حق، و ان الساعة آتية لا ريب فيها، و ان اللّه يبعث من فى القبور.

و انى لم أخرج أشرا، و لا بطرا، و لا مفسدا، و لا ظالما، و انما خرجت لطلب الاصلاح فى أمة جدى (ص) أريد أن آمر بالمعروف و انهى عن المنكر، و أسير بسيرة جدى و أبى على بن أبى طالب، فمن قبلنى بقبول الحق، فاللّه اولى بالحق، و من رد على اصبر حتى يقضى اللّه بينى و بين القوم و هو خير الحاكمين.

«و هذه وصيتى إليك يا أخى، و ما توفيقى إلا باللّه عليه توكلت و إليه أنيب» «۱».

من أجل هذه الأهداف النبيلة فجر الامام ثورته الخالدة فهو لم يخرج اشرا و لا بطرا، و لم يبغ أى مصلحة مادية له أو لأسرته، و انما خرج على حكم الظلم و الطغيان، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس، و ما أروع قوله:

«فمن قبلنى بقبول الحق فاللّه أولى بالحق، و من رد على أصبر حتى يقضى اللّه بينى و بين القوم و هو خير الحاكمين».

لقد حدد الامام خروجه بانه كان من أجل احقاق الحق و اماتة الباطل

(۱) الفتوح ۵/ ۳۳ مقتل الخوارزمى ۱/ ۱۸۸.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۶۵

و دعا الأمة باسم الحق الى الالتفاف حوله لتحمى حقوقها و تصون كرامتها و عزتها التى انهارت على أيدى الأمويين، و اذا لم تستجب لنصرته فسيواصل وحده مسيرته النضالية بصبر و ثبات فى مناجزة الظالمين و المعتدين حتى يحكم اللّه بينه و بينهم بالحق و هو خير الحاكمين ... كما حدد الامام خروجه بأنه يريد أن يسير على منهاج جده و أبيه، و ليس على منهج أى أحد من الخلفاء.

و هذه الوصية من البنود التى نرجع إليها فى دراستنا عن اسباب ثورته (ع):

و تهيأ الامام بعد وصيته لأخيه محمد الى السفر الى مكة ليلتقى بحجاج بيت اللّه الحرام و غيرهم، و يعرض عليهم الأوضاع الراهنة فى البلاد، و ما تعانيه الأمة من الأزمات و الأخطار فى عهد يزيد.

و قبل أن يغادر الامام (ع) يثرب متجها الى مكة دخل مسجد جده الرسول (ص) و هو غارق فى الأسى و الشجون فألقى عليه نظرة الوداع الأخير، و قد نظر الى محراب جده (ص) و منبره، فطافت به ذكريات ذلك العطف الذى كان يفيضه عليه جده (ص) حينما كان فى غضون الصبا، فلم ينس الحسين فى جميع فترات حياته ذلك الحنان الذى اغدقه عليه جده حينما يقول فيه:

«حسين منى و أنا من حسين، أحب اللّه من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط ..».

و تذكر كيف كان النبى (ص) يفرغ عليه ما انطوت عليه نفسه الكبيرة من المثل العليا التى كان بها خاتم النبيين و سيد المرسلين، و أيقن انه لم يكن يشيع ذلك فى نفسه بمحض العاطفة بل بشعور آخر هو الابقاء على رسالته، و مبادئه، و رأى انه لا بد أن يقدم

التضحية الرهيبة التى تصون

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۶۶

رسالة الاسلام من عبث الناقمين عليه ... و يقول المؤرخون: انه دخل المسجد بين أهل بيته، و هو يعتمد فى مشيه على رجلين و يتمثل بقول يزيد بن مفرغ:

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح‌مغيرا و لا دعيت يزيدا

يوم أعطى من المهانة ضيماو المنايا ترصدننى أن أحيدا «۱» و يقول أبو سعيد: لما سمعت هذين البيتين قلت فى نفسى: انه ما تمثل بهما الا لشىء يريده فما مكث الا قليلا حتى بلغنى أنه سار الى مكة «۲» لقد صمم على التضحية و الفداء ليغير مجرى الحياة، و يرفع كلمة اللّه و فكرة الخير فى الأرض.

أما يثرب مهد النبوة فانه حينما اذيع فيها مغادرة الحسين عنها علتها الكآبة و خيم على أهلها الحزن و الذعر فقد أيقنوا بالخسارة الفادحة التى ستحل بهم، فسيغيب عنهم قبس من نور الرسالة الذى كان يضىء لهم الحياة، و حزنت البقية الباقية من صحابة النبى (ص) كاعظم ما يكون الحزن، فقد كانوا يرون فى الحسين امتدادا لجده الرسول (ص) الذى انقدهم من حياة التيه فى الصحراء.

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۵.

(۲) تأريخ ابن عساكر ۴/ ۳۲۹، تأريخ الطبرى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۶۷

الثورة الحسينية اسبابها و مخططاتها

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۶۹

و لم يفجر الامام الحسين (ع) ثورته الكبرى أشرا، و لا بطرا، و لا ظالما، و لا مفسدا- حسب ما يقول- و انما انطلق ليؤسس معالم الاصلاح فى البلاد، و يحقق العدل الاجتماعى بين الناس، و يقضى على أسباب النكسة الأليمة التى منى بها المسلمون فى ظل الحكم الأموى الذى الحق بهم الهزيمة و العار.

لقد انطلق الامام ليصحح الأوضاع الراهنة فى البلاد، و يعيد للأمة ما فقدته من مقوماتها و ذاتياتها، و يعيد لشرايينها الحياة الكريمة التى تملك بها ارادتها و حريتها فى مسيرتها النضالية لقيادة أمم العالم فى ظل حكم متوازن تذاب فيه الفوارق الاجتماعية، و تقام الحياة على أسس صلبة من المحبة و الاخاء، انه حكم اللّه خالق الكون و واهب الحياة، لا حكم معاوية الذى قاد مركبة حكومته على امانة وعى الانسان، و شل حركاته الفكرية و الاجتماعية.

لقد فجر الامام (ع) ثورته الكبرى التى أوضح اللّه بها الكتاب، و جعلها عبرة لأولى الألباب، فاضاء بها الطريق، و أوضح بها القصد، و انار بها الفكر، فانهارت بها السدود و الحواجز التى وضعها الحكم الأموى امام التطور الشامل الذى يريده الاسلام لأبنائه، فلم يعد بعد الثورة أى ظل للسلبيات الرهيبة التى أقامها الحكم الأموى على مسرح الحياة الاسلامية، فقد انتقضت الامة- بعد مقتل الامام- كالمارد الجبار و هى تسخر من الحياة، و تستهزأ بالموت، و تزج بابنائها فى ثورات متلاحقة حتى اطاحت بالحكم الأموى، و اكتسحت معالم زهوه.

و لم يقدم الامام على الثورة إلا بعد ان انسدت امامه جميع الوسائل و انقطع كل أمل له فى اصلاح الأمة، و انقاذها من السلوك فى

المنعطفات فايقن انه لا طريق للاصلاح إلا بالتضحية الحمراء، فهى وحدها التى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۰

تتغير بها الحياة، و ترتفع راية الحق عالية فى الأرض.

و فيما اعتقد ان أهم ما يتطلبه القراء لأمثال هذه البحوث الوقوف على أسباب الثورة الحسينية و مخططاتها، و فيما يلى ذلك.

أسباب الثورة:

اشارة

و احاطت بالامام (ع) عدة من المسئوليات الدينية و الواجبات الاجتماعية و غيرها، فحفزته الى الثورة، و دفعته الى التضحية و الفداء و هذه بعضها.

۱- المسئولية الدينية:

اشارة

و اعلن الاسلام المسئولية الكبرى على كل مسلم عما يحدث فى بلاد المسلمين من الأحداث و الأزمات التى تتنافى مع دينهم، و تتجافى مع مصالحهم، فانه ليس من الاسلام فى شىء أن يقف المسلم موقفا يتسم بالميوعة و اللامبالات أمام الهزات التى تدهم الأمة و تدمر مصالحها، و قد أعلن الرسول (ص) هذه المسئولية، يقول (ص): «كلكم راع، و كلكم مسئول عن رعيته» فالمسلم مسئول أمام اللّه عن رعاية مجتمعه، و السهر على صالح بلاده، و الدفاع عن أمته

و على ضوء هذه المسئولية الكبرى ناهض الامام جور الأمويين، و ناجز مخططاتهم الهادفة الى استعباد الأمة و اذلالها، و نهب ثرواتها، و قد أدلى (ع) بما يحتمه الاسلام عليه من الجهاد لحكم الطاغية يزيد، امام الحر و أصحابه قال (ع):

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۱

«أيها الناس: إن رسول اللّه (ص) قال: «من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم اللّه ناكثا لعهد اللّه، مخالفا لسنة رسول اللّه (ص) يعمل فى عباد اللّه بالإثم و العدوان، فلم يغير عليه بقول و لا فعل كان حقا على اللّه أن يدخله مدخله».

لقد كان الواجب الدينى يحتم عليه القيام بوجه الحكم الأموى الذى استحل حرمات اللّه، و نكث عهوده و خالف سنة رسول اللّه (ص)، و قد صرح جماعة من علماء المسلمين بان الواجب الدينى كان يقضى على الامام أن ينطلق فى ميادين الجهاد دفاعا عن الاسلام، و فيما يلى بعضهم.

۱- الامام محمد عبده

و المع الامام محمد عبده فى حديثه عن الحكومة العادلة و الجائرة فى الاسلام إلى خروج الامام على حكومة يزيد، و وصفه بأنه كان واجبا شرعيا عليه، قال: «اذا وجد فى الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع، و حكومة جائرة تعطله، وجب على كل مسلم نصر الأولى، و خذل الثانية ...

و من هذا الباب خروج الامام الحسين (ع) سبط الرسول (ص) على امام الجور و البغى الذى ولى أمر المسلمين بالقوة و المنكر يزيد بن معاوية خذله اللّه، و خذل من انتصر له من الكرامية و النواصب» «۱».

۲- محمد عبد الباقى

و تحدث الأستاذ محمد عبد الباقى سرور عن المسئولية الدينية و الاجتماعية اللتين تحتمان على الامام القيام بمناهضة حكم يزيد قال:

---

(۱) تفسير المنار ۱/ ۳۶۷، و ۱۲/ ۱۸۳ و ۱۸۵.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۲

«لو بايع الحسين يزيد الفاسق المستهتر، الذى اباح الخمر و الزنا و حط بكرامة الخلافة الى مجالسة الغانيات، و عقد حلقات الشراب فى مجلس الحكم، و الذى البس الكلاب و القرود خلاخل من ذهب، و مئات الالوف من المسلمين صرعى الجوع، و الحرمان.

لو بايع الحسين يزيد أن يكون خليفة لرسول اللّه (ص) على هذا الوضع لكانت فتيا من الحسين باباحة هذا للمسلمين، و كان سكوته هذا أيضا رضى، و الرضا من ارتكاب المنكرات و لو بالسكوت اثم و جريمة فى حكم الشريعة الاسلامية .. و الحسين بوضعه الراهن فى عهد يزيد هو الشخصية المسئولة فى الجزيرة العربية بل فى البلاد الاسلامية كافة عن حماية التراث الاسلامى لمكانته فى المسلمين، و لقرابته من رسول رب العالمين، و لكونه بعد موت كبار المسلمين كان أعظم المسلمين فى ذلك الوقت علما و زهدا و حسبا و مكانة. فعلى هذا الوضع أحس بالمسؤولية تناديه و تطلبه لإيقاف المنكرات عند حدها، و لا سيما ان الذى يضع هذه المنكرات و يشجع عليها هو الجالس فى مقعد رسول اللّه (ص) هذا أولا:

و ثانيا: انه (ع) جاءته المبايعات بالخلافة من جزيرة العرب، و جاءه ثلاثون الفا من الخطابات من ثلاثين الف من العراقيين من سكان البصرة و الكوفة يطلبون فيها منه الشخوص لمشاركتهم فى محاربة يزيد بن معاوية، و ألحوا تكرار هذه الخطابات حتى قال رئيسهم عبد اللّه بن الحصين الأزدى: يا حسين سنشكوك الى اللّه تعالى يوم القيامة اذا لم تلب طلبنا، و تقوم بنجدة الاسلام، و كيف و الحسين ذو حمية دينية و نخوة اسلامية، و المفاسد تترى أمام عينيه، كيف لا يقوم بتلبية النداء، و على هذا الوضع لبى النداء، كما تأمر به الشريعة الاسلامية، و توجه نحو العراق» «۱».

---

(۱) الثائر الأول فى الاسلام (ص ۷۹).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۳

و هذا الرأى وثيق للغاية فقد شفع بالأدلة الشرعية التى حملت الإمام مسئولية الجهاد و الخروج على حكم طاغية زمانه.

۳- عبد الحفيظ أبو السعود

يقول الاستاذ عبد الحفيظ أبو السعود: «و رأى الحسين أنه مطالب الآن- يعنى بعد هلاك معاوية- أن يعلن رفضه لهذه البيعة، و ان يأخذ البيعة لنفسه من المسلمين، و هذا اقل ما يجب حفاظا لأمر اللّه، و رفعا للظلم، و ابعادا لهذا العابث يعنى يزيد- عن ذلك المنصب الجليل» «۱»

۴- الدكتور احمد محمود صبحى

و ممن صرح بهذه المسئولية الدينية الدكتور احمد محمود صبحى قال:

«ففى اقدام الحسين على بيعة يزيد انحراف عن أصل من اصول الدين من حيث أن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى فى ولاية العهد وراثة الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة على الاسلام، و من حيث أن اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة، و ميله الى اللهو

و شرب الخمر، و منادمة القرود ليتولى منصب الخلافة عن رسول اللّه (ص) اكبر وزر يحل بالنظام السياسى للاسلام. يتحمل وزره كل من شارك فيه و رضى عنه، فما بالك اذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول اللّه.

كان خروج الحسين اذا أمرا يتصل بالدعوة و العقيدة اكثر مما يتصل بالسياسة و الحرب» «۲».

---

(۱) سبط الرسول (ص ۱۳۳).

(۲) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية (ص ۳۳۴).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۴

۵- العلائلى

يقول العلائلى: «و هناك واجب على الخليفة اذا تجاوزه وجب على الأمة اسقاطه، و وجبت على الناس الثورة عليه و هو المبالغة باحترام القانون الذى يخضع له الناس عامة، و الا فأى تظاهر بخلافه يكون تلاعبا و عبثا، و من ثم وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهرا باحترام القانون من أى شخص آخر، و اكبر مسئولية من هذه الناحية، فاذا فسق الملك ثم جاهر بفسقه و تحدى اللّه و رسوله و المؤمنين لم يكن الخضوع له إلا- خضوعا للفسق و خضوعا للفحشاء و المنكر، و لم يكن الاطمئنان إليه الا اطمئنانا للتلاعب و المعالنة الفاسقة.

هذا هو المعنى التحليلى لقوله (ع): «و يزيد رجل فاسق، شارب للخمر و قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق» «۱».

هذه بعض الآراء التى أدلى بها جماعة من العلماء فى الزام الامام شرعا بالخروج على حكم الطاغية يزيد، و انه ليس له أن يقف موقفا سلبيا أمام ما يقترفه يزيد من الظلم و الجور.

۲- المسئولية الاجتماعية:

و كان الامام (ع) بحكم مركزه الاجتماعى مسئولا أمام الأمة عما منيت به من الظلم و الاضطهاد من قيل الأمويين، و من هو أولى بحمايتها ورد الاعتداء عنها غيره فهو سبط رسول اللّه (ص) و ريحانته، و الدين دين جده، و الأمة أمة جده، و هو المسئول بالدرجة الأولى عن رعايتهما.

---

(۱) الامام الحسين (ص ۹۴).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۵

لقد رأى الامام أنه مسئول عن هذه الأمة، و انه لا يجدى بأى حال فى تغيير الأوضاع الاجتماعية التزام جانب الصمت، و عدم الوثوب فى وجه الحكم الأموى الملىء بالجور و الآثام، فنهض (ع) باعباء هذه المسئولية الكبرى، و أدى رسالته بأمانة و اخلاص، و ضحى بنفسه و أهل بيته و أصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الاسلام و حكم القرآن.

۳- اقامة الحجة عليه:

و قامت الحجة على الامام لاعلان الجهاد، و مناجزة قوى البغى و الالحاد، فقد تواترت عليه الرسائل و الوفود من أقوى حامية عسكرية فى الاسلام، و هى الكوفة فكانت رسائل أهلها تحمله المسئولية أمام اللّه إن لم يستجب لدعواتهم الملحة لانقاذهم من عسف الأمويين و بغيهم، و من الطبيعى أنه لو لم يجيبهم لكان مسئولا أمام اللّه، و أمام الأمة فى جميع مراحل التأريخ، و تكون الحجة قائمة عليه.

۴- حماية الاسلام:

و من أوكد الأسباب التى ثار من أجلها حفيد الرسول (ص) حماية الاسلام من خطر الحكم الأموى الذى جهد على محو سطوره، و قلع جذوره و اقبار قيمه، فقد أعلن يزيد و هو على دست الخلافة الاسلامية الكفر و الالحاد بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرجاء و لا وحى نزل

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۶

و كشف هذا الشعر عن العقيدة الجاهلية التى كان يدين بها يزيد فهو لم يؤمن بوحى و لا كتاب، و لا جنة و لا نار، و قد رأى السبط أنه ان لم يثأر لحماية الدين فسوف يجهز عليه حفيد أبى سفيان و يجعله أثرا بعد عين، فثار (ع) ثورته الكبرى التى فدى بها دين اللّه، فكان دمه الزاكى المعطر بشذى الرسالة، هو البلسم لهذا الدين، فان من المؤكد أنه لو لا تضحيته لم يبق للاسلام اسم و لا رسم، و صار الدين دين الجاهلية و دين الدعارة و الفسوق، و لذهبت سدى جميع جهود النبى (ص) و ما كان ينشده للناس من خير و هدى، و قد نظر النبى (ص) من وراء الغيب و استشف مستقبل امته، فرأى بعين اليقين، ما تمنى به الأمة من الانحراف عن الدين، و ما يصيبها من الفتن و الخطوب على أيدى أغيلمة من قريش، و رأى أن الذى يقوم بحماية الاسلام هو الحسين (ع) فقال (ص) كلمته الخالدة: «حسين منى و أنا من حسين» فكان النبى (ص) حقا من الحسين لأن تضحيته كانت وقاية للقرآن، و سيبقى دمه الزكى يروى شجرة الاسلام على ممر الاحقاب و الآباد.

۵- صيانة الخلافة:

و من المع الأسباب التى ثار من أجلها الامام الحسين (ع) تطهير الخلافة الاسلامية من أرجاس الأمويين الذين غزوا عليها بغير حق .. فلم تعد الخلافة- فى عهدهم كما يريدها الاسلام- وسيلة لتحقيق العدل الاجتماعى بين الناس، و القضاء على جميع أسباب التخلف و الفساد فى الأرض.

لقد اهتم الاسلام اهتماما بالغا بشأن الخلافة باعتبارها القاعدة الصلبة لاشاعة الحق و العدل بين الناس، فاذا صلحت نعمت الأمة بأسرها،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۷

و اذا انحرفت عن واجباتها فان الأمة تصاب بتدهور سريع فى جميع مقوماتها الفكرية و الاجتماعية ... و من ثم فقد عنى الاسلام فى شأنها أشد ما تكون العناية، فالزم من يتصدى لها بان تتوفر فيه النزعات الخيرة و الصفات الشريفة من العدالة و الأمانة، و الخبرة بما تحتاج إليه الأمة فى مجالاتها الاقتصادية و الادارية و السياسية، و حرم على من فقد هذه الصفات أن يرشح نفسه للخلافة .. و قد تحدث (ع) فى أولى رسائله الى أهل الكوفة عن الصفات التى يجب أن تتوفر فيمن يرشح نفسه الى امامة المسلمين و ادارة شئونهم قال (ع):

«فلعمرى ما الامام إلا العامل بالكتاب، و الآخذ بالقسط، و الدائن بالحق، و الحابس نفسه على ذات اللّه» «۱».

فمن تحلى بهذه الصفات كان له الحق فى تقديم نفسه لامامة المسلمين و خلافتهم، و من لم يتصف بها فلا حق له فى التصدى لهذا المركز الخطير الذى كان يشغله الرسول (ص) ... ان الخلافة الاسلامية ليست مجرد سلطة زمنية على الأمة، و انما هى نيابة عن الرسول (ص) و امتداد ذاتى لحكومته المشرقة.

و قد رأى الامام الحسين أن مركز جده قد صار الى سكير مستهتر لا يعى الا شهواته و رغباته، فثار (ع) ليعيد للخلافة الاسلامية كيانها المشرق و ماضيها الزاهر.

(۱) الطبرى ۶/ ۱۹۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۸

۶- تحرير ارادة الأمة:

و لم تملك الأمـة فى عهد معاوية و يزيد ارادتها و اختيارها فقد كانت جثة هامدة لا وعى فيها و لا اختيار، قد كبلت بقيود ثقيلة سدت فى وجهها منافذ النور و الوعى، و حيل بينها و بين ارادتها.

لقـد عمـل الحكم الأـموى على تخـدير المسـلمين و شـل تفكيرهم، و كانت قلوبهم مع الامام الحسين، الا انهم لا يتمكنون من متابعة قلوبهم و ضـمائرهم فقـد اسـتولت عليهـا حكومـة الأمويين بالقهر، فلم يملكوا من أمرهم شـيئا، فلا ارادة لهم و لا اختيار، و لا عزم و لا تصميم فاصبحوا كالأنصاب لا وعى فيهم و لا حراك، قد قبعوا أذلاء «صاغرين تحت وطأة سياط الأمويين و بطشهم».

لقـد هبّ الامـام الى ساحات الجهاد و الفـداء ليطعم المسـلمين بروح العزة و الكرامـة، فكان مقتله نقطـة تحول فى تأريـخ المسـلمين و حياتهم، فانقلبوا رأسا على عقب، فتسـلحوا بقوة العزم و التصـميم، و تحرروا من جميع السلبيات التى كانت ملمة بهم، و انقلبت مفاهيم الخوف و الخنوع التى كـانت جاثمـة عليهم الى مبادئ الثورة و النضال، فهبوا متضامنين فى ثورات مكثفـة، و كان شـعارهم (يا لثارات الحسين) فكان هذا الشعار هو الصرخة المدوية التى دكت عروش الأمويين و ازالت سلطانهم.

۷- تحرير اقتصاد الأمة:

و انهار اقتصاد الأمة الذى هو شرايين حياتها الاجتماعية و الفردية فقد عمد الأمويون بشكل سافر الى نهب الخزينة المركزية و الاستئثار بالفيء

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۷۹

و سائر تمرات الفتوح و الغنائم، فحازوا الثراء العريض، و تكـدست فى بيوتهم الأموال الهائلـة التى حاروا فى صـرفها، و قد اعلن معاوية امام المسلمين ان المال مال اللّه، و ليس مال المسلمين فهو أحق به، و يقول سعيد بن العاص:

انما السواد بسـتان قريش، و قد أخذوا ينفقون الأموال على اغراضـهم السياسـية التى لا تمت بصلة لصالح الأمة. أما مواد انفاقهم البارزة فهى:

أ- شراء الضمائر و الأديان، و قد تقدمت الشواهد المؤيدة لذلك عند البحث عن سياسة معاوية الاقتصادية.

ب- الانفـاق على لجـان الوضع لافتعـال الأخبار التى تـدعم الكيان الأموى و تحط من قيمـة أهل البيت، و قـد ألمعنا الى ذلك بصورة مفصلة.

ج- الهبات الهائلة و العطايا الوافرة للوجوه و الأشراف لكم افواههم عما تقترفه السلطة من الظلم للرعية.

د- الصرف على المجون و الدعارة، فقد امتلأت بيوتهم بالمغنين و المغنيات و ادوات العزف و سائر المنكرات.

هذه بعض الموارد التى كان ينفق عليها الأموال، فى حين أن الجوع قد نهش الأمة و عمت فيها المجاعة، و انتشـر شـبح الفقر فى جميع الأقطار الاسلامية سوى الشام فقد رفه عليها لأنها الحصن المنيع الذى كان يحمى جور الأمويين و ظلمهم.

و قـد ثـار الامـام الحسـين (ع) ليحمى اقتصـاد الأمـة و يعيـد توازن حياتهـا المعاشـية، و قـد صادر أموالا من الخراج كانت قـد ارسـلت لمعاويـة، كما صادر اموالا اخرى ارسـلت من اليمن الى خزينـة دمشق فى أيام يزيـد، و قـد انفقها على الفقراء و المعوزين، و كان (ع) اكثر ما يعانى من الآلام هو انه يرى الفقر قد أخذ بخناق المواطنين، و لم ينفق شيء من بيت المال على انعاش حياتهم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۰

۸- المظالم الاجتماعية:

اشارة

و انتشرت المظالم الاجتماعية فى انحاء البلاد الاسلامية، فلم يعد قطر من الأقطار إلا و هو يعج بالظلم و الاضطهاد من جورهم، و كان من مظاهر ذلك الظلم ما يلى:

۱- فقد الأمن

و انعدم الأمن فى جميع أنحاء البلاد، و ساد الخوف و الإرهاب على جميع المواطنين، فقد أسرفت السلطة الأموية بالظلم، فجعلت تأخذ البرىء بالسقيم، و المقبل بالمدبر، و تعاقب على الظنة و التهمة، و تسوق الابرياء بغير حساب الى السجون و القبور، و كان الناس فى عهد زياد يقولون:

«انج سعد فقد هلك سعيد» و لا يوجد أحد الا و هو خائف على دمه، و ماله، فثار الامام الحسين (ع) لينقذ الناس من هذا الجور الهائل.

۲- احتقار الأمة

و كان الخط السياسى الذى انتهجه الأمويون العمل على اذلال الأمة و الاستهانة بها و كان من مظاهر ذلك الاحتقار انهم كانوا يختمون فى اعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم كما نقشوا على اكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم و الحبشة «۱» و قد هب الامام (ع) فى ميادين الجهاد ليفتح للمسلمين أبواب العزة و الكرامة، و يحطم عنهم ذلك الكابوس المظلم الذى احال حياتهم الى ظلام قاتم لا بصيص فيه من النور.

---

(۱) تأريخ التمدن الاسلامى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۱

۹- المظالم الهائلة على الشيعة:

و ذهبت نفس الامام الحسين أسى على ما عانته الشيعة- فى عهد معاوية- من ضروب المحن و البلاء، فقد أمعن معاوية فى ظلمهم و ارهاقهم و فتك بهم فتكا ذريعا، و راح يقول للامام الحسين: «يا أبا عبد اللّه علمت أنا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم و كفناهم و صلينا عليهم و دفناهم» «۱» و قد بذل قصارى جهوده فى تصفية الحساب معهم، و قد ذكرنا عرضا مفصلا لما عانوه فى عهد معاوية و خلاصته.

۱- اعدام اعلامهم كحجر بن عدى، و عمرو بن الحمق الخزاعى و صيفى بن فسيل و غيرهم.

۲- صلبهم على جذوع النخل

۳- دفنهم أحياء

۴- هدم دورهم

۵- عدم قبول شهادتهم

۶- حرمانهم من العطاء

۷- ترويع السيدات من نسائهم

۸- اذاعة الذعر و الخوف فى جميع أوساطهم

إلى غير ذلك من صنوف الارهاق الذى عانوه، و قد ذعر الامام الحسين (ع) مما حل بهم، فبعث بمذكرته الخطيرة لمعاوية التى سجل فيها جرائم ما ارتكبه فى حق الشيعة، و قد ذكرناها فى البحث عن حكومة معاوية.

---

(۱) تأريخ اليعقوبى ۲/ ۲۰۶.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۲

لقد كانت الاجراءات القاسية التى اتخذها الحكم الأموى ضد الشيعة من اسباب ثورته فهب لانقاذهم من واقعهم المرير، و حمايتهم من الجور و الظلم.

۱۰- محو ذكر اهل البيت:

و من ألمع الأسباب التى ثار من أجلها أبو الشهداء (ع) هو ان الحكم الأموى قد جهد على محو ذكر أهل البيت (ع) و استئصال مآثرهم و مناقبهم و قد استخدم معاوية فى هذا السبيل أخبث الوسائل و هى:

۱- افتعال الأخبار فى الحط من شأنهم

۲- استخدام أجهزة التربية و التعليم لتربية النشىء على بغضهم

۳- معاقبة من يذكر مناقبهم بأقصى العقوبات

۴- سبهم على المنابر و المآذن و خطب الجمعة

و قد عقد الامام الحسين (ع) مؤتمره السياسى الكبير فى مكة المكرمة و أحاط المسلمين علما بالاجراءات الخطيرة التى اتخذها معاوية إلى ازالة أهل البيت عن الرصيد الاسلامى ... و كان (ع) يتحرق شوقا إلى الجهاد، و يود أن الموت قد وافاه و لا يسمع سب أبيه على المنابر و المآذن.

۱۱- تدمير القيم الاسلامية:

اشارة

و عمد الأمويون إلى تدمير القيم الاسلامية، فلم يعدلها اى ظل على واقع الحياة الاسلامية و هذه بعضها:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۳

أ- الوحدة الاسلامية

و أشاع الأمويون الفرقة و الاختلاف بين المسلمين فأحيوا العصبيات القبلية، و شجعوا الهجاء بين الأسر و القبائل العربية حتى لا تقوم وحدة بين المسلمين، و قد شجع يزيد الأخطل على هجاء الأنصار الذين آووا النبى (ص) و حاموا عن دينه أيام غربة الاسلام و محنته. لقد كانت الظاهرة البارزة فى شعر ذلك العصر هى الهجاء المقذع فقد قصر الشعراء مواهبهم الأدبية على الهجاء و التفنن فى أساليب القذف و السب للأسر التى كانت تنافس قبائلهم، و قد خلى الشعر الأموى عن كل نزعة انسانية أو مقصد اجتماعى، و تفرد بظاهرة

الهجاء، و قد خولف بذلك ما كان ينشده الاسلام من الوحدة الشاملة بين أبنائه.

ب- المساواة

و هدم الأمويون المساواة العادلة التى أعلنها الاسلام، فقدموا العرب على الموالى و اشاعوا جوا رهيبا من التوتر و التكتل السياسى بين المسلمين، و كان من جراء ذلك أن الّف الموالى مجموعة من الكتب فى نقص العرب و ذمهم، كما ألّف العرب كتبا فى نقص الموالى و احتقارهم، و على رأس القائمة التى اثارت هذا النحو من التوتر بين المسلمين زياد بن أبيه فقد كان حاقدا على العرب، و قد عهد الى الكتاب بانتقاصهم.

و قد خالفت هذه السياسة النكراء روح الاسلام الذى ساوى بين المسلمين فى جميع الحقوق و الواجبات على اختلاف قومياتهم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۴

ج- الحرية

و لم يعد أى مفهوم للحرية ماثلا على مسرح الحياة طيلة الحكم الأموى فقد كانت السلطة تحاسب الشعب حسابا منكرا و عسيرا على كل بادرة لا تتفق مع رغباتها، حتى لم يعد فى مقدور أى أحد أن يطالب بحقوقه، أو يتكلم بأى مصلحة للناس فقد كان حكم النطع و السيف هو السائد فى ذلك العصر.

لقد ثار أبو الأحرار لينقذ الانسان المسلم و غيره من الاضطهاد الشامل و يعيد للناس حقوقهم التى ضاعت فى أيام معاوية و يزيد.

۱۲- انهيار المجتمع:

اشارة

و انهار المجتمع فى عصر الأمويين، و تحلل من جميع القيم الاسلامية أما أهم العوامل التى أدت إلى انهياره فهى:

۱- حرمان المجتمع من التربية الروحية

فلم يحفل بها أحد من الخلفاء سوى الامام أمير المؤمنين (ع) فقد عنى بها عناية بالغة إلا انه قد منى بالأحداث الرهيبة التى منعته من مواصلة مسيرته فى اصلاح الناس و تقويم اخلاقهم.

۲- امعان الحكم الأموى فى افساد المجتمع و تضليله

اشارة

، و تغذيته بكل ما هو بعيد عن واقع الاسلام و هديه.

ان هذين العاملين- فيما نحسب- من أهم العوامل التى أدت على الى انهيار ذلك المجتمع ... اما مظاهر ذلك التحلل و الانهيار فهى:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۵

۱- نقض العهود

و لم يتأثم أغلب أبناء ذلك المجتمع من نقض العهود و المواثيق، فقد كان عدم الوفاء بها أمرا عاديا، و متسالما عليه، و قد شجعهم على ذلك (كسرى العرب)، فقد أعلن فى خطابه بالنخيلة ان كل ما شرطه على نفسه للامام الحسن لا يفى به، و عمد الى نقض جميع الشروط التى أعطاها له .. و كانت هذه الظاهرة من ابرز ذاتيات الكوفيين، فقد اعطوا للامام الحسين أعظم العهود و المراثيق على مناصرته، و مناجزة عدوه إلا انهم خاسوا ما عاهدوا عليه اللّه فخذلوه و قتلوه.

۲- عدم التحرج من الكذب

و من الأمراض التى أصيب بها ذلك المجتمع عدم التحرج من الكذب و قد منى الكوفيون بذلك بصورة خاصة، فانهم لما أحاطوا بالامام الحسين (ع)- يوم الطف- لقتله، وجه (ع) سؤالا الى قادة الفرق الذين كاتبوه بالقدوم إليهم فقال:

«يا شبث بن ربعى، و يا حجار بن ابجر، و يا قيس بن الأشعث، و يا زيد بن الحرث، أ لم تكتبوا إلى أن قد اينعت الثمار، و اخضر الجناب و انما تقدم على جند لك مجندة ..».

و لم تخجل تلك النفوس القذرة من تعمد الكذب فأجابوه مجمعين:

«لم نفعل»

و بهر الامام فاندفع يقول:

«سبحان اللّه!! بلى و اللّه لقد فعلتم ..».

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۶

و قد جروا الى المجتمع بما اقترفوه من الآثام كثيرا من الويلات و الخطوب، و تسلح بهم أئمة الظلم و الجور الى اضطهاد المسلمين و ارغامهم على ما يكرهون.

۳- عرض الضمائر للبيع

و قد كان من أحط ما وصل إليه ذلك المجتمع من الانحراف و الزيغ عرض الضمائر و الأديان لبيعها على السلطة جهارا، و قد ألمعنا الى ذلك بصورة مفصلة عند البحث عن عهد معاوية.

۴- الاقبال على اللهو

و أقبل المجتمع بنهم على اللهو و الدعارة، و قد شجع الأمويون بصورة مباشرة حياة المجون لزعزعة العقيدة الدينية من النفوس، و صرف الناس عما ينشده الاسلام من التوازن فى سلوك الفرد.

هذه بعض الأمراض التى المت بالمجتمع الاسلامى، و قد أدت إلى تسيبه، و انهيار قيمه و قد ثار الامام الحسين (ع) ليقضى على التذبذب و الانحراف الذى منيت به الأمة.

۱۳- الدفاع عن حقوقه:

اشارة

و انبرى الامام الحسين (ع) للجهاد دفاعا عن حقوقه التى نهبها الأمويون و اغتصبوها، و أهمها- فيما نحسب- ما يلى:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۷

۱- الخلافة

و آمن الامام الحسين (ع)- كأبيه- أن العترة الطاهرة أولى بمقام رسول اللّه (ص) و أحق بمركزه من غيرهم، لأنهم أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة و مختلف الملائكة، بهم فتح اللّه، و بهم ختم- على حد تعبيره- و قد طبع على هذا الشعور و هو فى غضون الصبا، فقد انطلق الى عمر و كان على منبر رسول اللّه (ص) فصاح به.

«انزل عن منبر أبى، و اذهب الى منبر أبيك».

و لم ينفرد الامام الحسين بهذا الشعور و انما كان سائدا عند أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم يرون أن الخلافة من حقوقهم لأنهم الصق الناس برسول اللّه (ص) و اكثرهم وعيا لأهدافه .. و هناك شىء آخر جدير بالاهتمام و هو ان الحسين (ع) كان هو الخليفة الشرعى بمقتضى معاهدة الصلح التى تم الاتفاق عليها، فقد جاء فى بنودها ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر الى أحد من بعده و الأمر بعده للحسن، فان حدث به حدث فالأمر للحسين» «۱» و على هذا، فلم تكن بيعة يزيد شرعية، فلم يخرج الامام الحسين (ع) على امام من أئمة المسلمين- كما يذهب لذلك بعض ذوى النزعات الأموية و انما خرج (ع) على ظالم مغتصب لحقه.

۲- الخمس

و الخمس حق مفروض لأهل البيت (ع) نص عليه القرآن و تواترت به السنة، و لكن الحكومات السابقة تناهيته فلم تؤد لهم منه شيئا لشل حركة المقاومة عند العلويين، و قد أشار الامام الحسين (ع) الى ذلك فى

---

(۱) حياة الامام الحسن ۲/ ۲۸۸ الطبعة الثانية.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۸

حديثه مع أبى هرة الذى نهاه عن الخروج على بنى أمية، فقال (ع) له:

«ويحك أبا هرة ان بنى أمية أخذوا مالى فصبرت».

و اكبر الظن ان المال الذى أخذته بنو أمية منه هو الخمس، و قد أعلن ذلك دعبل الخزاعى فى رائعته التى انشدها أمام الرضا (ع) فى خراسان بقوله:

أرى فيئهم فى غيرهم متقسماو ايديهم من فيئهم صفرات و التاع الامام الرضا (ع) فجعل يقلب يديه و هو يقول:

«انها- و اللّه- لصفرات» و قد أقض مضاجع العلويين منعهم من الخمس باعتباره أحد المصادر الرئيسية لحياتهم الاقتصادية.

و لعل الامام الحسين قد استهدف بنهضته ارجاع هذا الحق السليب لأهل البيت (ع).

۱۴- الأمر بالمعروف:

و من أوكد الأسباب التى ثار من أجلها أبى الضيم (ع) اقامة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فانهما من مقومات هذا الدين، و الامام بالدرجة الأولى مسئول عنهما. و قد أدلى (ع) بذلك فى وصيته لأخيه ابن الحنفية التى اعلن فيها عن اسباب خروجه على يزيد، فقال (ع) «انى لم اخرج أشرا، و لا بطرا، و لا ظالما، و لا مفسدا، و انما خرجت لطلب الاصلاح فى أمة جدى أريد أن أمر بالمعروف و أنهى عن المنكر».

لقد انطلق (ع) الى ميادين الجهاد ليقيم هذا الصرح الشامخ الذى بنيت عليه الحياة الكريمة فى الاسلام، و قد انهارت دعائمه أيام الحكم الأموى فقد أصبح المعروف فى عهدهم منكرا، و المنكر معروفا، و قد

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۸۹

انكر عليهم الامام فى كثير من المواقف، و التى كان منها خطابه الرائع امام المهاجرين و الأنصار، فقد شجب فيه تخاذلهم عن نصرة الحق و دحض الباطل، و ايثارهم للعافية، و قد ذكرناه فى الحلقة الأولى من هذا الكتاب.

و مما قاله (ع) فى هذا المجال امام اصحابه و اهل بيته يوم الطف:

«الا ترون الى الحق لا يعمل به، و إلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء ربه» لقد آثر الموت على الحياة، لأنه يرى الحق قد تلاشى و الباطل قد استشرى.

۱۵- اماتة البدع:

و عمد الحكم الأموى الى نشر البدع بين المسلمين، التى لم يقصد منها إلا محق الاسلام، و الحاق الهزيمة به، و قد اشار الامام (ع) إلى ذلك فى رسالته التى بعثها لأهل البصرة يقول (ع): «فان السنة قد اميتت و البدعة قد احييت» «۱».

لقد ثار (ع) ليقضى على البدع الجاهلية التى تبناها الأمويون، و يحيى سنة جده التى اماتوها، فكانت نهضته الخالدة من اجل اماتة الجاهلية و نشر راية الاسلام.

---

(۱) الطبرى ۶/ ۲۰۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۰

۱۶- العهد النبوى:

و استشف النبى (ص) من وراء الغيب ما يمنى به الاسلام من الأخطار الهائلة على أيدى الأمويين، و انه لا يمكن بأى حال تجديد رسالته و تخليد مبادئه إلا بتضحية ولده الامام الحسين (ع) فانه هو الذى يكون الدرع الواقى لصيانة الاسلام فعهد إليه بالتضحية و الفداء، و قد أدلى الحسين بذلك حينما عذله المشفقون عليه من الخروج الى العراق فقال (ع) لهم:

«أمرنى رسول اللّه (ص) بأمر و أنا ماض إليه ..».

و يقول المؤرخون: ان النبى (ص) كان قد نعى الحسين الى المسلمين و أحاطهم علما بشهادته و ما يعانيه من أهوال المصائب، و كان- باستمرار- يتفجع عليه و يلعن قاتله، و كذلك أخبر الامام أمير المؤمنين (ع) بشهادته و ما يجرى عليه، و قد ذكرنا فى الحلقة الأولى من هذا الكتاب الأخبار المتواترة بذلك .. و كان الامام الحسين (ع) على علم وثيق بما يجرى عليه فقد سمع ذلك من جده و أبيه و قد أيقن بالشهادة، و لم يكن له أى أمل فى الحياة فمشى إلى الموت بعزم و تصميم امتثالا لأمر جده الذى عهد إليه بذلك.

۱۷- العزة و الكرامة:

و من أوثق الأسباب التى ثار من أجلها ابو الأحرار هو العزة و الكرامة فقد أراد الأمويون ارغامه على الذل، و الخنوع، فأبى إلا أن يعيش عزيزا تحت ظلال السيوف و الرماح، و قد أعلن سلام اللّه عليه ذلك يوم الطف بقوله:

«الا و ان الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة و الذلة،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۱

و هيهات منا الذلة يأبى اللّه لنا ذلك و رسوله، و نفوس أبية، و انوف حمية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ..».

و قال (ع):

«لا أرى الموت الا سعادة و الحياة مع الظالمين الا برما ..».

لقد عانق الموت بثغر باسم فى سبيل إبائه و عزته، و ضحى بكل شىء من أجل حريته و كرامته.

۱۸- غدر الأمويين و فتكهم:

و ايقن الامام الحسين (ع) ان الأمويين لا يتركونه، و لا تكف أيديهم عن الغدر و الفتك به حتى لو سالمهم و بايعهم، و ذلك لما يلى:

۱- ان الامام كان ألمع شخصية فى العالم الاسلامى، و قد عقد له المسلمون فى دخائل نفوسهم خالص الود و الولاء لأنه حفيد نبيهم و سيد شباب أهل الجنة، و من الطبيعى انه لا يروق للأمويين وجود شخصية تتمتع بنفوذ قوى، و مكانة مرموقة فى جميع الأوساط فانها تشكل خطرا على سلطانهم و ملكهم.

۲- ان الأمويين كانوا حاقدين على النبى (ص) لأنه وترهم فى واقعة بدر، و ألحق بهم الهزيمة و العار، و كان يزيد يترقب الفرص للانتقام من أهل بيت النبى (ص) ليأخذ ثارات بدر منهم، و يقول الرواة إنه كان يقول:

لست من خندف إن لم انتقممن بنى احمد ما كان فعل و لما استوفى ثأره و روى احقاده بابادتهم أخذ يترنم و يقول:

قد قتلنا القوم من ساداتهمو عدلناه ببدر فاعتدل

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۲

۳- ان الأمويين قد عرفوا بالغدر و نقض العهود، فقد صالح الحسن معاوية، و سلم إليه الخلافة و مع ذلك فقد غدر معاوية به فدس إليه سما فقتله، و اعطوا الأمان لمسلم بن عقيل فخانوا به .. و قد ذكرنا فى البحوث السابقة مجموعة من الشخصيات التى اغتالها معاوية خشية منهم.

و قد اعلن الامام الحسين (ع) ان بنى أمية لا يتركونه يقول (ع) لأخيه محمد بن الحنفية: «لو دخلت فى حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقتلونى» و قال (ع) لجعفر بن سليمان الضبعى:

«و اللّه لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة- يعنى قلبه الشريف- من جوفى».

و اختار (ع) أن يعلن عليهم الحرب و يموت ميتة كريمة تهز عروشهم و تقضى على جبروتهم و طغيانهم.

هذه بعض الأسباب التى حفزت أبا الأحرار إلى الثورة على حكم يزيد

رأى رخيص:

و وصف جماعة من المتعصبين لبنى أمية خروج الامام على يزيد بأنه كان من اجل الملك و الظفر بخيرات البلاد، و هذا الرأى ينم عن حقدهم على الامام بما احرزه من الانتصارات الرائعة فى نهضته المباركة التى لم يظفر بمثل معطياتها أى مصلح اجتماعى فى الأرض، و قد يكون لبعضهم العذر لجهلهم بواقع النهضة الحسينية، و عدم الوقوف على اسبابها، لقد كان الامام على يقين باخفاق

ثورته فى الميادين العسكرية، لأن خصمه كان يدعمه جند مكثف أولو قوة و اولو بأس شديد، و هو لم تكن عنده أية قوة عسكرية ليحصل على الملك، و لو كان الملك غايته- كما يقولون- لعاد

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۳

إلى الحجاز او مكان آخر حينما بلغه مقتل سفيره مسلم بن عقيل، و انقلاب الكوفة عليه، و يعمل حينئذ من جديد على ضمان غايته، و نجاح مهمته لقد كان الامام على علم بأن الأوضاع السائدة كلها كانت فى صالح بنى أميّة و ليس منها مما يدعمه او يعود لصالحه، يقول ابن خلدون: «ان هزيمة الحسين كانت امرا محتما لأن الحسين لم تكن له الشوكة التى تمكنه من هزيمة الأمويين لأن عصبية مضر فى قريش، و عصبية قريش فى عبد مناف و عصبية عبد مناف فى بنى أميّة، فعرف ذلك لهم قريش و سائر الناس لا ينكرونه» «۱».

لقد كانت ثورة الامام من اجل غاية لا يفكر بها اولئك الذين فقدوا وعيهم، و اختيارهم فقد كان خروجه على حكم يزيد من اجل حماية المثل الاسلامية و القيم الكريمة من الأمويين الذين حملوا عليها معول الهدم ..

يقول بعض الكتاب المعاصرين.

«و يحق لنا أن نسأل ما ذا كان هدف الحسين عليه السلام، و ما ذا كانت القضية التى يعمل من اجلها؟ أما لو كان هدفه شخصيا يتمثل فى رغبته فى اسقاط يزيد ليتولى هو بنفسه الخلافة التى كان يطمح إليها، ما وجدنا فيه هذا الاصرار على التقدم نحو الكوفة رغم وضوح تفرق الناس من حوله، و استسلامهم لابن زياد، و حملهم السلاح فى اعداد كثيرة لمواجهته و القضاء عليه.

ان أقصر الناس نظرا كان يدرك ان مصيره لن يختلف عما آل إليه فعله، و لو كان الحسين بهذه المكانة من قصر النظر لعاد إلى مكة ليعمل من جديد للوصول إلى منصب الخلافة .. و لو كان هدفه فى أول الأمر الوصول الى منصب الخلافة ثم لما بلغه مصرع ابن عمه قرر مواصلة السفر للثأر

---

(۱) المقدمة (ص ۱۵۲).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۴

من قاتليه- كما يزعم بعض الباحثين- استجابة لقضية اهله و اقاربه، لو كان هذا هدفه لأدرك ان جماعته التى خرجت معه للثأر و هى لا تزيد على التسعين رجالا و نساء و اطفالا لن تصل إلى شىء من ذلك من دون ان يقضى على افرادها جميعا، و بغير ان يضحى هو بنفسه ضحية رخيصة فى ميدان الثأر. و من ثم يكون من واجبه للثأر ان يرجع ليعيد تجميع صفوف انصاره و اقربائه، و يتقدم فى الجمع العظيم من الغاصبين و الموتورين.

فالقضية اذا ليست قضية ثأر و الهدف ليس هدفا شخصيا، و انما الأمر أمر الأمة، و القضية كانت للحق، و الاقدام اقدام الفدائى الذى أراد أن يضرب المثل بنفسه فى البذل و التضحية، و لم يكن اصرار الحسين على التقدم نحو الكوفة بعد ما علم من تخاذل أهلها و نكوصهم عن الجهاد إلا ليجعل من استشهاده علما تلتف حوله القلة التى كانت لا تزال تؤمن بالمثل و تلتمس فى القادة من ينير لها طريق الجد فى الكفاح .. و تحريكا لضمائر المتخاذلين القاعدين عن صيانة حقوقهم و رعاية صوالحهم».

و الم هذا القول بالواقع المشرق الذى ناضل من أجله الامام الحسين فهو لم يستهدف أى مصلحة ذاتية، و انما استهدف مصلحة الامة و صيانتها من الأمويين.

تخطيط الثورة:

اشارة

و درس الامام الحسين (ع) أبعاد الثورة بعمق و شمول، و خطط أساليبها بوعى و ايمان، فرأى أن يزج بجميع ثقله فى المعركة، و يضحى بكل شىء لانقاذ الأمة من محنتها فى ظل ذلك الحكم الأسود الذى تنكر لجميع متطلبات الأمة .. و قد أدرك المستشرق الألمانى ماريين تخطيط الامام

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۵

الحسين لثورته، فاعتبر أن الحسين قد توخى النصر منذ اللحظة الأولى، و علم النصر فيه، فحركة الحسين فى خروجه على يزيد- كما يقول- انما كانت عزمة قلب كبير عز عليه الاذعان، و عز عليه النصر العاجل، فخرج بأهله و ذويه ذلك الخروج الذى يبلغ به النصر الآجل بعد موته، و يحيى به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة.

لقد أيقن ابو الشهداء (ع) ان القضية الاسلامية لا يمكن أن تنتصر إلا بفخامة ما يقدمه من التضحيات فصمم بعزم و ايمان على تقديم أروع التضحيات و هذه بعضها:

۱- التضحية بنفسه:

و اعلن الامام (ع) عن عزمه على التضحية بنفسه، فاذاع ذلك فى مكة فأخبر المسلمين ان أوله سوف تتقطع بين النواويس و كربلا، و كان فى أثناء مسيرته الى العراق يتحدث عن مصرعه، و يشابه بينه و بين أخيه يحيى بن زكريا و ان رأسه الشريف سوف يرفع إلى بغى من بغايا بنى أمية كما رفع رأس يحيى إلى بغى من بغايا بنى اسرائيل.

لقد صمم على الموت و استهان بالحياة من أجل أن ترتفع راية الحق و تعلو كلمة اللّه فى الأرض و بقى صامدا على عزمه الجبار فلم يرتهب حينما أحاطت به الجيوش الهائلة و هى تبيد أهل بيته و أصحابه فى مجزرة رهيبة اهتز من هولها الضمير الانسانى، و قد كان فى تلك المحنة الحازبة من أربط الناس جأشا، و أمضاهم جنانا، فلم ير قبله و لا بعده شبيها له فى شدة بأسه و قوة عزيمته، كما لا يعرف التأريخ فى جميع مراحله تضحية أبلغ أثرا فى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۶

حياة الناس من تضحيته عليه السلام فقد بقيت صرخة مدوية فى وجوه الظالمين و المستبدين.

۲- التضحية بأهل بيته:

و أقدم أبو الشهداء (ع) على أعظم تضحية لم يقدمها أى مصلح اجتماعى فى الأرض، فقد قدم أبناءه و أهل بيته و أصحابه فداء لما يرتئيه ضميره من تعميم العدل و اشاعة الحق و الخير بين الناس.

و قد خطط هذه التضحية، و آمن بأنها جزء من رسالته الكبرى، و قد أذاع ذلك و هو فى يثرب حينما خفت إليه السيدة أم سلمة زوج النبى تعذله عن الخروج، فأخبرها عن قتله و قتل أطفاله .. و قد مضى إلى ساحات الجهاد و هو متسلح بهذا الايمان، فكان يشاهد الصفوة من أصحابه الذين هم من أنبل من عرفتهم الانسانية فى ولائهم للحق، و هم يتسابقون إلى المنية بين يديه، و يرى الكواكب من أهل بيته و أبنائه، و هم فى غضارة العمر و ريعان الشباب، و قد تناهبت أشلاءهم السيوف و الرماح، فكان يامرهم بالثبات و الخلود إلى الصبر قائلا:

«صبرا يا بنى عمومتى، صبرا يا أهل بيتى لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم أبدا!!».

و اهتزت الدنيا من هول هذه التضحية التى تمثل شرف العقيدة، و سمو القصد و عظمة المبادئ التى ناضل من أجلها، و هى- من دون شك- ستبقى قائمة على ممر القرون و الأجيال، تضىء للناس الطريق، و تمدهم بأروع الدروس عن التضحية فى سبيل الحق و الواجب.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۷

۳- التضحية بأمواله:

و ضحى أبى الضيم بجميع ما يملك فداء للقرآن، و وقاية لدين اللّه، و قد هجمت- بعد مقتله- الوحوش الكاسرة من جيوش الأمويين على مخيمه فتناهبوا ثقله و متاعه حتى لم يتركوا ملحفة او ازارا على مخدرات الرسالة الا نهبوه، و مثلوا بذلك خسة الانسان حينما يفقد ذاتياته، و يمسخ ضميره.

۴- حمل عقائل النبوة:

اشارة

و كان من اروع ما خططه الامام العظيم (ع) فى ثورته الكبرى حمله لعقائل النبوة و مخدرات الرسالة الى كربلاء، و هو يعلم ما سيجرى عليهن من النكبات و الخطوب، و قد اعلن ذلك حينما عذله ابن عباس عن حملهن معه الى العراق، فقال له:

«قد شاء اللّه ان يراهن سبايا ..».

لقد اراد (ع) بذلك ان يستكمل اداء رسالته الخالدة فى تحرير الأمة و انقاذها من الاستعباد الأموى .. و قد قمن تلك السيدات بدور مشرق فى اكمال نهضة أبى الشهداء (ع) فأيقظن المجتمع بعد سباته، و أسقطن هيبة الحكم الأموى، و فتحن باب الثورة عليه، و لولاهن لم يتمكن أحد أن يفوه بكلمة واحدة أمام ذلك الطغيان الفاجر، و قد أدرك ذلك كل من تأمل فى نهضة الامام و درس ابعادها «و قد ألمع إليها بعض العلماء و الكتاب، و فيما يلى بعضهم:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۸

۱- الامام كاشف الغطاء

و أكد الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه اللّه فى كثير من مؤلفاته أن الغاية من خروج الامام بعائلته الى كربلا اكمالا لنهضته و بلوغا إلى هدفه فى تحطيم دولة الأمويين يقول: «و هل تشك و ترتاب فى أن الحسين (ع) لو قتل هو و ولده، و لم يتعقبه قيام تلك الحرائر فى تلك المقامات بتلك التحديات لذهب قتله جبارا، و لم يطلب به أحد ثارا و لضاع دمه هدرا، فكان الحسين يعلم أن هذا عمل لا بد منه، و أنه لا يقوم به إلا تلك العقائل فوجب عليه حتما أن يحملهن معه لا لأجل المظلومية بسببهن فقط، بل لنظر سياسى و فكر عميق، و هو تكميل الغرض، و بلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، و المبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضى على الاسلام و تعود الناس الى جاهليتها الأولى ..» «۱».

۲- أحمد فهمى

يقول الاستاذ السيد أحمد فهمى: «و قد أدرك الحسين أنه مقتول إذ هو يعلم علم اليقين قبح طوية يزيد، و اسفاف نحيزته، و سوء سريرته فيزيد بعد قتل الحسين ستمتد يده الى أن يؤذى النبى (ص) فى سلالته من قتل الأطفال الأبرياء، و انتهاك حرمة النساء، و حملهن و من بقى من الأطفال من قفرة الى قفرة و من بلد الى بلد، فيثير مرأى اولئك حفيظة المسلمين، فليس ثمة اشنع، و لا أفظع من التشفى و الانتقام من النساء و الأطفال بعد قتل الشباب و الرجال فهو بخروجه بتلك الحالة أراد أن يثأر

(۱) تحدث الامام كاشف الغطاء عن هذه الجهة بالتفصيل فى كتابه السياسة الحسينية.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۲۹۹

من يزيد فى خلافته، و يقتله فى كرامته، و حقا لقد وقع ما توقعه، فكان لما فعله يزيد و عصبته من فظيع الأثر فى نفوس المسلمين، و زاد فى أضغانهم ما عرضوا به سلالة النبوة من هتك خدر النساء، و هن اللاتى ما عرفن إلا بالصيانة و الطهر و العز و المنعة، مما اطلق السنة الشعراء بالهجاء و الذم، و نفر أكثر المسلمين من خلافة الأمويين، و اسخط عليهم قلوب المؤمنين، فقد قتله الحسين أشد من قتله إياه» «۱».

۳- أحمد محمود صبحى

يقول الدكتور احمد محمود صبحى: «ثم رفض- يعنى الحسين- إلا أن يصحب أهله ليشهد الناس على ما يقترفه اعداؤه بما لا يبرره دين و لا وازع من انسانية، فلا تضيع قضيته مع دمه المراق فى الصحراء فيفترى عليه أشد الافتراء حين يعدم الشاهد العادل على كل ما جرى بينه و بين أعدائه، تقول الدكتورة بنت الشاطئ: افسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد و بنى أمية لذة النصر، و سكبت قطرات من السم الزعاف فى كئوس الظافرين و ان كل الأحداث السياسية التى ترتبت بعد ذلك من خروج المختار و ثورة ابن الزبير و سقوط الدولة الأموية و قيام الدولة العباسية ثم تأصل مذهب الشيعة انما كانت زينب هى باعثة ذلك و مثيرته «۲».

أريد أن أقول ما ذا يكون الحال لو قتل الحسين و من معه جميعا من الرجال الا أن يسجل التأريخ هذه الحادثة الخطيرة من وجهة نظر أعدائه

(۱) ريحانة الرسول (ص ۱۶۷).

(۲) بطلة كربلا (ص ۱۷۶ و ۱۸۰).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۰

فيضيع كل اثر لقضيته مع دمه المسفوك فى الصحراء ..» «۱».

هذه بعض الآراء التى تدعم ما ذكرناه من أن خروج الحسين (ع) بعائلته لم يكن الغرض منه إلا بلورة الرأى العام، و إيضاح المقاصد الرفيعة التى ثار من أجلها و من أهمها القضاء على دولة الأمويين التى كانت تشكل خطرا مباشرا على العقيدة الاسلامية و هناك رأى آخر أدلى به العلامة المغفور له الشيخ عبد الواحد المظفر، و هو ان الحسين انما خرج بعائلته خوفا عليها من اعتقال الأمويين و زجها فى سجونهم قال: «الحسين لو أبقى النساء فى المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علنا و زجتها فى ظلمات السجون، و لا بد له حينئذ من أحد أمرين خطيرين كل منهما يشل أعضاء نهضته المقدسة!

اما الاستسلام لأعدائه و اعطاء صفقته لهم طائعا ليستنقذ العائلة المصونة و هذا خلاف الاصلاح الذى ينشده، و فرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، أو يمضى فى سبيل احياء دعوته، و يترك المخدرات اللواتى ضرب عليهن الوحى سترا من العظمة و الاجلال، و هذا ما لا تطيق احتماله نفس الحسين الغيور و لا يردع أميّة رادع من الحياء، و لا يزجرها زاجر من الاسلام.

ان أميّة لا- يهمها اقتراف الشائن فى بلوغ مقاصدها، و ادراك غاياتها فتتوصل الى غرضها و لو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية و العقلية.

أ لم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعى، و زوجة عبيد اللّه بن الحر الجعفى و اخيرا زوجة الكميت الاسدى» «۲».

(۱) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية (ص ۳۴۳).

(۲) توضيح الغامض من اسرار السنن و الفرائض (ص ۲۹۷- ۲۹۸).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۱

و على أى حال فقد حطم الامام بخروجه لعائلته جميع مخططات السياسة الأموية و نسف جميع ما أقامه معاوية من معالم الظلم، فقد قمن عقائل الوحى بدور فعال ببث الوعى الاجتماعى، و تعريف المجتمع بواقع الأمويين و تجريدهم من الاطار الدينى، و لولاهن لاندرست معالم ثورة الحسين، و ذهبت ادراج الرياح.

إن من ألمع الأسباب فى استمرار خلود مأساة الامام الحسين (ع) و استمرار فعالياتها فى بث الاصلاح الاجتماعى على امتداد التأريخ هو حمل ودائع الرسالة و عقائل الوحى مع الامام فقد قمن بدور مشرق ببلورة الرأى العام، فحملن راية الايمان التى حملها الامام العظيم، و نشرن مبادئه العليا التى استشهد من أجلها، فقد انبرت حفيدة الرسول (ص) و شقيقة الحسين السيدة زينب بنت امير المؤمنين (ع) الى ساحات الجهاد، و هى تدك حصون الظالمين، و تدمر جميع ما احرزوه من الانتصارات فى قتل اخيها، و تلحق بهم الهزيمة و العار، و تملأ بيوتهم مأساة و حزنا.

لقد اقبلت قائدة المسيرة الحسينية عقيلة الوحى زينب (ع) الى ساحة المعركة و هى تشق صفوف الجيش تفتش عن جثمان اخيها الامام العظيم فلما وقفت عليه شخصت لها ابصار الجيش، و استحال الى سمع فما ذا تقول أمام هذه الخطوب المذهلة التى تواكبت عليها؟ انها وقفت عليه غير مدهوشة لم تذهلها الرزايا التى تميد منها الجبال، فشخصت ببصرها الى السماء؟ و هى تقول بحماسة الايمان و حرارة العقيدة قائلة:

«اللهم تقبل منا هذا القربان».

و اطلقت بذلك أول شرارة للثورة على الحكم الأموى بعد أخيها، و ود الجيش أن تسبخ به الأرض فقد استبان له عظم ما اقترفه من الاثم و انه قد أباد

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۲

عناصر الاسلام، و مراكز الوعى و الايمان.

و لما اقتربت سبايا اهل البيت (ع) الى الكوفة خرجت الجماهير الحاشدة لاستقبال السبايا فخطبت فيهم عقيلة الوحى خطابا مثيرا و مذهلا و اذا بالناس حيارى لا يعون و لا يدرون قد استحالت بيوتهم إلى مآتم و هم يندبون حظهم التعيس و يبكون على ما اقترفوه من الجرم، و حينما انتهت الى دار الامارة استقبلها الطاغية متشفيا بأحط و اخس ما يكون التشفى قائلا»

«كيف رأيت صنع اللّه بأخيك؟».

و انطلقت عقيلة بنى هاشم ببسالة و صمود فأجابته بكلمات النصر و الظفر قائلة:

«ما رأيت إلا- جميلا- هؤلاء قوم كتب اللّه عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، و سيجمع اللّه بينك و بينهم فتحاج و تخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة».

و اخزت هذه الكلمات ابن مرجانة فكانت اشق عليه من ضرب السيوف و طعن الرماح، و لما انتهت إلى الشام هزت العرش الأموى بخطابها المثير الرائع، و حققت بذلك من النصر ما لم تحققه الجيوش ...

لقد كان حمل الامام الحسين لعائلته قائما على أساس من الوعى العميق الذى احرز به الفتح و النصر.

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض اسباب الثورة الحسينية و مخططاتها.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۳

فى مكة

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۵

و بعد ما اعلن الامام الحسين (ع) رفضه الكامل لبيعة يزيد اتجه مع اهل بيته إلى مكة التى هى حرم اللّه، و حرم رسوله، عائذا ببيتها الحرام الذى فرض فيه تعالى الأمن و الطمأنينة لجميع العباد.

لقد اتجه إلى هذا البلد الأمين ليكون بمأمن من شرور الأمويين و اعتداءاتهم، و يقول المؤرخون: إنه خرج ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة (۶۰ ه) «۱» و قد خيم الذعر على المدنيين حينما رأوا آل النبى (ص) ينزحون عنهم إلى غير مآب.

و فصل الركب من يثرب، و هو جاد فى مسيرته، و كان الامام (ع) يتلو قوله تعالى:

«رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»

لقد شبه خروجه بخروج موسى على فرعون زمانه، و كذلك قد خرج على طاغية زمانه فرعون هذه الأمة ليقيم الحق، و يبنى صروح العدل و سلك الطريق العام الذى يسلكه الناس من دون أن يتجنب عنه، و اشار عليه بعض اصحابه ان يحيد عنه- كما فعل ابن الزبير- مخافة أن يدركه الطلب من السلطة فى يثرب، فأجابه عليه السلام بكل بساطة و ثقة فى النفس قائلا:

(لا و اللّه لا فارقت هذا الطريق ابدا او انظر إلى ابيات مكة، أو يقضى اللّه فى ذلك ما يجب و يرضى.».

لقد رضى بكل قضاء يبرمه اللّه، و لم يضعف، و لم توهن عزيمته الأحداث الهائلة التى لا يطيقها اى انسان، و كان يتمثل فى اثناء مسيرته

---

(۱) خطط المقريزى ۲/ ۲۸۵، المنتظم لابن الجوزى، الافادة فى تأريخ الأئمة السادة و فى الفتوح ۵/ ۳۴ انه خرج لثلاث ليال مضين من شعبان.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۶

بشعر يزيد بن المفرغ:

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح‌مغيرا و لا دعيت يزيدا

يوم اعطى مخافة الموت ضيماو المنايا ترصدننى أن احيدا «۱» لقد كان على ثقة ان المنايا ترصده ما دام مصمما على عزمه الجبار فى أن يعيش عزيزا لا يضام و لا يذل و لا يخضع لحكم يزيد .. و يقول بعض الرواة انه كان فى مسيرته ينشد هذه الأبيات:

اذا المرء لم يحم بنيه و عرسهو نسوته كان اللئيم المسببا

و فى دون ما يبغى يزيد بنا غدانخوض حياض الموت شرقا و مغربا

و نضرب كالحريق مقدمااذا ما رأه ضيغم راح هاربا و دل هذا الشعر على مدى عزمه على أن يخوض حياض الموت سواء أ كانت فى المشرق أم فى المغرب و لا يبايع يزيد بن معاوية.

مع عبد اللّه بن مطيع:

و استقبله فى أثناء الطريق عبد اللّه بن مطيع العدوى، فقال له:

- أين تريد أبا عبد اللّه، جعلنى اللّه فداك؟

- اما فى وقتى هذا أريد مكة، فاذا صرت إليها استخرت اللّه فى أمرى بعد ذلك.

- خار اللّه لك، يا ابن بنت رسول اللّه فيما قد عزمت عليه، انى أشير عليك بمشورة فاقبلها منى.

- ما هى؟

---

(۱) تأريخ الطبرى.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۷

- اذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك و اخوك طعنوه بطعنة كادت أن تأتى على نفسه، فالزم الحرم فانك سيد العرب فى دهرك «فو اللّه لئن هلكت ليهلكن اهل بيتك بهلاككك».

و شكره الامام و ودعه و دعا له بخير «۱» و سار موكب الامام يجد السير لا يلوى على شىء حتى انتهى إلى مكة فلما نظر الامام إلى جبالها تلا قوله تعالى: «وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَواءَ السَّبِيلِ» «۲».

---

(۱) المنتظم لابن الجوزى الجزء الخامس، الفتوح ۵/ ۳۴ و جاء فى تأريخ ابن عساكر ۱۳/ ۵۵ ان الحسين مر بابن مطيع و هو يحفر بئرا، فقال له: إلى اين فداك أبى و أمى، فقال له: أردت مكة، و ذكر له كتب أهل الكوفة إليه، فقال ابن مطيع: فداك ابى و أمى متعنا بنفسك و لا تسر إليهم، فأبى الحسين ثم قال له ابن مطيع: إن بئرى هذه قد رسحتها و هذا اليوم أوان تمامها قد خرج إلينا فى الدلو شىء من مائها، فلو دعوت اللّه لنا فيها بالبركة، فقال (ع): هات من مائها فأتاه منه فشرب منه، و تمضمض ورده فى البئر فعذب ماؤها، و جاء فى وسيلة المآل فى عد مناقب الآل (ص ۱۸۵) لصفى الدين: ان عبد اللّه لقى الحسين فقال له: جعلت فداك أين تريد؟ فقال: أما الآن فمكة، و أما بعدها فأستخير اللّه، فقال: خار اللّه لك و جعلنا فداك الزم الحرم فانك سيد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز احدا، و تتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمى و خالى، فو اللّه ان هلكت لنسترقن بعدك.

(۲) الفتوح ۵/ ۳۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۸

لقد كانت هجرته إلى مكة كهجرة موسى إلى مدين، فكل منهما قد فر من فرعون زمانه، و هاجر لمقاومة الظلم و مناهضة الطغيان.

فى مكة:

و انتهى الامام إلى مكة ليلة الجمعة لثلاث ليال مضين من شعبان «۱» و قد حط رحله فى دار العباس بن عبد المطلب «۲» و قد استقبل استقبالا حافلا من المكيين، و جعلوا يختلفون إليه بكرة و عشية، و هم يسألونه عن أحكام دينهم، و احاديث نبيهم، يقول ابن كثير: «و عكف الناس بمكة يفدون إليه، و يجلسون حواليه، و يستمعون كلامه، و ينتفعون بما يسمعون منه، و يضبطون ما يروون عنه» «۳» لقد كان بجاذبيته الروحية مهوى القلوب، و ندى الأفئدة، و قد حامت حوله النفوس تروى غليلها من نمير علومه التى هى امتداد من علوم جده مفجر العلم و النور فى الأرض.

احتفاء الحجاج و المعتمرين به:

و أخذ القادمون إلى بيت اللّه من الحجاج و المعتمرين من سائر الآفاق يختلفون إليه «۴» و يهتفون بالدعوة إليه، و يطوفون حوله، هذا يلتمس

---

(۱) المنتظم لابن الجوزى، الافادة فى تأريخ الأئمة السادة.

(۲) تأريخ ابن عساكر ۱۳/ ۶۸، و فى الأخبار الطوال (ص ۲۰۹) انه نزل فى شعب على.

(۳) البداية و النهاية

(۴) الفصول المهمة لابن الصباغ (۱۷۰) وسيلة المآل فى عد مناقب الآل (۱۸۵).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۰۹

منه العلم و الحديث، و ذاك يقتبس منه الحكم النافعة، و الكلم الجامعة ليهتدى بأنوارهما فى ظلمات الحياة «۱» و لم يترك الامام ثانية من وقته تمر دون أن يبث الوعى الاجتماعى، و يدعو الى اليقظة و الحذر من السياسة الأموية الهادفة إلى استعباد المسلمين و اذلالهم.

فزع ابن الزبير:

اشارة

و كان ابن الزبير لاجئا الى مكة فرارا من البيعة ليزيد، و قد ثقل عليه اختلاف الناس على الامام الحسين (ع) و اجماعهم على تعظيمه و تبجيله و زهد الناس و انصرافهم عنه لأنه لم يكن يتمتع بصفة محبوبة، و لا بنزعة كريمة، يقول زيد بن على الجذعانى: «و كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة لأنه كان بخيلا ضيق العطن «۲» سيئ الخلق، حسودا كثير الخلاف أخرج محمد بن الحنفية، و نفى عبد اللّه بن عباس الى الطائف» «۳» و من مظاهر ذاتياته الشح و البخل، و فيه يقول الشاعر:

رأيت أبا بكر و ربك غالبعلى أمره يبغى الخلافة بالتمر «۴» و قد عانى الشعب فى أيام حكمه القصير الجوع و الحرمان، كما عانت الموالى التى بالغت فى نصرته أشد ألوان الضيق، و قد عبر شاعرهم عن خيبة أملهم فى نصرته يقول:

---

(۱) نهضة الحسين (ص ۷۳).

(۲) العطن: مبرك الابل، و مربض الغنم.

(۳) فوات الوفيات ۱/ ۴۴۸.

(۴) المعارف لابن قتيبة (ص ۷۶).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۰ إن الموالى أمست و هى عاتبةعلى الخليفة تشكو الجوع و السغبا

ما ذا علينا و ما ذا كان يرزؤناأى الملوك على من حولنا غلبا «۱» و اظهر ابن الزبير النسك و الطاعة و التقشف تصنعا لصيد البسطاء و اغراء السذج، و قد وصفه الامام امير المؤمنين (ع) بقوله: «ينصب حبالة الدين لاصطفاء الدنيا» «۲».

و من المؤكد أنه لم يكن يبغى فى خروجه على سلطان بنى أمية وجه اللّه و انما كان يبغى الملك و السلطان، و قد أدلى بذلك عبد اللّه بن عمر حينما ألحت عليه زوجته فى مبايعته، و ذكرت له طاعته و تقواه فقال لها:

«أ ما رأيت بغلات معاوية التى كان يحج عليها الشهباء؟ فان ابن الزبير ما يريد غيرهن» «۳».

و على أى حال فان ابن الزبير لم يكن شىء اثقل عليه من أمر الحسين لعلمه بأنه لا يبايعه احد مع وجود الحسين (ع) لانه ابن رسول اللّه (ص) فليس على وجه الأرض أحد يساميه و لا يساويه- كما يقول ابن كثير- «۴» و اكد ذلك (اوكلى) قال: ان ابن الزبير كان مقتنعا تماما بأن كل جهوده ستضيع عبثا طالما بقى الحسين على قيد الحياة، و لكن اذا أصابه مكروه فان طريق الخلافة سيكون ممهدا له.

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۲۲.

(۲) شرح النهج ۷/ ۲۴.

(۳) المختار (ص ۹۵).

(۴) البداية و النهاية ۸/ ۱۵۰ و جاء فی وسيلة المآل (ص ۱۸۵) و قد ثقلت وطأة الحسين على ابن الزبير لأن اهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين بالبلد، و لا يتهيأ له ما يطلب منهم مع وجود الحسين.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۳۱۱

و كان يشير على الامام بالخروج إلى العراق للتخلص منه، و يقول له:

«ما يمنعك من شيعتك و شيعة أبيك؟ فو اللّه لو أن لی مثلهم ما توجهت إلا إليهم» «۱».

و لم يمنح ابن الزبير النصيحة للامام، و لم يخلص له فی الرأی، و انما أراد أن يستريح منه، و لم تخف على الامام دوافعه، فراح يقول لأصحابه:

«إن هذا- و أشار إلى ابن الزبير- ليس شیء من الدنيا أحب إليه من أن اخرج من الحجاز و قد علم أن الناس لا يعدلونه بی فود أنی خرجت حتى يخلو له» «۲».

و لم تحفل السلطة الأموية بابن الزبير و إنما وجهت جميع اهتمامها نحو الامام الحسين.

رأی الغزالی:

و استبعد الشيخ محمد الغزالی أن ابن الزبير قد أشار على الحسين بالخروج إلى العراق ليستريح منه، قال: «فعبد اللّه بن الزبير اتقى للّه و أعرق فی الاسلام من أن يقترف هذه الدنية» «۳».

و هذا الرأی بعيد عن الواقع فان ابن الزبير لم تكن له أية حريجة فی الدين فهو الذی أجج نار الفتنة فی حرب الجمل و زج أباه فيها، و قد تهالك على السلطان، و ضحى بكل شیء فی سبيله، و قد كان من

---

(۱) تأريخ الاسلام للذهبی ۲/ ۲۶۸.

(۲) تأريخ ابن الأثير ۴/ ۱۶، الطبری ۶/ ۲۱۶.

(۳) من معالم الحق (ص ۱۳۱).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۳۱۲

أعدی الناس للعترة الطاهرة، و من كان هذا شأنه فهل يكون تقيا و عريقا فی الاسلام؟.

رأی رخيص:

من الآراء الرخيصة ما ذهب إليه أنيس زكريا المعروف بنزعته الأموية ان من أهم الأسباب التی أدت إلى قتل الامام الحسين (ع) تشجيع ابن الزبير له فی الخروج إلى العراق، فقد كان له أثره المهم فی نفسه «۱» و هذا القول من أهزل الآراء فان الامام الحسين (ع) لم يتأثر بقول ابن الزبير، و لم ينخدع بتشجيعه له، و انما كانت هناك عوامل أخرى حفزته إلى الخروج إلى العراق، و قد ذكرناها بالتفصيل فی البحوث السابقة.

فزع السلطة المحلية:

و ذعرت السلطة المحلية فى مكة من قدوم الامام إليها، و خافت أن يتخذها مقرا سياسيا لدعوته، و منطلقا لاعلان الثورة على حكومة دمشق، و قد خف حاكم مكة عمرو بن سعيد الأشدق و هو مذعور فقابل الامام، فقال له:

- ما أقدمك؟

- عائذا باللّه، و بهذا البيت .. «۲».

---

(۱) الدولة الأموية فى الشام (ص ۵۴).

(۲) تذكرة الخواص (ص ۲۴۸).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۳

لقد جاء الامام عائذا ببيت اللّه الحرام الذى من دخله كان آمنا، و كان محصنا من كل ظلم و اعتداء.

و لم يحفل الأشدق بكلام الامام و انما رفع رسالة إلى يزيد أحاطه بها علما بمجيء الامام إلى مكة، و اختلاف الناس إليه، و ازدحامهم على مجلسه، و اجماعهم على تعظيمه، و أخبره ان ذلك يشكل خطرا على الدولة الأموية.

قلق يزيد:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ج ۲ ۳۱۳ قلق يزيد: ..... ص : ۳۱۳

اضطرب يزيد كأشد ما يكون الاضطراب حينما وافته الأنباء بامتناع الحسين عن بيعته و هجرته إلى مكة، و اتخاذها مركزا لدعوته، و ارسال العراق الوفود و الرسائل إلى الدعوة لبيعته، فكتب إلى عبد اللّه بن عباس رسالة، و هذا نصها:

«أما بعد: فان ابن عمك حسينا، و عدو اللّه ابن الزبير التويا ببيعتى و لحقا بمكة مرصدين للفتنة، معرضين أنفسهما للهلكة، فأما ابن الزبير فانه صريع الفنا، و قتيل السيف غدا، و أما الحسين فقد أحببت الأعذار إليكم أهل البيت مما كان منه، و قد بلغنى أن رجالا من شيعته من أهل العراق يكاتبونه، و يكاتبهم، و يمنونه الخلافة، و يمنيهم الامرة، و قد تعلمون ما بينى و بينكم من الوصلة و عظيم الحرمة و نتائج الأرحام، و قد قطع ذلك الحسين، و بته، و أنت زعيم أهل بيتك، و سيد بلادك، فالقه فارددە عن السعى فى الفتنة، فان قبل منك و أناب فله عندى الأمان، و الكرامة الواسعة، و أجرى عليه ما كان أبى يجريه على أخيه و إن طلب الزيادة فاضمن له ما أداك، و أنفذ ضمانك، و أقوم له بذلك

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۴

و له على الأيمان المغلظة، و المواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه، و يعتمد فى كل الأمور عليه، عجل بجواب كتابى، و بكل حاجة لك قبلى و السلام و ختم كتابه بهذه الأبيات:

يا أيها الراكب العادى مطيتهعلى غذافرة فى سيرها فحم

ابلغ قريشا على نأى المزار بهابينى و بين الحسين اللّه و الرحم

و موقف بفناء البيت أنشدهعهد الاله غدا و ما توفى به الذمم

عنيتم قومكم فخرا بأمكمأم لعمرى حصان عفة كرم

هى التى لا يدانى فضلها أحدبنت الرسول و خير الناس قد علموا

انى لأعلم أو ظنا كعالمهو الظن يصدق أحيانا فينتظم

ان سوف يترككم ما تدعون بهاقتلى تهاداكم العقبان و الرخم

يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنتو امسكوا بحبال السلم و اعتصموا

قد جرب الحرب من قد كان قبلكم‌من القرون و قد بادت بها الأمم

فأنصفوا قومكم لا تهلكوا برحافرب ذى برح زلت به القدم و دلت هذه الرسالة على غباوة يزيد فقد حسب ان الامام يطلب المال و الثراء فى خروجه عليه، و لم يعلم أنه انما ناهضه لا يبغى بذلك إلا اللّه و التماس الأجر فى الدار الآخرة.

جواب ابن عباس:

و أجابه ابن عباس «أما بعد: فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين و ابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه و هواه يكاتمنا مع ذلك اضغانا يسرها فى صدره يورى علينا ورى الزناد، لا فك اللّه أسيرها فارى فى أمره ما أنت راء .. و اما الحسين فانه لما نزل مكة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۵

و ترك حرم جده، و منازل آبائه سألته عن مقدمه فأخبرنى ان عمالك بالمدينة أساءوا إليه، و عجلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم اللّه مستجيرا به، و سألقاه فيما اشرت إليه، و لن أدع النصيحة فيما يجمع اللّه به الكلمة، و يطفئ به النائرة، و يخمد به الفتنة، و يحقن به دماء الأمة، فاتق اللّه فى السر و العلانية، و لا تبيتن ليلة و أنت تريد لمسلم غائلة، و لا ترصده بمظلمة، و لا تحفر له مهراة «۱» فكم من حافر لغيره حفرا وقع فيه، و كم من مؤمل أملا لم يؤت أمله، و خذ بحظك من تلاوة القرآن، و نشر السنة، و عليك بالصيام و القيام لا تشغلك عنهما ملاهى الدنيا و أباطيلها فان كل ما اشتغلت به عن اللّه يضر و يفنى و كل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع و يبقى. و السلام ..» «۲».

و حفلت هذه الرسالة بما يلى:

۱- إنه لا علاقة لبنى هاشم بابن الزبير، و لا هم مسئولون عن تصرفاته، فقد كان عدوا لهم يتربص بهم الدوائر، و يبغى لهم الغوائل.

۲- ان الامام الحسين انما نزح من يثرب إلى مكة لا لاثارة الفتنة و انما لاسائة عمال يزيد له، و قد قدم إلى مكة ليستجير ببيتها الحرام.

اقصاء حاكم المدينة:

كان الوليد بن عتبة بن أبى سفيان واليا على يثرب بعد عزل مروان عنها، و كان- فيما يقول المؤرخون- فطنا ذكيا يحب العافية و يكره الفتنة، و لما امتنع الامام الحسين (ع) من البيعة ليزيد لم يتخذ معه

---

(۱) المهراة: الحفرة

(۲) تذكرة الخواص (ص ۲۴۸- ۲۵۰) تأريخ ابن عساكر ۱۳/ ۷۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۶

الاجراءات الصارمة، و لم يكرهه على ما لا يحب، و انما فسح له المجال فى الرحيل إلى مكة من دون أن يعوقه عنها، فى حين أنه قد اصر عليه مروان بالتنكيل به فرفض ذلك، و قد نقل الأمويون موقفه المتسم باللين و التسامح مع الحسين الى يزيد فغضب عليه و عزله عن ولايته «۱»، و قد عهد بها إلى جبار من جبابرة الأمويين عمرو بن سعيد الأشدق «۲» و قد عرف بالقسوة و الغلظة، قدم إلى المدينة فى رمضان بعد أن تسلم ولايته عليها فصلى، بالناس صلاة العتمة، و فى الصباح خرج على الناس و عليه قميص احمر و عمامة حمراء فرماه الناس بأبصارهم منكرين ما هو عليه، فصعد المنبر فقال:

«يا اهل المدينة، ما لكم ترموننا بأبصاركم كأنكم تقروننا سيوفكم؟

أ نسيتم ما فعلتم! أما لو انتقم فى الأولى ما عدتم إلى الثانية، اغركم اذ قتلتم عثمان فوجدتموه صابرا حليما، و اماما، فذهب غضبه، و

ذهبت ذاته، فاغتنموا انفسكم، فقد وليكم امام بالشباب المقتبل البعيد الأمل، و قد اعتدل جسمه، و اشتد عظمه، و رمى الدهر ببصره، و استقبله بأسره، فهو إن عض لهس، و ان وطىء فرس، لا يقلقه الحصى، و لا تقرع له العصا» و عرض فى خطابه لابن الزبير فقال:

«فو اللّه لنغزونه، ثم لئن دخل الكعبة لنحرقنها عليه، على رغم

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۱۴۸.

(۲) الأشدق: لقب بذلك لتشادقه الكلام، و قيل انما لقب بذلك لأنه كان افقم مائل الذقن، جاء ذلك فى البيان و التبيين ۱/ ۳۱۵، و قيل انما لقب بذلك لأنه أصابه اعوجاج فى حلقه لاغراقه فى شتم على جاء ذلك فى معجم الشعراء (ص ۲۳۱).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۷

انف من رغم ..» «۱».

و رعف الطاغية على المنبر فألقى إليه رجل عمامة فمسح بها دمه فقال رجل من خثعم: «دم على المنبر فى عمامة، فتنة عمت و علا ذكرها و رب الكعبة» «۲».

و قد أثر عن رسول اللّه (ص) أنه قال: «ليرعفن على منبرى جبار من جبابرة بنى أمية فيسيل رعافه» «۳».

و عزم الأشدق على مقابلة الجبهة المعارضة بالقوة و البطش، و قد حفزه إلى ذلك ما حل بسلفه الوليد من الاقصاء و سلب الثقة عنه نتيجة تساهله مع الحسين (ع)، و لعل من أوثق الأسباب التى دعت الامام الحسين (ع) إلى مغادرة الحجاز هو الحذر من بطش هذا الطاغية به، و الخوف من اغتياله و هو فى الحرم.

الحسين مع ابن عمر و ابن عباس:

و كان عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه بن عمر مقيمين فى مكة حينما أقبل الامام الحسين إليها، و قد خفا لاستقباله و التشرف بخدمته، و كانا قد عزما على مغادرة مكة، فقال له ابن عمر!

«أبا عبد اللّه، رحمك اللّه، اتق اللّه الذى إليه معادك، فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت- يعنى بنى أمية- لكم، و قد ولى الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، و لست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء

---

(۱) تأريخ الاسلام للذهبى ۲/ ۲۶۸.

(۲) سمط النجوم العوالى ۳/ ۵۷.

(۳) مجمع الزوائد ۵/ ۲۴۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۸

و البيضاء، فيقتلونك، و يهلك فيك بشر كثير، فانى قد سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

«حسين مقتول، و لئن قتلوه و خذلوه، و لن ينصروه ليخذلهم اللّه إلى يوم القيامة، و أنا أشير عليك أن تدخل فى صلح ما دخل فيه الناس و اصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل اللّه أن يحكم بينك و بين القوم الظالمين.».

فقال له ابى الضيم:

«أنا أبايع يزيد، و أدخل فى صلحه؟!! و قد قال النبى (ص) فيه و فى أبيه ما قال»:

و انبرى ابن عباس فقال له:

«صدقت أبا عبد اللّه قال النبى (ص) فى حياته: «مالى و ليزيد لا بارك اللّه فى يزيد، و انه يقتل ولدى، و ولد ابنتى الحسين، و الذى

نفسى بيده، لا يقتل ولدى بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه الا خالف اللّه بين قلوبهم و ألسنتهم».

و بكى ابن عباس و الحسين، و التفت إليه قائلا:

«يا ابن عباس أتعلم أنى ابن بنت رسول اللّه (ص)؟».

«اللهم نعم .. نعلم ما فى الدنيا أحد هو ابن بنت رسول اللّه غيرك و ان نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة و الزكاة التى لا يقبل أحدهما دون الأخرى ..».

فقال له الحسين:

«يا ابن عباس، ما تقول فى قوم أخرجوا ابن بنت رسول اللّه (ص) من داره، و قراره، و مولده، و حرم رسوله، و مجاورة قبره، و مسجده و موضع مهاجره، فتركوه خائفا مرعوبا لا يستقر فى قرار، و لا يأوى فى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۱۹

موطن، يريدون فى ذلك قتله، و سفك دمه، و هو لم يشرك باللّه و لا اتخذ من دونه وليا، و لم يتغير عما كان عليه رسول اللّه (ص).»

و انبرى ابن عباس يؤيد كلامه، و يدعم قوله قائلا:

«ما أقول: فيهم الا- انهم كفروا باللّه و رسوله، و لا يأتون الصلاة الا و هم كسالى يراءون الناس و لا يذكرون اللّه الا قليلا مذبذبين لا إلى هؤلاء و لا الى هؤلاء، و من يظل اللّه فلن تجد له سبيلا، و على مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، و أما أنت يا بن رسول اللّه فانك رأس الفخار برسول اللّه، فلا- تظن يا بن بنت رسول اللّه أن اللّه غافل عما يفعل الظالمون و أنا اشهد أن من رغب عن مجاورتك، و طمع فى محاربتك، و محاربة نبيك محمد فماله من خلاق ..».

و انبرى الامام الحسين فصدق قوله قائلا: «اللهم نعم»

و انطلق ابن عباس يظهر له الاستعداد للقيام بنصرته قائلا:

«جعلت فداك يا بن بنت رسول اللّه، كأنك تريدنى إلى نفسك، و تريد منى أن أنصرك، و اللّه الذى لا إله إلا هو ان لو ضربت بين يديك بسيفى هذا بيدى حتى انخلعا جميعا من كفى لما كنت ممن وفى من حقك عشر العشر، و ها أنا بين يديك مرنى بأمرك».

و قطع ابن عمر كلامه، و أقبل على الحسين فقال له:

«مهلا عما قد عزمت عليه، و ارجع من هنا الى المدينة، و ادخل فى صلح القوم، و لا تغب عن وطنك، و حرم جدك رسول اللّه (ص) و لا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة، و سبيلا، و إن أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتى ترى رأيك، فان يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلا فيكفيك اللّه أمره».

و زجره الامام، و رد عليه قوله قائلا:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۰

«اف لهذا الكلام أبدا ما دامت السماوات و الأرض، اسألك يا عبد اللّه أنا عندك على خطأ من أمرى؟ فان كنت على خطأ ردنى فأنا أخضع، و أسمع و أطيع».

فقال ابن عمر:

«اللهم لا- و لم يكن اللّه تعالى يجعل ابن بنت رسول اللّه على خطأ و ليس مثلك من طهارته و صفوته من رسول اللّه (ص) على مثل يزيد ابن معاوية، و لكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف و ترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة، و ان لم تحب أن تبايع، فلا تبايع أبدا، و اقعد فى منزلك»

«و التفت إليه الامام فأخبره عن خبث الأمويين، و سوء نواياهم نحوه قائلا:

«هيهات يا بن عمر ان القوم لا- يتركونى، و إن أصابونى، و ان لم يصيبونى، فلا يزالون حتى أبايع و أنا كاره، أو يقتلونى، أ ما تعلم يا

عبد اللّه ان من هوان الدنيا على اللّه تعالى أنه أتى برأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى اسرائيل، و الرأس ينطق بالحجة عليهم؟!! أ ما تعلم يا أبا عبد الرحمن ان بنى اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون فى أسواقهم يبيعون و يشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئا، فلم يجعل اللّه عليهم ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر.» «۱».

و كشفت هذه المحاورة عن تصميمه على الثورة، و عزمه على مناجزة يزيد لأنه لا يتركه و شأنه، فأما أن يبايع، و بذلك يذل هو و يذل الاسلام

---

(۱) الفتوح ۵/ ۳۸- ۴۲.

و تستباح حرماته، و أما أن يقتل عزيزا كريما، فاختار المنية للحفاظ على كرامته و كرامة الأمة و مقدساتها.

وصيته لابن عباس:

و أقبل الحسين على ابن عباس، فعهد إليه بهذه الوصية قائلا:

«و أنت يا ابن عباس ابن عم أبى، لم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، و كنت مع أبى تشير عليه بما فيه الرشاد و السداد، و قد كان أبى يستصحبك و يستنصحك و يستشيرك، و تشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة فى حفظ اللّه، و لا تخف على شيئا من أخبارك، فانى مستوطن هذا الحرم، و مقيم به ما رأيت أهله يحيبوننى، و ينصرونني، فاذا هم خذلونى استبدلت بهم غيرهم، و استعصمت بالكلمة التى قالها ابراهيم يوم ألقى فى النار (حسبى اللّه و نعم الوكيل، فكانت النار عليه بردا و سلاما ..) «۱».

رسائله الى زعماء البصرة:

و كتب الامام الى رؤساء الاخماس بالبصرة يستنهضهم على نصرته و الأخذ بحقه و قد كتب إلى الاشراف و من بينهم:

۱- مالك بن مسمع البكرى

۲- الأحنف بن قيس

۳- المنذر بن الجارود

۴- مسعود بن عمرو

---

(۱) مقتل الخوارزمى ۱/ ۱۹۳.

۵- قيس بن الهيثم

۶- عمر بن عبيد اللّه بن معمر «۱»

و قد أرسل كتابا إليهم بنسخة واحدة و هذا نصه:

«أما بعد: فان اللّه اصطفى محمدا (ص) من خلقه، و أكرمه بنبوته، و اختاره لرسالته، ثم قبضه إليه، و قد نصح لعباده، و بلغ ما أرسل به، و كنا أهله و أولياءه و أوصياءه و ورثته، و أحق الناس بمقامه فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، و كرهنا الفرقة، و أحببنا العافية، و نحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، و قد بعثت رسولى إليكم بهذا الكتاب، و أنا أدعوكم إلى كتاب اللّه و سنة نبيه، فان السنة قد أميتت، و البدعة قد أحييت فان تسمعوا قولى: اهدكم إلى سبيل الرشاد ..» «۲».

و القت هـذه الرسالـة الأضواء على الخلافة الاسـلامية فهى- حسب تصـريح الامام- حق لأهل البيت (ع) لأنهم الصق الناس برسول اللّه (ص) و أكثرهم وعيا لأهدافه إلا أن القوم استأثروا بها، فلم يسع العترة الطاهرة إلا الصبر كراهة للفتنة و حفظا على وحدة المسلمين ... كما حفلت هـذه الرسالـة بالـدعوة إلى الحق بجميع رحابه و مفاهيمه، فـدعت إلى احياء كتاب اللّه و سـنة نبيه فان الحكم الأموى عمد إلى اقصائهما عن واقع الحياة ...

و علق بعض الكتاب على دعوة الامام لأهل البصرة لبيعته فقال:

«ان رسالة الحسين إلى أهل البصرة ترينا كيف كان يعرف مسئوليته و يضىء معها، فأهل البصرة لم يكتبوا إليه، و لم يدعوه الى بلدهم، كما فعل أهل الكوفة، و مع هذا فهو يكتب إليهم، و يعدهم للمجابهة المحتومة

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۸.

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۰۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۳

ذلـك أنه حين قرر أن ينهض بتبعـات دينه و أمته، كـان قراره هـذا آتيا من أعماق روحه و ضـميره، و ليس من حركـة أهل الكوفـة و دعوتهم إياه»

و على أى حال فقد بعث الامام كتبه لأهل البصـرة بيد مولى له يقال له سـليمان، و يكنى أبا رزين، و قد جد فى السير حتى انتهى الى البصرة فسلم الكتب الى أربابها.

جواب الأحنف بن قيس:

و أجـاب الأحنف بن قيس زعيم العراق الامـام برسالـة كتب فيهـا هـذه الآيـة الكريمـة و لم يزد عليهـا «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْـدَ اللَّهِ حَـقٌّ، وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ» «۱» و قد طلب من الامام الخلود الى الصبر، و لا يستخفه الذين لا يوقنون باللّه و لا يرجون له وقارا.

جريمة المنذر:

أما المنـذر بن الجارود العبـدى فقـد كان من اجلاف العرب و حقرائهم فقـد عمد إلى رسول الامام فبعثه مخفورا الى ابن زياد، و كان زوج ابنته ليظهر له الاخلاص و الولاء، فقتله ابن مرجانـة و صـلبه عشـية الليلـة التى خرج فى صبيحتها إلى الكوفـة «۲» و اعتـذر بعض المؤرخين عن المنذر أو هو اعتذر عن نفسه بأنه خشى أن يكون الرسول من قبل ابن مرجانة

---

(۱) سير اعلام النبلاء ۳/ ۲۰۰.

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۰۰.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۴

لاختباره فلذا سلمه إليه و هو اعتذار مهلهل، فان اللازم كان اجراء التحقيق معه حتى يستبين له الأمر.

استجابة يزيد بن مسعود:

اشارة

و استجاب الزعيم الكبير يزيد بن مسعود النهشلى إلى تلبية نداء الحق فاندفع بوحى من ايمانه و عقيدته إلى نصرة الامام، فعقد مؤتمرا عاما دعا فيه القبائل العربية الموالية له و هى:

۱- بنو تميم

۲- بنو حنظلة

۳- بنو سعد

و لما اجتمعت هذه القبائل، انبرى فيهم خطيبا، فوجه خطابه أولا إلى بنى تميم فقال لهم:

«يا بنى تميم: كيف ترون موضعى فيكم، و حسبى منكم؟!»

و تعالت أصوات بنى تميم، و هى تعلن ولاءها المطلق، و اكبارها له قائلين بلسان واحد:

«بخ بخ!! أنت و اللّه فقرة الظهر، و رأس الفخر حللت فى الشرف وسطا، و تقدمت فيه فرطا ..»

و سره تأييدهم فانطلق يقول:

إنى جمعتكم لأمر أريد أن اشاوركم، و أستعين بكم عليه ..»

و اندفعوا جميعا يظهرون له الولاء و الطاعة قائلين:

«إنا و اللّه نمنحك النصيحة، و نجهد لك الرأى فقل حتى نسمع»

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۵

و تطاولت الاعناق، و اشرأبت النفوس لتسمع ما يقول: الزعيم الكبير، و انبرى قائلا:

«إن معاوية مات، فأهون به- و اللّه- هالكا و مفقودا، الا انه قد انكسر باب الجور و الإثم، و تضعضعت أركان الظلم، و كان قد احدث بيعة عقد بها أمرا ظن أنه قد أحكمه، و هيهات الذى أراد!! اجتهد و اللّه ففشل، و شاور فخذل، و قد قام يزيد شارب الخمور و رأس الفجور يدعى الخلافة على المسلمين، و يتآمر عليهم بغير رضا منهم مع قصر حلم و قلة علم، لا يعرف من الحق موطأ قدميه، فأقسم باللّه قسما مبرورا لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين:

و هذا الحسين بن على، و ابن رسول اللّه (ص) ذو الشرف الأصيل و الرأى الاثيل «۱» له فضل لا يوصف، و علم لا ينزف، و هو أولى بهذا الامر لسابقته و سنه، و قدمه و قرابته، يعطف على الصغير، و يحسن إلى الكبير، فاكرم به راعى رعية، و امام قوم وجبت للّه به الحجة و بلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، و لا تسكعوا فى وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول اللّه (ص) و نصرته، و اللّه لا يقصر أحدكم عن نصرته إلا أورثه اللّه الذل فى ولده، و القلة فى عشيرته.

و ها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، و ادرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، و من يهرب لم يفت، فاحسنوا رحمكم اللّه رد الجواب»

و حفل هذا الخطاب الرائع بأمور بالغة الأهمية و هى:

أولا-: الاستهانة بهلاك معاوية، و انه قد انكسر بموته باب الظلم و الجور.

---

(۱) الرأى الأثيل: الأصيل

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۶

ثانيا-: القدح فى بيعة معاوية ليزيد.

ثالثا-: عرض الصفات الشريرة المائلة فى يزيد من الادمان على الخمر، و فقد الحلم، و عدم العلم، و عدم التبصر بالحق.

رابعا-: الدعوة إلى الالتفاف حول الامام الحسين (ع) و ذلك لما يتمتع به من الصفات الشريفة كاصالة الفكر، و غزارة العلم، و كبر

السن، و العطف على الكبير و الصغير و غير ذلك من النزعات الكريمة التى تجعله أهلا لامامة المسلمين.

خامسا-: انه عرض للجماهير عن استعداده الكامل للقيام بنصرة الامام و الذب عنه.

و لما أنهى الزعيم العظيم خطابه انبرى وجهاء بنى حنظلة فاظهروا الدعم الكامل له قائلين:

«يا أبا خالد: نحن نبل كنانتك، و فرسان عشيرتك. إن رميت بنا اصبت، و ان غزوت بنا فتحت. لا تخوض و اللّه غمرة الا خضناها و لا تلقى و اللّه شدة إلا لقيناها ننصرك بأسيافنا و نقيك بأبداننا اذا شئت»

و كان منطقا مشرفا دل على تعاطفهم، و وقوفهم إلى جانبه، رقام من بعدهم بنو عامر فاعربوا عن ولائهم العميق له قائلين:

«يا أبا خالد نحن بنو أبيك، و حلفاؤك لا نرضى إن غضبت، و لا نبقى ان ظعنت و الأمر إليك فادعنا اذا شئت ..».

و أما بنو سعد فاظهروا التردد و عدم الرغبة فيما دعاهم إليه، قائلين:

«يا أبا خالد: ان ابغض الأشياء إلينا خلافك، و الخروج عن رأيك، و قد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل، فحمدنا أمرنا، و بقى عزنا فينا، فامهلنا نراجع المشورة، و نأتيك برأينا.».

و ساءه تخاذلهم فاندفع يندد بهم قائلا:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۷

«لئن فعلتموها لا رفع اللّه السيف عنكم أبدا، و لا زال سيفكم فيكم ..».

جوابه للامام:

و رفع يزيد بن مسعود رسالة للامام دلت على شرفه و نبله، و استجابته لدعوته، و هذا نصها:

«أما بعد: فقد وصل إلى كتابك، و فهمت ما ندبتنى إليه، و دعوتنى له من الأخذ بحظى من طاعتك، و الفوز بنصيبى من نصرتك .. و ان اللّه لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير، و دليل على سبيل نجاة، و انتم حجة اللّه على خلقه، و وديعته فى أرضه تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها و انتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لك اعناق بنى تميم، و تركتهم أشد تتابعا فى طاعتك من الأبل الظماء لورود الماء يوم خمسها «۱» و قد ذللت لك رقاب بنى سعد، و غسلت درن قلوبها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع ..».

و حفلت هذه الرسالة بسمو أدبه، و كريم طباعه، و تقديره البالغ للامام، و يقول بعض المؤرخين انها انتهت الى الامام فى اليوم العاشر من المحرم بعد مقتل أصحابه و أهل بيته، و هو وحيد فريد قد أحاطت به القوى الغادرة، فلما قرأ الرسالة طفق يقول:

«مالك، آمنك اللّه من الخوف، و ارواك يوم العطش الأكبر»

و لما تجهز ابن مسعود لنصرة الامام بلغه قتله فجزع لذلك و ذابت

---

(۱) خمسها: بالكسر الابل الضماء التى ترعى ثلاثة أيام و ترد الرابع

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۲۸

نفسه أسى و حسرات «۱».

استجابة يزيد البصرى:

و لبى نداء الحق يزيد بن تبيط البصرى، و كان- فيما يقول المؤرخون- يتردد إلى دار ماريه ابنة سعد أو منقذ، و كانت دارها من منتديات الشيعة، و فيها تذاع فضائل أهل البيت (ع) و تنشر مآثرهم، و لما وجه الامام دعوته الى أهل البصرة لنصرته استجاب لها يزيد

بن نبيط، و لحق به من أولاده العشرة عبد اللّه و عبيد اللّه، و خاف عليه أصحابه أن يدركه الطلب من شرطة ابن زياد، فقال لهم: لو استوت اخفافها بالجدد لهان على طلب من طلبنى «۲» و استوى على جواده مع ولديه، و صحبه مولاه عامر، و سيف بن مالك و الأدهم بن أمية فلحقوا بالامام فى مكة و صحبوه الى العراق و استشهدوا بين يديه فى كربلا «۳».

نقمة العراق على الأمويين:

و كره العراقيون بصورة عامة حكم الأمويين، و بغضوا سلطانهم، و فيما نحسب ان الاسباب فى ذلك ما يلى:

۱- ان العراق أيام معاوية أصبح يساس بالروح العسكرية و الأحكام العرفية التى لا تتقيد بالقانون خصوصا أيام زياد بن سمية فقد كان يأخذ

---

(۱) اللهوف (ص ۱۶- ۱۹)

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۱۹۸.

(۳) مقتل المقرم (ص ۱۵۸) نقلا عن ذخيرة الدارين (ص ۲۲۴)

البرىء بالسقيم، و المقبل بالمدبر، و يقتل على الظنة و التهمة، مما أدى إلى اشاعة الكراهية للأمويين.

۲- ان الكوفة كانت فى عهد الامام أمير المؤمنين (ع) عاصمة الدولة الاسلامية، و فى أيام معاوية أصبحت دمشق العاصمة و مركز الحكم و أصبح العراق مصرا كسائر الامصار، و انتقلت عنه الخزينة المركزية، و قد أخذ الكوفيون يندبون حظهم التعيس بعد تحول الخلافة عنهم و أصبح اسم الامام عندهم رمزا الى دولتهم المفقودة، و تعلقت آمالهم بابناء الامام فكانوا ينظرون إليهم انهم الابطال لاستقلال بلادهم السياسى و تحررها من التبعية لدمشق فقد كره أهل العراق الخضوع لأهل الشام، كما كره أهل الشام الخضوع و السيطرة لأهل العراق و قد صور شاعر الشام هذه النزعة بقوله:

أرى الشام تكره ملك العراقو أهل العراق لهم كارهونا

و قالوا: على امام لنافقلنا: رضينا ابن هند رضينا و صور شاعر العراق هذه النزعة السائدة عند العراقيين بقوله مخاطبا أهل الشام:

أتاكم على بأهل العراقو أهل الحجاز فما تصنعونا

فان يكره القوم ملك العراقفقدما رضينا الذى تكرهونا «۱» و كانت الثورات المتلاحقة التى قام بها العراق انما هى لكراهية أهل الشام و التخلص من حكم الأمويين.

۳- ان السياسة الخاطئة التى تبعها معاوية مع زعماء الشيعة الذين تبنوا القضايا المصيرية للشعب العراقى و كافة الشعوب الاسلامية و ما عانوه من القتل و التنكيل قد هزت مشاعر الكوفيين، و أوغرت صدورهم بالحقد

---

(۱) الأخبار الطوال (ص ۷۰) طبع ليدن

على الأمويين، كما ان سب الامام على المنابر قد زاد فى بغضهم للأمويين و أشعل جذوة المعارضة فى نفوسهم.

۴- ان الأمويين كانوا ينظرون الى أهل الكوفة انهم الجبهة المعارضة لحكمهم و انهم المصدر الخطير الذى يهدد دولتهم فقابلوهم بمزيد من القسوة و الارهاب، مما دعى الكوفيين إلى العمل المستمر لمناهضة الحكم الأموى و تقويض سلطانه ... هذه بعض الأسباب التى أدت إلى نقمة العراق على الحكم الأموى و بغضهم له،

اعلان التمرد فى العراق:

و بعد هلاك معاوية أيقن العراقيون بانهيار الدولة الأموية، و قد رأوا أن فى تقليد يزيد مهام الخلافة انما هو استمرار للحكم الأموى الذى جهد على اذلالهم و قهرهم.

و قد أجمعت الشيعة فى الكوفة على مناجزته و الخروج على سلطانه و رأوا أن فى كفاحهم له جهادا دينيا، حسب ما يقول جولد تسهير» «۱» و يرى (كريمر) ان الاخيار و الصلحاء من الشيعة كانوا ينظرون إلى يزيد نظرتهم إلى ورثة أعداء الاسلام و خلفاء أبى سفيان «۲».

و على أى حال فان شيعة الكوفة لم ترض بحكم يزيد، و أجمعت على خلعه، و البيعة للامام الحسين (ع) و قد قاموا بما يلى:

۱- ۲ العقيدة و الشريعة فى الاسلام (ص ۶۹).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۳۱

المؤتمر العام:

و عقدت الشيعة بعد هلاك معاوية مؤتمرا عاما فى بيت أكبر زعمائها سليمان بن صرد الخزاعى، و اندفعوا اندفاعا كليا فى القاء الخطب الحماسية التى تظهر مساوئ الحكم الاموى و فضائحه، كما أشادوا بالامام الحسين و دعوا إلى البيعة له.

خطبة سليمان:

و اعتلى سليمان بن صرد منصة الخطابة، فافتتح اولى جلساتهم بهذا الخطاب، و قد جاء فيه:

«ان معاوية قد هلك، و ان حسينا قد قبض على القوم ببيعته، و قد خرج إلى مكة و أنتم شيعته، و شيعة أبيه فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه و مجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، و ان خفتم الوهن و الفشل فلا تغروا الرجل من نفسه ..»،

و تعالت أصواتهم من كل جانب و هم يقولون بحماس بالغ:

«نقتل أنفسنا دونه ..».

«لا بل تقاتل عدوه ..» «۱».

و أظهروا رغبتهم الملحة و دعمهم الكامل للامام، و قرروا ما يلى:

۱- خلع بيعة يزيد

۲- ارسال وفد للامام يدعونه للقدوم إليهم

---

(۱) الارشاد (ص ۲۲۳- ۲۲۴).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۳۲

۳- بعث الرسائل للامام من مختلف الطبقات الشعبية التى تمثل رغبة الجماهير الحاشدة لحكم الامام.

وفد الكوفة:

و أوفدت الكوفة وفدا إلى الامام يدعوه إلى القدوم إليهم، و من بين ذلك الوفد عبد اللّه الجدلى «۱» و لما مثل الوفد عند الامام

عرض عليه اجماع أهل الكوفة على نصرته و الاخذ بحقه، و انه ليس لهم امام غيره، و حثوه على القدوم إليهم.

الرسائل:

و عمد أهل الكوفة بعد مؤتمرهم فكتبوا الرسائل إلى الامام (ع) و هى تعرب عن اخلاصهم و ولائهم له، و تحثه على القدوم إليهم ليتولى قيادة الأمة و هذه بعضها.

۱- قد جاء فيها بعد البسملة ما نصه:

«من سليمان بن صرد، و المسيب بن نجية، و رفاعة بن شداد، و حبيب بن مظاهر، و شيعته و المسلمين من أهل الكوفة.

أما بعد: فالحمد للّه الذى قصم عدوك الجبار العنيد- يعنى معاوية- الذى انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، و اغتصبها فيئها، و تآمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها و استبقى شرارها، و جعل مال اللّه دولة بين جبابرتها و أغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود ... إنه ليس علينا امام

---

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۹۵).

فاقبل لعل اللّه يجمعنا بك على الحق، و النعمان بن بشير فى قصر الامارة لسنا نجتمع معه فى جمعة، و لا نخرج معه إلى عيد، و لو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء اللّه و السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته ..» «۱».

و كتبت هذه الرسالة فى أواخر شهر شعبان، و حملها عبد اللّه الهمدانىّ و عبد اللّه بن وائل الهمدانى و قد أمروهما بالاسراع و الحذر من العدو، و أخذا يجذان فى السير لا يلويان على شىء و قدما مكة لعشر مضين من رمضان «۲» و سلما الرسالة للامام و عرفاه بشوق الناس الى قدومه.

و قد عرضت هذه الرسالة مساوئ الحكم الأموى، فوصفت معاوية بالجبار العنيد، و انه ابتز أمر الأمة بالقهر و الغلبة، و تأمر عليها بغير رضى منها، و قد قتل خيارها و صلحاءها و جعل العطاء خاصة للأغنياء و الوجوه، و حرم منه بقية طوائف الشعب، كما عرضت الى مقاطعة الشيعة لحاكم الكوفة النعمان بن بشير، و انهم اذا بلغهم قدوم الامام قاموا باقصائه عن الكوفة و الحاقه بدمشق.

۲- و قد أرسل الرسالة الثانية جماعة من أهل الكوفة و هذا نصها:

«إلى الحسين بن على من شيعته و المسلمين، أما بعد: فحيّهلا «۳» فان الناس ينتظرونك و لا رأى لهم غيرك «۴» فالعجل ثم العجل و السلام» «۵»

---

(۱) أنساب الأشراف (ق ۱ ج ۱) الامامة و السياسة ۲/ ۳- ۴ الطبرى.

(۲) الفتوح ۵/ ۴۴.

(۳) حىّ هلا: اسم فعل بمعنى اقبل و عجل

(۴) فى تأريخ اليعقوبى ۲/ ۲۱۵، لا امام لهم غيرك.

(۵) الارشاد (ص ۲۲۴)

و حمل هذه الرسالة قيس بن مسهر الصيداوى من بنى أسد، و عبد الرحمن ابن عبد اللّه الارحبى و عمارة بن عبد اللّه السلولى، كما حملوا معهم نحوا من خمسين صحيفة من الرجل و الاثنين و الثلاثة و الأربعة «۱» و هى تحث الامام على الاسراع إليهم و الترحيب

بقدومه، و تعلن دعمهم الكامل له.

۳- و أرسل هذه الرسالة جماعة من الانتهازيين الذين لا يؤمنون باللّه، و هم شبث بن ربعى اليربوعى و محمد بن عمر التميمى، و حجار بن ابجر العجلى، و يزيد بن الحارث الشيبانى، و عزرة بن قيس الاحمسى، و عمرو بن الحجاج الزبيدى، و هذا نصها:

«أما بعد: فقد اخضر الجناب، و أينعت الثمار، و طمت الجمام «۲» فأقدم على جند لك مجندة و السلام عليك.» «۳».

و أعربت هذه الرسالة عن شيوع الأمل و ازدهار الحياة، و تهيئة البلاد عسكريا للأخذ بحق الامام، و مناجزة خصومه، و قد وقعها أولئك الأشخاص الذين كانوا فى طليعة القوى التى زجها ابن مرجانة لحرب الامام و من المؤكد أنهم لم يكونوا مؤمنين بحقه، و انما اندفعوا لمساومة السلطة الأموية، و الحصول منها على الأموال و متع الحياة، كما صرح الامام الحسين بذلك أمام أصحابه.

۴- و من بين تلك الرسائل «انا قد حبسنا أنفسنا عليك، و لسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فاقدم علينا فنحن فى مائة الف سيف، فقد فشا فينا الجور، و عمل فينا بغير كتاب اللّه و سنة نبيه، و نرجوا أن يجمعنا

---

(۱) أنساب الاشراف ق ۱ ج ۴.

(۲) الجمام: الآبار.

(۳) أنساب الاشراف ق ۱ ج ۱ مطالب السئول فى مناقب آل الرسول (ص ۷۴).

اللّه بك على الحق، و ينفى عنا بك الظلم، فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد و أبيه الذى غصب الأمة، و شرب الخمور، و لعب بالقرود و الطنابير، و تلاعب بالدين» «۱».

۵- و كتب جمهور أهل الكوفة الرسالة الآتية و وقعوها و هذا نصها:

«للحسين بن على أمير المؤمنين من شيعة أبيه (ع) أما بعد:

فان الناس ينتظرونك لا رأى لهم فى غيرك العجل العجل يا ابن رسول اللّه (ص) لعل اللّه أن يجمعنا بك على الحق و يؤيد بك المسلمين و الاسلام ... بعد أجزل السلام و أتمه عليك و رحمة اللّه و بركاته» «۲».

۶- و كتب إليه جماعة هذه الرسالة الموجزة: «انا معك، و معنا مائة الف سيف» «۳».

۷- و كانت آخر الرسائل التى وصلت إليه هذه الرسالة: «عجل القدوم يا بن رسول اللّه فان لك بالكوفة مائة الف سيف فلا تتأخر» «۴».

و قد تتابعت عليه الرسائل ما ملأ منها خرجين، و يقول المؤرخون: إنه اجتمع عنده فى نوب متفرقة اثنا عشر الف كتاب «۵» و ورد إليه قائمة فيها مائة و أربعون الف اسم يعربون عن نصرتهم له حال ما يصل إلى

---

(۱) تذكرة الخواص (ص ۲۴۸) الصراط السوى فى مناقب آل النبى للسيد محمود القادى من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين، و بصورة موجزة رواه المسعودى فى مروج الذهب ۳/ ۴.

(۲) وسيلة المآل (ص ۱۸۵) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ۱۷۰)

(۳) أنساب الاشراف ق ۱ ج ۱.

(۴) بحار الانوار ۱۰/ ۱۸۰.

(۵) اللهوف (ص ۱۹).

الكوفة «۱» كما وردت عليه فى يوم واحد ستمائة كتاب «۲».

و على أى حال فقد كثرت كتب أهل الكوفة إلى الامام و قد وقع فيها الأشراف و قراء المصر و هى تمثل تعطشهم لقدوم الامام ليكون منقذا لهم من طغمة الحكم الأموى و لكن بمزيد الأسف فقد انطوت صحيفة ذلك الأمل، و انقلب الوضع و تغيرت الحالة، و اذا بالكوفة تنتظر الحسين لتسقى سيوفها من دمه، و تطعم نبالها من لحمه .. تريد أن تحتضن جسد الحسين لتوزعه السيوف، و تطعنه الرماح، و تسحقه الخيول بحوافرها.

الكوفة تنتظر الحسين لتثب عليه وثبة الأسد، و تنشب أظفارها بذلك الجسد الطاهر، الكوفة تنتظر الحسين لتسبى عياله بدل أن تحميهم، و تروع أطفاله بدل أن تؤويهم «۳».

و هكذا شاءت المقادير، و لا راد لأمر اللّه على نكث القوم لبيعة الامام و اجماعهم على حربه و يقول المؤرخون ان الامام بعد ما وافته هذه الرسائل عزم على أن يلبى أهل الكوفة و يوفد إليهم ممثله العظيم مسلم بن عقيل.

---

(۱) الوافى فى المسألة الشرقية ۱/ ۴۳.

(۲) الدر المسلوك فى احوال الأنبياء و الأوصياء ۱/ ۱۰۷ من مخطوطات مكتبة الامام الحكيم.

(۳) مع الحسين فى نهضته (ص ۱۵۷).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۳۷

إيفاد مسلم الى العراق

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۳۹

و تتابعت كتب أهل الكوفة- كالسيل- الى الامام الحسين، و هى تحثه على المسير و القدوم إليهم لانقاذهم من ظلم الأمويين و عنفهم، و كانت بعض تلك الرسائل تحمله المسئولية أمام اللّه و الأمة إن تأخر عن اجابتهم.

و رأى الامام- قبل كل شىء- أن يختار للقياهم سفيرا له يعرفه باتجاهاتهم، و صدق نياتهم، فان رأى منهم نية صادقة، و عزيمة مصممة فيأخذ البيعة منهم، ثم يتوجه إليهم بعد ذلك، و قد اختار لسفارته ثقته و كبير أهل بيته، و المبرز بالفضل فيهم مسلم بن عقيل، و هو من أفذاذ التأريخ، و من أمهر الساسة، و أكثرهم قابلية على مواجهة الظروف، و الصمود أمام الأحداث، و عرض عليه الامام القيام بهذه المهمة، فاستجاب له عن رضى و رغبة، و زوده برسالة رويت بصور متعددة و هى:

الأولى: رواها ابو حنيفة الدينورى و هذا نصها:

«من الحسين بن على الى من بلغه كتابى هذا من أوليائه و شيعته بالكوفة، سلام عليكم، أما بعد: فقد أتتنى كتبكم، و فهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومى عليكم، و أنا باعث إليكم بأخى و ابن عمى، و ثقتى من أهلى مسلم بن عقيل ليعلم لى كنه أمركم، و يكتب إلى بما يتبين له من اجتماعكم فان كان أمركم على ما أتتنى به كتبكم، و اخبرتنى به رسلكم أسرعت القدوم إليكم ان شاء اللّه و السلام ..» «۱».

الثانية: رواها صفى الدين و قد جاء فيها بعد البسملة:

«أما بعد فقد وصلتنى كتبكم، و فهمت ما اقتضته آراؤكم، و قد بعثت إليكم ثقتى و ابن عمى مسلم بن عقيل، و سأقدم عليكم وشيكا فى أثره إن شاء اللّه ..» «۲».

(۱) الأخبار الطوال (ص ۲۱۰).

(۲) وسيلة المآل (ص ۱۸۶) من مصورات مكتبة الامام الحكيم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۴۰

و هذه الرواية شاذة إذ لم يذكر فيها مهمة مسلم في ايفاده إليهم من أخذ البيعة له، و غير ذلك مما هو من صميم الموضوع في ارسال مسلم.

الثالثة: رواها الطبري و قد جاء فيها بعد البسملة:

«من الحسين بن علي الى الملأ من المؤمنين و المسلمين أما بعد: فان هانئا و سعيدا «۱» قدما علي بكتبكم، و كانا آخر من قدم علي من رسلكم و قد فهمت كل الذي اقتصصتم، و ذكرتم و مقالة جلكم، أنه ليس علينا امام فاقبل لعل اللّه يجمعنا بك على الهدى و الحق.

و قد بعثت لكم أخي و ابن عمي، و ثقتي من أهل بيتي، و أمرته أن يكتب إلي بحالكم و أمركم و رأيكم، فان كتب أنه قد اجتمع رأي ملأكم و ذوي الفضل و الحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم، و قرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء اللّه، فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب و الآخذ بالقسط و الدائن بالحق، و الحابس نفسه على ذات اللّه و السلام ..» «۲».

و حفلت هذه الرسالة- حسب نص الطبري- بالأمور التالية:

۱- توثيق مسلم و التدليل على سمو مكانته، فهو ثقة الحسين.

۲- تحديد صلاحية مسلم باستكشاف الأوضاع الراهنة، و معرفة التيارات السياسية، و مدى صدق القوم في دعواهم، و من الطبيعي أنه لا تناط معرفة هذه الأمور الحساسة إلا بمن كانت له المعرفة التامة بشئون المجتمع و أحوال الناس.

۳- انه أوقف قدومه عليهم بتعريف مسلم له باجماع الجماهير و رجال الفكر على بيعته، فلا يقدم عليهم حتى يعرفه سفيره بذلك.

(۱) هما: هانئ بن هانئ السبيعي، و سعيد بن عبد اللّه الحنفي.

(۲) الطبري ۶/ ۱۹۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۴۱

۴- انه تحدث عما يجب أن يتصف به الامام، و القائد لمسيرة الأمة من الصفات و هي:

أ- العمل بكتاب اللّه

ب- الأخذ بالقسط

ج- الإداناة بالحق

د- حبس النفس على ذات اللّه

و لم تتوفر هذه الصفات الرفيعة إلا في شخصيته الكريمة التي تحكي اتجاهات الرسول (ص) و نزعاته.

و تسلم مسلم هذه الرسالة، و قد أوصاه الامام بتقوى اللّه، و كتمان أمره «۱» و غادر مسلم مكة ليلة النصف من رمضان «۲» و عرج في طريقه على يثرب فصلى في مسجد الرسول (ص) و طاف بضريحه، و ودع أهله و أصحابه «۳» و كان ذلك هو الوداع الأخير لهم، و اتجه صوب العراق و كان معه قيس بن مسهر الصيداوي، و عمارة بن عبد اللّه السلولي، و عبد الرحمن بن عبد اللّه الازدي، و استأجر من يثرب دليلين من قيس يدلانه على الطريق «۴».

و سارت قافلة مسلم تجد في السير لا تلوي على شيء، يتقدمها الدليلان و هما يتنكبان الطريق خوفا من الطلب، فضلا عن الطريق، و لم يهتديا له و قد اعياهما السير و اشتد بهما العطش، فأشارا الى مسلم بسنن الطريق بعد

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۷

(۲) مروج الذهب ۲/ ۸۶

(۳) تأريخ الطبرى ۶/ ۱۹۸

(۴) الأخبار الطوال (ص ۲۳۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۷

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۲

أن بان لهما، و توفيا فى ذلك المكان حسبما يقوله المؤرخون «۱» و سار مسلم مع رفقائه حتى افضوا إلى الطريق، و وجدوا ماء فأقاموا فيه ليستريحوا مما ألم بهم من عظيم الجهد و العناء.

رسالة مسلم للحسين:

اشارة

و يقول المؤرخون ان مسلم تخوف من سفره و تطير بعد أن أصابه من الجهد و موت الدليلين، فرفع للامام رسالة يرجو فيها الاستقالة من سفارته و هذا نصها:

«أما بعد: فانى أقبلت من المدينة مع دليلين، فجازا «۲» عن الطريق فضلا و اشتد عليهما العطش فلم يلبثا أن ماتا، و أقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، و ذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت، و قد تطيرت من توجهى هذا فان رأيت اعفيتنى منه، و بعثت غيرى و السلام ..».

جواب الحسين:

و كتب الامام الحسين جوابا لرسالة مسلم ندد فيه بموقفه، و اتهمه بالجبن و هذا نصه:

«أما بعد: فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلى فى الاستعفاء من الوجه الذى وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذى

(۱) الارشاد (ص ۲۲۷)

(۲) جازا عن الطريق: أى تركاه خلفهما

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۳

وجهتك فيه و السلام ..» «۱».

اضواء على الموضوع:

و اكبر الظن ان رسالة مسلم مع جواب الامام من الموضوعات، و لا نصيب لها من الصحة و ذلك لما يلى:

۱- ان مضيق الخبث الذى بعث منه مسلم رسالته إلى الامام يقع ما بين مكة و المدينة حسب ما نص عليه الحموى «۲» فى حين أن الرواية تنص على أنه استأجر الدليلين من يثرب، و خرجوا الى العراق فضلوا عن الطريق، و ماتا الدليلان، و من الطبيعى ان هذه الحادثة وقعت ما بين المدينة و العراق و لم تقع ما بين مكة و المدينة.

۲- انه لو كان هناك مكان يدعى بهذا الاسم يقع ما بين يثرب و العراق لم يذكره الحموى فان السفر منه الى مكة ذهابا و ايابا

يستوعب زمانا يزيد على عشرة أيام فى حين أن سفر مسلم من مكة الى العراق قد حدده المؤرخون فقالوا: انه سافر من مكة فى اليوم الخامس عشر من رمضان، و قدم إلى الكوفة فى اليوم الخامس من شوال فيكون مجموع سفره عشرين يوما، و هى أسرع مدة يقطعها المسافر من مكة الى المدينة فان المسافة بينهما تزيد على الف و ستمائة كيلومتر، و اذا استثنينا من هذه المدة سفر رسول مسلم من ذلك المكان و رجوعه إليه، فان مدة سفره من مكة إلى الكوفة تكون أقل من عشرة أيام و يستحيل عادة قطع تلك

---

(۱) الارشاد (ص ۲۲۶) و فى الحدائق الوردية ۱/ ۱۱۷ خرج مسلم من مكة حتى أتى المدينة و أخذ منها دليلين قمرا به فى البرية فأصابهما عطش فمات أحد الدليلين فكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين ان امض إلى الكوفة.

(۲) معجم البلدان ۲/ ۳۴۳

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۴

المسافة بهذه الفترة من الزمن.

۳- ان الامام اتهم مسلما- فى رسالته- بالجبن، و هو يناقض توثيقه له من أنه ثقته و كبير أهل بيته، و المبرز بالفضل عليهم، و مع اتصافه بهذه الصفات كيف يتهمه بالجبن؟!.

۴- ان اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته، فقد أبدى هذا البطل العظيم من البسالة و الشجاعة النادرة ما يبهر العقول فانه حينما انقلبت عليه جموع أهل الكوفة قابلها وحده من دون أن يعينه او يقف الى جنبه أى أحد، و قد أشاع فى تلك الجيوش المكثفة القتل مما ملأ قلوبهم ذعرا و خوفا و لما جيء به اسيرا إلى ابن زياد لم يظهر عليه أى ذل أو انكسار، و يقول فيه البلاذرى انه أشجع بنى عقيل و أرجلهم «۱» بل هو أشجع هاشمى عرفه التأريخ بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام .. ان هذا الحديث من المفتريات الذى وضع للحط من قيمة هذا القائد العظيم الذى هو من مفاخر الأمة العربية و الاسلامية.

فى بيت المختار:

و سار مسلم يطوى البيداء حتى دخل الكوفة فاختار النزول فى بيت المختار الثقفى «۲» و هو من أشهر أعلام الشيعة و أحد سيوفهم، و من أحب الناس و أنصحهم للامام الحسين.

---

(۱) أنساب الأشراف ق ۱ ج ۱.

(۲) الارشاد (ص ۲۲۶) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۷، و قيل نزل مسلم فى بيت مسلم بن عوسجة، و قيل نزل فى بيت هانئ بن عروة جاء ذلك فى كل من الاصابة ۱/ ۳۳۲ و تهذيب التهذيب.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۵

لقد اختار مسلم النزول فى بيت المختار دون غيره من زعماء الشيعة و ذلك لوثوقه باخلاصه للامام الحسين، و تفانيه فى حبه، كما أن هناك عاملا آخر له أهميته، فقد كان المختار زوجا لعمرة بنت النعمان بن بشير حاكم الكوفة، و لا شك أن يده لن تمتد إلى مسلم طالما كان مقيما فى بيت صهره المختار، و قد دل ذلك على احاطة مسلم بالشؤون الاجتماعية.

و فتح المختار أبواب داره لمسلم، و قابله بمزيد من الحفاوة و التكريم و دعا الشيعة الى مقابلته فاقبلوا إليه من كل حدب و صوب، و هم يظهرون له الولاء و الطاعة.

ابتهاج الكوفة:

و عمت الافراح بمقدم مسلم جميع الأوساط الشيعية فى الكوفة، و قد وجد منهم مسلم ترحيبا حارا، و تأييدا شاملا، و كان يقرأ عليهم رسالة الحسين، و هم يبكون، و يبدون التعطش لقدومه، و التفانى فى نصرته، لينقذهم من جور الأمويين و ظلمهم، و يعيد فى مصرهم حكم الامام امير المؤمنين مؤسس العدالة الكبرى فى الأرض، و كان مسلم يوصيهم بتقوى اللّه، و كتمان أمرهم حتى يقدم إليهم الامام الحسين.

البيعة للحسين:

و انثالت الشيعة على مسلم تبايعه للامام الحسين، و كانت صيغة البيعة الدعوة إلى كتاب اللّه و سنة رسوله، و جهاد الظالمين، و الدفع عن المستضعفين و اعطاء المحرومين، و قسمة الغنائم بين المسلمين بالسوية، و رد المظالم الى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۶

أهلها، و نصرة أهل البيت، و المسالمة لمن سالموا، و المحاربة لمن حاربوا و قد شبه السيد المقرم هذه البيعة بيعة الأوس و الخزرج للنبى (ص) «۱» و كان حبيب بن مظاهر الأسدى يأخذ البيعة منهم للحسين «۲».

كلمة عابس الشاكرى:

و انبرى المؤمن الفذ عابس بن شبيب الشاكرى فاعرب لمسلم عن ولائه الشخصى و استعداده للموت فى سبيل الدعوة الا انه لم يتعهد له بأى أحد من أهل مصره قائلا:

«أما بعد: فانى لا أخبرك عن الناس، و لا أعلم ما فى أنفسهم، و ما أغرك منهم، و اللّه إنى محدثك عما أنا موطن عليه نفسى، و اللّه لأجيبنكم اذا دعوتم، و لأقاتلن معكم عدوكم، و لأضربن بسيفى دونكم حتى القى اللّه، لا أريد بذلك الا ما عند اللّه ..».

و قد صدق عابس ما عاهد عليه اللّه، فلم يخن ضميره ففدى بنفسه ريحانة رسول اللّه (ص) و استشهد بين يديه فى كربلا.. و انبرى حبيب ابن مظاهر فخاطب عابسا قائلا له:

«رحمك اللّه، فقد قضيت ما فى نفسك بواجز من قولك، و انا و اللّه الذى لا إله الا هو على مثل ما أنت عليه».

و اندفع سعيد الحنفى فأيد مقالة صاحبيه «۳» و هؤلاء الابطال من

---

(۱) الشهيد مسلم بن عقيل (ص ۱۰۳).

(۲) الحدائق الوردية ۱/ ۱۲۵ من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة.

(۳) تأريخ الطبرى ۶/ ۱۹۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۷

انبل من عرفهم التأريخ صدقا و وفاء، فقد بذلوا أرواحهم بسخاء إلى الامام الحسين، و استشهدوا بين يديه فى كربلا.

عدد المبايعين:

و تسابقت جماهير الكوفة الى بيعة الحسين على يد سفيره مسلم بن عقيل، و قد اختلف المؤرخون فى عدد من بايعه، و هذه بعض الأقوال،

۱- أربعون الفا «۱».

۲- ثلاثون الفا و من بينهم حاكم الكوفة النعمان بن بشير «۲».

۳- ثمانية و عشرون الفا «۳»

۴- ثمانية عشر الفا، حسب ما جاء فى رسالة مسلم إلى الحسين يقول فيها: «و قد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر الفا فعجل الاقبال» «۴»

---

(۱) شرح شافية أبى فراس ۱/ ۹۰ من مصورات مكتبة الامام الحكيم مثير الاحزان لابن نما (ص ۱۱).

(۲) دائرة معارف و جدى ۳/ ۴۴۴، حقائق الأخبار عن دول البحار، روضة الأعيان فى أخبار مشاهير الزمان (ص ۶۷) لمحمد بن أبى بكر المتوفى سنة (۷۳۰ ه) من مصورات مكتبة الحكيم، مناقب الامام على بن أبى طالب (ص ۱۳) و جاء فيه ان النعمان قال: يا أهل الكوفة ابن بنت رسول اللّه (ص) احب إليكم من ابن بنت بجدل.

(۳) تأريخ ابى الفداء ۱/ ۳۰۰

(۴) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۲۴

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۸

۵- اثنا عشر الفا .. «۱».

رسالة مسلم للحسين:

و ازداد مسلم ايمانا و وثوقا بنجاح الدعوة حينما بايعه ذلك العدد الهائل من أهل الكوفة، فكتب للامام رسالة يستحثه فيها على القدوم إليهم، و كان قد كتبها قبل شهادته ببضع و عشرين ليلة «۲» و هذا نصها:

«أما بعد: فان الرائد لا يكذب أهله، و قد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر الفا «۳» فعجل حين يأتيك كتابى، فان الناس كلهم معك ليس لهم فى آل معاوية رأى و لا هوى» «۴».

لقد كتب مسلم هذه الرسالة لأنه لم ير أية مقاومة لدعوته، و انما رأى إجماعا شاملا على بيعة الامام، و تلهفا حارا لرؤيته، و حمل الكتاب جماعة من أهل الكوفة، و عليهم البطل العظيم عابس الشاكرى، و قدم الوفد مكة المكرمة، و سلم الرسالة الى الامام، و قد استحثوه على القدوم الى الكوفة، و ذكروا اجماع أهلها على بيعته، و ما لاقاه مسلم من الحفاوة البالغة منهم، و عند ذلك تهيأ الامام إلى السفر للكوفة.

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۴، الصراط السوى فى مناقب آل النبى (ص ۸۶) من مصورات مكتبة الامام الحكيم، تهذيب التهذيب ۲/ ۳۵۰ الاصابة ۱/ ۳۳۲، الحدائق الوردية ۱/ ۱۱۷.

(۲) انساب الأشراف ق ۱ ج ۱

(۳) و فى رواية البلاذرى «ان جميع أهل الكوفة معك».

(۴) الطبرى ۶/ ۲۲۴.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۴۹

موقف النعمان بن بشير:

كان موقف النعمان بن بشير «۱» من الثورة موقفا يتسم باللين و التسامح و قد اتهمه الحزب الأموى بالضعف، أو التضاعف فى حفظ مصلحة الدولة و الاهتمام بسلامتها فأجابهم.

«لأن أكون ضعيفا و أنا فى طاعة اللّه أحب إلى من أن اكون قويا فى معصية اللّه، و ما كنت لأهتك سترا ستره اللّه» «۲».

و قد اعطى الشيعة بموقفه هذا قوة، و شجعهم على العمل ضد الحكومة علنا، و لعل سبب ذلك يعود لأمرين:

۱- ان مسلم بن عقيل كان ضيفا عند المختار و هو زوج ابنته عمرة فلم يعرض للثوار بسوء رعاية للمختار.

---

(۱) النعمان بن بشير الأنصارى الخزرجى كان قد ولاه معاوية الكوفة بعد عبد الرحمن بن الحكم، و كان عثمانى الهوى يجاهر ببغض على و يسىء القول فيه، و قد حاربه يوم الجمل وصفين، و سعى باخلاص لتوطيد الملك إلى معاوية، و هو الذى قاد بعض الحملات الارهابية على بعض المناطق العراقية، و يقول المحققون: إنه كان ناقما على يزيد، و يتمنى زوال الملك عنه شريطة أن لا تعود الخلافة لآل على، و من الغريب فى شأن هذا الرجل أن يزيد لما اوقع بأهل المدينة و أباحها لجنده ثلاثة أيام لم يثأر النعمان لكرامة وطنه و قومه، و فى الاصابة ۳/ ۵۳۰ انه لما هلك يزيد دعا النعمان إلى ابن الزبير ثم دعا إلى نفسه فقاتله مروان، فقتل و ذلك فى سنة (۶۵ ه) و كان شاعرا مجيدا له ديوان شعر طبع حديثا.

(۲) سير اعلام النبلاء ۳/ ۲۰۶.

۲- ان النعمان كان ناقما على يزيد و ذلك لبغضه للانصار فقد أغرى الأخطل الشاعر المسيحى فى هجائهم فثأر لهم النعمان كما ألمعنا إلى ذلك فى البحوث السابقة، و لعل لهذا و لغيره لم يتخذ النعمان أى اجراء مضاد للثورة.

خطبة النعمان:

و أعطى النعمان للشيعة قوة فى ترتيب الثورة و تنظيمها، و هيأ لهم الفرص فى احكام قواعدها مما ساء الحزب الأموى، فانكروا عليه ذلك، و حرضوه على ضرب الشيعة فخرج النعمان، و صعد المنبر فأعلن للناس سياسته المتسمة بالرفق، فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه. «أما بعد: فاتقوا اللّه عباد اللّه، و لا تسارعوا إلى الفتنة و الفرقة فان فيهما تهلك الرجال و تسفك الدماء، و تغصب الأموال. إنى لم اقاتل من لم يقاتلنى، و لا أثب على من لا يثب على، و لا اشاتمكم، و لا اتحرش بكم، و لا آخذ بالقرف «۱» و لا الظنة و لا التهمة، و لكنكم إن أبديتم صفحتكم لى، و نكثتم بيعتكم، و خالفتم امامكم فو اللّه الذى لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى، و لو لم يكن لى منكم ناصر، أما انى أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم اكثر ممن يرديه الباطل» «۲».

و ليس فى هذا الخطاب أى ركون إلى وسائل العنف و الشدة، و انما كان فيه تحذير من مغبة الفتنة و حب للعافية، و عدم التعرض لمن لا يثب على السلطة، و عدم أخذ الناس بالظنة و التهمة كما كان يفعل زياد بن أبيه

---

(۱) القرف: التهمة

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۷.

و الى العراق، و علق انيس زكريا على خطاب النعمان بقوله:

«و لنا من خطبه- أى خطب النعمان- فى الكوفة برهان آخر على أنه كان يرى الفتنة يقظى، و لا بد أن تشتعل، و انه لن يهاجم القائمين بها قبل أن يهاجموه، فجعل لانصارها قوة وطيدة الاركان، و يدا فعالة فى ترتيب المؤامرة و تنظيمها على الأسس المتينة» «۱».

سخط الحزب الأموى:

و أغضبت سياسة النعمان عملاء الحكم الأموى فانبرى إليه عبد اللّه بن مسلم الحضرمى حليف بنى أميّة، فانكر خطته قائلا:

(إنه لا يصلح ما ترى الا الغشم «۲» ان هذا الذى أنت عليه فيما بينك و بين عدوك رأى المستضعفين؟!» «۳».

و دافع النعمان عن نفسه بأنه لا يعتمد على أية وسيلة تبعده عن اللّه و لا يسلك طريقا يتجافى مع دينه، و قد استبان للحزب الأموى ضعف النعمان، و انهياره أمام الثورة.

اتصال الحزب الأموى بدمشق:

و فزع الحزب الأموى من تجاوب الرأى العام مع مسلم، و اتساع نطاق الثورة فى حين أن السلطة المحلية اغضت النظر عن مجريات الأحداث

---

(۱) الدولة الأموية فى الشام (ص ۴۱)

(۲) الغشم: الظلم

(۳) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۷

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۵۲

و قد اتهمتها بالضعف أو بالتواطؤ مع الثوار، و قام الحزب الاموى باتصال سريع بحكومة دمشق، و طلبوا منها اتخاذ الاجراءات الفورية قبل أن يتسع نطاق الثورة، و يأخذ العراق استقلاله، و ينفصل عن التبعية لدمشق، و من بين الرسائل التى وفدت على يزيد رسالة عبد اللّه الحضرمى، جاء فيها:

«أما بعد: فان مسلم بن عقيل، قدم الكوفة، و بايعته الشيعة للحسين بن على، فان كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك، و يعمل مثل عملك فى عدوك فان النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف.» «۱».

و تدعو هذه الرسالة الى اقصاء النعمان عن مركزه، و استعمال شخص آخر مكانه قوى البطش ليتمكن من القضاء على الثورة، فان النعمان لا يصلح للقضاء عليها، و كتب إليه بمثل ذلك عمارة بن الوليد بن عقبة و عمر ابن سعد.

فزع يزيد:

و فزع يزيد حينما توافدت عليه رسائل عملائه فى الكوفة بمبايعة أهلها للحسين، فراودته الهواجس، و ظل ينفق ليله ساهرا يطيل التفكير فى الأمر فهو يعلم ان العراق مركز القوة فى العالم الاسلامى و هو يبغضه و يحقد على أبيه، فقد أصبح موترا منهم لما صبوه عليه من الظلم و الجور، و ان كراهية أهل العراق ليزيد لا تقل عن كراهيتهم لأبيه، كما انه على

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۷

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۵۳

يقين ان الأغلبية الساحقة فى العالم الاسلامى تتعطش لحكم الامام الحسين لأنه الممثل الشرعى لجده و أبيه، و لا يرضون بغيره بديلا»

استشارته لسرجون:

و أحاطت الهواجس بيزيد، و شعر بالخطر الذى يهدد ملكه فاستدعى سرجون الرومى، و كان مستودع أسرار أبيه، و من ادهى الناس، فعرض عليه الأمر، و قال له:

«ما رأيك ان حسينا قد توجه إلى الكوفة، و مسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، و قد بلغنى عن النعمان ضعف و قول سيئ، فما ترى من استعمل على الكوفة؟».

و تأمل سرجون، و اخذ يطيل التفكير فقال له:

«أ رأيت أن معاوية لو نشر أ كنت آخذا رأيه؟»

فقال يزيد: نعم

فأخرج سرجون عهد معاوية لعبيد اللّه بن زياد على الكوفة، و قال:

«هذا رأى معاوية و قد مات، و قد أمر بهذا الكتاب» «۱» أما دوافع سرجون فى ترشيح ابن زياد لولاية الكوفة فهى لا تخلو من أمرين:

۱- إنه يعرف قسوة ابن زياد و بطشه و أنه لا يقوى أحد على اخضاع العراق غيره فهو الذى يتمكن من القضاء على الثورة بما يملك من وسائل الارهاب و العنف.

۲- انه قد دفعته العصبية القومية لهذا الترشيح فان ابن زياد رومى النسب و سرجون رومى.

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۸.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۵۴

ولاية ابن زياد على الكوفة:

و كان يزيد ناقما على ابن زياد كاشد ما تكون النقمة، و أراد عزله عن البصرة «۱» و ذلك لمعارضة أبيه فى البيعة له، الا انه استجاب لرأى سرجون فقد رأى فيه الحفاظ على مصلحة دولته، فعهد له بولاية الكوفة و البصرة، و بذلك فقد خضع العراق بأسره لحكمه، و كتب إليه هذه الرسالة:

«أما بعد: فانه كتب إلى شيعتى من أهل الكوفة يخبروننى أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتى الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، و السلام».

و أشارت هذه الرسالة إلى مدى قلق السلطة فى دمشق و فزعها من مسلم ابن عقيل، و قد شددت على ابن زياد فى الإسراع بالسفر إلى الكوفة لالقاء القبض عليه، و تنص بعض المصادر ان يزيد كتب إلى ابن زياد «ان كان لك جناحان فطر الى الكوفة» «۲» و هذا مما ينبىء عن الخوف الذى لم يبزيد من الثورة فى العراق.

و حمل مسلم بن عمرو الباهلى العهد لابن زياد بولاية الكوفة مع تلك الرسالة، و يقول المؤرخون ان الباهلى كان من عيون بنى أمية فى الكوفة و من أهم عملائهم، كما كان من أجلاف العرب و هو الذى ظن على مسلم أن يشرب جرعة من الماء حينما جىء به أسيرا الى ابن زياد.

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۱۵۲.

(۲) سير اعلام النبلاء ۳/ ۲۰۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۵۵

و تسلم ابن زياد من الباهلى العهد له بولاية الكوفة، و قد طار فرحا فقد تم له الحكم على جميع أنحاء العراق بعد ما كان مهددا بالعزل عن ولاية البصرة، و قد سر بما خولته دمشق من الحكم المطلق على العراق.

و بما سوغت له من استعمال الشدة و القسوة و سفك الدماء لكل من لا يدخل فى طاعة يزيد أو يشترك بأية مؤامرة ضده، و كان هذا

التفويض المطلق فى استعمال القسوة على الناس مما يتفق مع رغبات ابن زياد و ميوله فقد كان من عوامل استمتاعاته النفسية حب الجريمة و الإساءة إلى الناس، و عدم التردد فى سفك الدماء.

خطبة ابن زياد فى البصرة:

و تهيأ ابن زياد لمغادرة البصرة و التوجه إلى الكوفة، و قبل مغادرته لها جمع الناس، و يحطب فيهم خطابا قاسيا جاء فيه:

«ان أمير المؤمنين يزيد ولانى الكوفة، و أنا غاد إليها الغداة، فو اللّه إنى ما تقرن بى الصعبة، و لا يقعقع لى بالشنآن، و انى لنكل لمن عادانى، و سم لمن حاربنى، انصف القارة من راماها.

يا أهل البصرة قد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان، و إياكم و الخلاف و الارجاف فو اللّه الذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لأقتلنه و عرينه «۱» و وليه، و لآخذن الأدنى بالاقصى حتى تسمعوا لى، و لا يكون فيكم مخالف و لا مشاق ... أنا ابن زياد اشبهه

---

(۱) العرين: الجماعة

بين من وطأ الحصى، و لم ينتزعنى شبه خال و لا ابن عم» «۱».

ما أهون سفك الدماء عند اولئك البرابرة الوحوش من ولاة بنى أمية!! لقد تحدث الطاغية عن نفسيته الشريرة التى توغلت فى الأثم، فهو يأخذ البرىء بالسقيم، و المقبل بالمدبر، و الادنى بالأقصى، و يقتل على الظنة و التهمة كما كان يفعل أبوه زياد الذى اشاع القتل فى ربوع العراق.

سفر الطاغية الى الكوفة:

و سار الخبيث الدنس من البصرة متجها الى الكوفة ليقترف أعظم موبقة لم يقترفها شقى غيره، و قد صحبه من أهل البصرة خمسمائة رجل فيهم عبد اللّه بن الحارث بن نوفل و شريك بن الأعور الحارثى «۲» و هو من اخلص اصحاب الامام الحسين، و قد صحب ابن زياد ليكون عينا عليه، و بتعرف على خططه، و قد صحب ابن زياد هذا العدد ليستعين بهم على بث الارهاب، و اذاعة الخوف بين الناس و الاتصال بزعماء الكوفة لصرفهم عن الثورة.

و على أى حال فقد أخذ ابن زياد يجذ فى السير لا يلوى على شىء قد واصل السير الى الكوفة مخافة أن يسبقه الحسين إليها، و قد جهد اصحابه، و اعياهم المسير فسقط منهم جماعة منهم عبد اللّه بن الحارث فلم يعبأ بهم، و لما ورد القادسية سقط مولاه (مهران) فقال له ابن زياد:

«إن امسكت على هذا الحال فتنتظر الى القصر فلك مائة الف»

فقال له مهران: لا و اللّه لا استطيع، و نزل الطاغية فليس ثيابا

---

(۱) الطبرى ۶/ ۲۰۰

(۲) الطبرى ۶/ ۱۹۹

يمانية و عمامة سوداء و تلثم، ليوهم من رآه أنه الحسين و سار وحده فدخل الكوفة مما يلى النجف «۱» و كان قلبه كجناح طائر من

شدة الخوف، و لو كانت عنده مسكة من البسالة و الشجاعة لما تنكر و غير بزته، و أوهم على الناس أنه الحسين .. و قد تذرع الجبان بهذه الوسائل لحماية نفسه، و تنص بعض المصادر انه حبس نفسه عن الكلام خوفا من أن يعرفه الناس فتأخذه سيوفهم.

فى قصر الامارة:

و أسرع الخبيث نحو قصر الامارة «۲» و قد علاه الفزع. و ساءه كأشد ما يكون الاستياء من تباشير الناس و فرحهم بقدوم الامام الحسين،

---

(۱) مقتل الحسين للمقرم (ص ۱۶۵)

(۲) قصر الامارة: هو أقدم بناية حكومية شيدت فى الاسلام بناها سعد بن أبى وقاص، و قد اندثرت معالمه، كما اندثرت جميع معالم الكوفة ما عدا الجامع، و قد اهتمت مديرية الآثار العامة فى العراق بالتعرف عليه، فكشفت فى مواسم مختلفة اسسه، و قد اظهرت نتائج الحفائر التى اجريت عليه انه يتألف من سور خارجى يضم أربعة جدران تقريبا طولها ۱۷۰ مترا و معدل سمكها ۴ امتار، و تدعم كل ضلع من الخارج ستة ابراج نصف دائرية باستثناء الضلع الشمالى، حيث يدعمها برجان فقط، و المسافة ما بين كل برج و آخر ۲۴ متر و ۶۰ سنتمتر، و ارتفاع هذا السور بابراجه يصل الى ما يقرب من عشرين مترا، و قد بنى القصر بناء محكما، و صممت هندسته على غاية حربية ليكون فى حماية آمنة من كل غزو خارجى جاء ذلك فى تخطيط مدينة الكوفة للدكتور كاظم الجنابى (ص ۱۳۵- ۱۵۵)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۵۸

و لما انتهى إلى باب القصر و جده مغلقا، و النعمان بن بشير مشرف من أعلى القصر، و كان قد توهم أن القادم هو الحسين لأن اصوات الناس قد تعالت بالترحيب به و الهتاف بحياته، فانبرى يخاطبه.

«ما أنا بمؤد إليك امانتى يا بن رسول اللّه، و مالى فى قتالك من ارب ..».

و لمس ابن مرجانة فى كلام النعمان الضعف و الانهيار فصاح به بنبرات تقطر غيظا.

«افتح لا فتحت فقد طال ليلك».

و لما تكلم عرفه بعض من كان خلفه فصاح بالناس: «انه ابن مرجانة و رب الكعبة» و من الغريب أن ذلك المجتمع لم يميز بين الامام الحسين و بين ابن مرجانة، مع أن كلا منهما قد عاش فترة فى ديارهم، و لعل الذى أوقعهم فى ذلك تغيير ابن زياد لبزته، و لبسه للعمامة السوداء.

و على أى حال فان الناس حينما علموا انه ابن زياد جفلوا و خفوا مسرعين إلى دورهم، و هم يتحدثون عما عانوه من الظلم و الجور أيام أبيه و قد أوجسوا من عبيد اللّه الشر .. و بادر ابن زياد فى ليلته فاستولى على المال و السلاح، و انفق ليله ساهرا قد جمع حوله عملاء الحكم الأموى فاخذوا يحدثونه عن الثورة و يعرفونه بأعضائها البارزين، و يضعون معه المخططات للقضاء عليها.

و قد وقفت عليه غير مرة، و تطلعت الى كثير من معالمه، ففى بعض ابوابه الرئيسية مظلات لحراس القصر قد ردمت و لم يبق منها إلا بعض معالمها، و فى جانب منه بعض الغرف التى اعدت للسجن، و قد صممت بشكل غريب، و فى جانب منه مطابخ القصر و لم يشر الاستاذ الجنابى إليها و قد احكم بناء القصر حتى كان من المتعذر اقتحامه و الاستيلاء عليه.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۵۹

خطابه فى الكوفة:

و عند ما انبثق نور الصبح أمر ابن مرجانة يجمع الناس فى المسجد الأعظم، فاجتمعت الجماهير، و قد خيم عليها الذعر و الخوف، و

خرج ابن زياد متقلدا سيفه و معتما بعمامة، فاعتلى اعواد المنبر، و خطب الناس فقال:

«أما بعد: فان امير المؤمنين- أصلحه اللّه- ولانى مصركم و ثغركم و فيئكم، و أمرنى بانصاف مظلومكم و اعطاء محرومكم، و بالاحسان إلى سامعكم و مطيعكم، و بالشدة على مريبكم، فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق و سيفى و سوطى على من ترك أمرى، و خالف عهدى فليبق امرؤ على نفسه الصدق ينبىء عنك لا الوعيد ..» «۱».

و حفل هذا الخطاب بما يلى:

۱- اعلام أهل الكوفة بولايته على مصرهم، و عزل النعمان بن بشير عنه.

۲- تعريفهم أن حكومة دمشق قد عهدت له بالاحسان على من يتبع السلطة، و لم يتمرد عليها و استعمال الشدة و القسوة على الخارجين عليها.

و لم يعرض ابن مرجانة فى خطابه للامام الحسين و سفيره مسلم خوفا من انتفاضة الجماهير عليه و هو بعد لم يحكم أمره.

---

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۹۷)

نشر الارهاب:

و عمد ابن زياد الى نشر الارهاب، و اذاعة الخوف، و يقول بعض المؤرخين: انه لما أصبح ابن زياد بعد قدومه الى الكوفة صال و جال، و ارعد و ابرق، و أمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم فى الساعة «۱» و قد عمد الى ذلك لاماتة الاعصاب، و صرف الناس عن الثورة.

و فى اليوم الثانى أمر بجمع الناس فى المسجد. و خرج إليهم بزى غير ما كان يخرج به، فخطب فيهم خطابا عنيفا تهدد فيه و توعد، فقد قال بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«أما بعد: فانه لا يصلح هذا الأمر الا فى شدة من غير عنف، و لين من غير ضعف، و ان آخذ البرىء بالسقيم، و الشاهد بالغائب، و الولى بالولى» ..

فانبرى إليه رجل من أهل الكوفة يقال له أسد بن عبد اللّه المرى فرد عليه:

«أيها الأمير، إن اللّه تبارك و تعالى يقول: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى»* انما المرء بجده و السيف بحده، و الفرس بشده، و عليك أن تقول: و علينا أن نسمع، فلا تقدم فينا السيئة قبل الحسنة ...»

و افحم ابن زياد فنزل عن المنبر و دخل قصر الامارة «۲».

---

(۱) الفصول المهمة (ص ۱۹۷) وسيلة المآل (ص ۱۸۶)

(۲) الفتوح ۵/ ۶۷

تحول مسلم الى دار هانئ:

و اضطر مسلم إلى تغيير مقره، و احاطة نشاطه السياسى بكثير من السر و الكتمان، فقد شعر بالخطر الذى داهمه حينما قدم الطاغية إلى الكوفة فهو يعلم بخبث هذا الوغد، و انه لا يرجو للّه وقارا و لا يتحرج من اقتراف الاثم، و قد أجمع أمره على مغادرة دار المختار لأنه

لم تكن عنده قوة تحميه و لم يكن يأوى الى ركن شديد، فالتجأ الى دار هانئ بن عروة فهو سيد المصر و زعيم مراد، و عنده من القوة ما يضمن حماية الثورة و التغلب على الأحداث، فقد كان فيما يقول المؤرخون: اذا ركب يركب معه أربعة آلاف دارع و ثمانية آلاف راجل، فاذا اجابتها احلافها من كندة و غيرها كان فى ثلاثين الف دارع «۱» كما كانت له الطاف و اياد بيضاء على أسرته مما جعلتهم يكنون له أعمق الود و الاخلاص،

و مضى مسلم الى دار هذا الزعيم العربى الكبير فرحب به، و استقبله بحفاوة بالغة، و تنص بعض المصادر «۲» انه قد ثقل على هانئ استجارة مسلم به، و عظم عليه أن يتخذ داره معقلا للثورة، و مركزا للتجمعات ضد الدولة، فانه بذلك يعرض نفسه للنقمة و البلاء الا أنه استجاب لمسلم على كره خضوعا للعادات العربية التى لا تطرد اللاجىء إليها، و ان عانت من ذلك أعظم المصاعب و المشاكل ... و الذى نراه انه لا صحة لذلك فان مسلما لو شعر منه عدم الرضا، و القبول لما ركن إليه، و تحرج كأشد ما يكون التحرج من دخول داره و ذلك لما توفرت فى مسلم من الطاقات التربوية الدينية، و ما عرف به من الشمم و الإباء الذى يبعده كل البعد من

---

(۱) مروج الذهب ۲/ ۸۹

(۲) الأخبار الطوال (ص ۲۱۳)

سلوك أى طريق فيه حرج أو تكلف على الناس، و بالاضافة الى ذلك فان مسلما لو لم يحرز منه التجاوب التام، و الايمان الخالص بدعوته لما التجأ إليه فى تلك الفترة العصيبة التى تحيط به.

ان من المؤكد ان هانيا لم يستجب لحماية مسلم و الدفاع عنه على كره أو حياء، و انما استجاب له عن رضى و ايمان بوحى من دينه و عقيدته.

و على أى حال فقد استقر مسلم فى دار هانئ و اتخذها مقرا للثورة، و قد احتف به هانئ، و دعا القبائل لمبايعته، فبايعه فى منزله ثمانية عشر الفا «۱» و قد عرف مسلم هانئا بشئون الثورة، و أحاطه علما بدعائها و أعضائها البارزين،

امتناع مسلم من اغتيال ابن زياد:

و ذهب معظم المؤرخين إلى أن شريك بن الأعور مرض مرضا شديدا فى بيت هانئ بن عروة أو فى بيته «۲» فانتهى خبره الى ابن زياد فأرسل إليه رسولا يعلمه أنه آت لعيادته، فاغتنم شريك هذه الفرصة فقال لمسلم:

«انما غايتك و غاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، و قد أمكنك اللّه منه و هو صائر إلى ليعودنى فقم فادخل الخزانة حتى اذا اطمأن عندى فاخرج إليه فاقتله، ثم صر الى قصر الامارة فاجلس فيه فانه لا ينازعك فيه أحد من الناس، و ان رزقنى اللّه العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها، و بايع

---

(۱) الأخبار الطوال (ص ۲۱۴)

(۲) البداية و النهاية ۸/ ۱۵۳، و المشهور بين المؤرخين ان شريكا كان فى بيت هانئ لا فى بيته فقد كان مقيما بالبصرة، و جاء مع ابن زياد الى الكوفة.

لك أهلها» «۱».

و كره هانئ أن يقتل ابن زياد فى داره تمسكا بالعادات العربية التى لا تبيح قتل الضيف و القاصد إليها فى بيوتها «۲» فقال له:

«ما أحب أن يقتل فى دارى»

فقال له شريك: «و لم فو اللّه ان قتله لقربان الى اللّه»

و لم يعن شريك بهانىء و التفت الى مسلم يحثه على اغتيال ابن زياد قائلا- له: «لا- تقصر فى ذلك» و بينما هم فى الحديث و اذا بالضجة على الباب فقد أقبل ابن مرجانة مع حاشيته، فقام مسلم و دخل الخزانة مختفيا بها، و دخل ابن زياد فجعل يسأل شريكا عن مرضه، و شريك يجيبه، و لما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحيوهاحيوا سليمى و حيوا من يحيها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها «۳»_____

(۱) الأخبار الطوال (ص ۲۱۴) مقاتل الطالبيين (ص ۹۸) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۹، و ذهب بعض المؤرخين الى أن الذى دعا مسلما لاغتيال ابن زياد هو هانئ بن عروة كما فى الامامة و السياسة ۲/ ۴.

(۲) يشير الى ذلك ما جاء فى مقاتل الطالبيين (ص ۹۸) ان هانئا استقبح قتل ابن زياد فى داره.

(۳) مقاتل الطالبيين (ص ۹۸) و فى مقتل أبى مخنف أنه أنشد هذه الأبيات:

ما تنظرون بسلمى لا تحيوهاحيوا سليمى و حيوا من يحيها

هل شربة عذبة اسقى على ظمأو لو تلفت و كانت منيتى فيها

و ان تخشيت من سلمى مراقبةفلست تأمن يوما من دواهيها حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۶۴

و رفع صوته ليسمع مسلما قائلا:

«للّه أبوك اسقنيها و ان كانت فيها نفسى» «۱»

و غفل ابن زياد عن مراده، و ظن أنه يهجر فقال لهانئ:

- أ يهجر؟

- نعم أصلح اللّه الأمير لم يزل هكذا منذ اصبح «۲»

و فطن مهران مولى ابن زياد، و كان ذكيا الى ما دبر لسيده، فغمزه و نهض به سريعا فقال له شريك: أيها الأمير إنى أريد أن أوصى إليك فقال له ابن زياد: انى أعود إليك و التفت مهران و هو مذعور الى ابن زياد، فقال له:

«انه أراد قتلك»

فبهر ابن زياد، و قال:

«كيف مع اكرامى له؟!! و فى بيت هانئ و يد أبى عنده!»

و لما ولى الطاغية خرج مسلم من الحجرة، فالتفت إليه شريك و قلبه يذوب أسى و حسرات قال له:

«ما منعك من قتله؟» «۳»

فقال مسلم: منعنى منه خلتان: احداهما كراهية هانئ لقتله فى

و فى الفتوح ۵/ ۷۲ و الاخبار الطوال (ص ۲۱۴) انه أنشد هذا البيت:

ما تنظرون بسلمى عند فرصتهافقدونى و دها و استوسق الصرم

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۹۹)

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۰.

(۳) تأريخ ابن الاثير ۳/ ۲۶۹- ۲۷۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۶۵

منزله، و الأخرى قول رسول اللّه (ص): ان الايمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن، فقال له شريك: أما و اللّه لو قتلته لاستقام لك أمرك، و استوسق لك سلطانك «۱».

و لم يلبث شريك بعد الحادثة الا ثلاثة أيام حتى توفى، فصلى عليه ابن زياد و دفنه بالثوية، و لما تبين له ما دبره له شريك طفق يقول: و اللّه لا أصلى على جنازة عراقى، و لو لا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا «۲»

أضواء على الموقف:

و يتساءل الكثيرون من الناس عن موقف مسلم، فيلقون عليه اللوم و التقريع، و يحملونه مسئولية ما وقع من الأحداث، فلو اغتال الطاغية لأنقذ المسلمين من شر عظيم، و ما منى المسلمون بتلك الأزمات الموجعة التى أغرقتهم فى المحن و الخطوب ... أما هذا النقد فليس موضوعيا، و لا يحمل أى طابع من التوازن و التحقيق، و ذلك لعدم التقائه بسيرة مسلم و لا بواقع شخصيته، فقد كان الرجل فذا من أفذاذ الاسلام فى ورعه و تقواه، و تحرجه فى الدين، فقد تربى فى بيت عمه أمير المؤمنين (ع) و حمل اتجاهاته الفكرية، و اتخذ سيرته المشرقة منهاجا يسير على أضوائها

---

(۱) الأخبار الطوال (ص ۲۱۴) و فى تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۰ ان هانئا قال لمسلم: لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا، و ذكر ابن لما ان امرأة هانئ تعلقت بمسلم، و أقسمت عليه باللّه ان لا يقتل ابن زياد فى دارها، فلما علم هانئ قال: يا ويلها قتلتنى و قتلت نفسها و الذى فرت منه وقعت فيه.

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۰۲، الاغانى ۶/ ۵۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۶۶

فى حياته، و قد بنى الامام أمير المؤمنين (ع) واقع حياته على الحق المحض الذى لا التواء فيه، و تحرج كاعظم ما يكون التحرج فى سلوكه فلم يرتكب أى شيء شذ عن هدى الاسلام و واقعه و هو القائل: «قد يرى الحول القلب وجه الحيلة و دونها حاجز من تقوى اللّه».

و على ضوء هذه السيرة بنى ابن عقيل حياته الفكرية، و تكاد أن تكون هذه السيرة هى المنهاج البارز فى سلوك العلويين يقول الدكتور محمد طاهر دروش:

«كان للهاشميين مجال يحيون فيه، و لا يعرفون سواه، فهم منذ جاهليتهم للرئاسة الدينية قد طبعوا على ما توحى به من الايمان و الصراحة و الصدق و العفة و الشرف و الفضيلة، و الترفع و الخلائق المثالية و المزايا الأدبية و الشمائل الدينية و الآداب النبوية» «۱».

ان مسلما لم يقدم على اغتيال عدوه الماكر لأن الايمان قيد الفتك، و لا يفتك مؤمن، و علق هبة الدين على هذه الكلمة بقوله: «كلمة كبيرة المغزى، بعيدة المدى فان آل على من قوة تمسكهم بالحق و الصدق نبذوا الغدر و المكر حتى لدى الضرورة، و اختاروا النصر الآجل بقوة الحق على النصر العاجل بالخديعة، شنشنة فيهم معروفة عن اسلافهم، و موروثة فى اخلاقهم، كأنهم مخلوقون لاقامة حكم العدل و الفضيلة فى قلوب العرفاء الاصفياء، و قد حفظ التأريخ لهم الكراسى فى القلوب» «۲».

و يقول الشيخ احمد فهمى:

«فهذا عبيد اللّه بن زياد، و هو من هو فى دهائه، و شدة مراسه امكنت مسلما الفرصة منه اذ كان بين يديه، و رأسه قريب المنال منه،

---

(۱) الخطابة فى صدر الاسلام ۲/ ۱۳.

(۲) نهضة الحسين (ص ۸۴).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۶۷

و كان في استطاعته قتله و لو انه فعل ذلك لحرم يزيد نفسا جبارة، و يدا فتاكة، و قوة لا يستهان بها، و لكن مسلما متأثر بهدى ابن عمه عاف هذا المسلك و صان نفسه من أن يقتله غيلة و مكرا، «۱».

ان مهمة مسلم التي عهد بها إليه هي أخذ البيعة من الناس و التعرف على مجريات الأجداث، و لم يعهد إليه بأكثر من ذلك، و لو قام باغتيال الطاغية لخرج عن حدود مسئولياته .. على أن الحكومة التي جاء ممثلا لها انما هي حكومة دينية تعنى قبل كل شيء بمبادئ الدين و الالتزام بتطبيق سننه و أحكامه، و ليس من الاسلام في شيء القيام بعملية الاغتيال.

و قد كان أهل البيت (ع) يتحرجون كأشد ما يكون التحرج من السلوك في المنعطفات، و كانوا ينعون على الأمويين شذوذ أعمالهم التي لا تتفق مع نواميس الدين، و ما قام الحسين بنهضته الكبرى الا لتصحيح الأوضاع الراهنة و اعادة المنهج الاسلامي الى الناس .. و ما ذا يقول مسلم للاخيار و المتحرجين في دينهم لو قام بهذه العملية التي لا يقرها الدين.

و على أي حال فقد استمسك مسلم بفضائل دينه و شرفه من اغتيال ابن زياد، و كان تحت قبضته، و ان من أهزل الأقوال و أوهنها القول بأن عدم فتكه به ناشئ عن ضعفه و خوره، فان هذا أمر لا يمكن أن يصغى إليه فقد أثبت في مواقفه البطولية في الكوفة حينما غدر به أهلها ما لم يشاهد التأريخ له نظيرا في جميع مراحله، فقد صمد أمام ذلك الزحف الهائل من الجيوش فقابلها وحده و لم تظهر عليه أي بادرة من الخوف و الوهن، فقد قام بعزم ثابت يحصد الرءوس و يحطم الجيوش حتى ضجت الكوفة من كثرة من قتل منها، فكيف يتهم بطل هاشم و فخر عدنان بالوهن و الضعف؟

---

(۱) ريحانة الرسول (ص ۱۷۸)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۶۸

المخططات الرهيبة:

اشارة

و أدت المخططات الرهيبة التي صممها الطاغية الى نجاحه في الميادين السياسية و تغلبه على الأحداث، فبعد أن كانت الكوفة تحت قبضة مسلم انقلبت عليه رأسا على عقب، فزج بها الماكر الخبيث الى حرب مسلم، و القضاء عليه، و من بين هذه المخططات.

۱- التجسس على مسلم:

و أول بادرة سلكها ابن زياد هي التجسس على مسلم، و معرفة جميع نشاطاته السياسية و الوقوف على نقاط القوة و الضعف عنده، و قد اختار للقيام بهذه المهمة مولاه معقلا و كان من صنائعه، و تربى في كنفه، و درس طباعه، و وثق باخلاصه، و كان فطنا ذكيا، فاعطاه ثلاثة آلاف درهم، و امره أن يتصل بالشيعة، و يعرفهم أنه من أهل الشام، و انه مولى لذي الكلاع الحميري، و كانت الصبغة السائدة على الموالي هي الاخلاص لأهل البيت (ع) و لذا أمره بالانتساب الى الموالي، حتى ينفي الشك و الريب عنه، و قال له: انه اذا التقى بهم فليعرفهم بأنه ممن انعم اللّه عليه بحب أهل البيت (ع) و قد بلغه قدوم رجل الى الكوفة يدعو للامام الحسين، و عنده ما يريد أن يلقاه ليوصله إليه حتى يستعين به على حرب عدوه، و مضى معقل في مهمته فدخل الجامع، و جعل يفحص و يسأل عمن له معرفة بمسلم، فارشد الى مسلم بن عوسجة، فانبرى إليه، و هو يظهر الاخلاص و الولاء للعترة الطاهرة قائلا له:

«إنى أتيتك لتقبض منى هذا المال، و تدلنى على صاحبك لأبايعه،

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۶۹

و ان شئت أخذت بيعتى قبل لقائى اياه ..».

فقال مسلم: لقد سرنى لقاؤك اياى لتنال الذى تحب، و ينصر اللّه بك أهل نبيه، و قد ساءنى معرفة الناس اياى من قبل أن يتم مخافة هذا الطاغية و سطوته، ثم أخذ منه البيعة و أخذ منه المواثيق المغلظة على النصيحة و كتمان الامر «۱» و فى اليوم الثانى أدخله على مسلم فبايعه و أخذ منه المال و أعطاه إلى أبى ثمامة الصائدى، و كان قد عينه لقبض المال ليشترى به السلاح و الكراع، و كان معقل فيما يقول المؤرخون: أول من يدخل على مسلم، و آخر من يخرج منه، و جميع البوادر و الاحداث التى تصدر ينقلها بتحفظ فى المساء إلى ابن زياد «۲» حتى وقف على جميع اسرار الثورة.

مع أعضاء الثورة

و الذى يواجه أعضاء الثورة من المؤاخذات ما يلى:

أولا- ان معقل كان من أهل الشام الذى عرفوا بالبغض و الكراهية لأهل البيت (ع) و الولاء لبنى أمية و التفانى فى حبهم فما معنى الركون إليه؟

ثانيا: ان اللازم التريب حينما أعطى المال لمسلم بن عوسجة و هو يبكى، فما معنى بكائه أو تباكيه؟ أ ليس ذلك مما يوجب الريب فى شأنه.

ثالثا: انه حينما اتصل بهم كان أول داخل و آخر خارج، فما معنى هذا الاستمرار و المكث الطويل فى مقر القيادة العامة؟ أ ليس ذلك مما يوجب الشك فى أمره؟.

لقد كان الأولى بالقوم التحرز منه، و لكن القوم قد خدعتهم المظاهر المزيفة، و من الحق ان هذا الجاسوس كان ماهرا فى صناعته، و خبيرا فيما انتدب إليه

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۶۹

(۲) الأخبار الطوال (ص ۲۱۵)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۷۰

و على أى حال فان ابن زياد قد استفاد من عملية التجسس أمورا بالغة الخطورة فقد عرف العناصر الفعالة فى الثورة، و عرف مواطن الضعف فيها، و غير ذلك من الأمور التى ساعدته على التغلب على الأحداث

۲- رشوة الزعماء و الوجوه:

و وقف ابن زياد على نبض الكوفة، و عرف كيف يستدرج أهلها فبادر إلى ارشاء الوجوه و الزعماء فبذل لهم المال بسخاء فاستمال و دهم، و استولى على قلوبهم فصارت السنتهم تكيل له المدح و الثناء، و كانوا ساعده القوى فى تشتيت شمل الناس و تفريق جموعهم عن مسلم.

لقد استعبدهم ابن مرجانة بما بذله من الأموال فأخلصوا له و منحوه النصيحة و خانوا بعهودهم و مواثيقهم التى أعطوها لمسلم، و قد أخبر بعض أهل الكوفة الامام عن هذه الظاهرة حينما التقى به فى أثناء الطريق فقال له:

«أما اشراف الناس فقد عظمت رشوتهم، و ملئت غرائرهم، يستمال و دهم، و يستخلص به نصيحتهم، و أما سائر الناس فان أفئدتهم تهوى إليك، و سيوفهم غدا مشهورة عليك» «۱».

لقد تناسى الكوفيون كتبهم التى أرسلوها للامام و بيعتهم له على يد سفيره من أجل الأموال التى أغدقتها عليهم السلطة، يقول بعض الكتاب:

«ان الجماعات التى أقامها النكير على بنى أمية، و راسلت الحسين و اكدت له اخلاصها، و ذرفت أمام مسلم أعز دموعها هى الجماعات التى ابتاعها عبيد اللّه بن زياد بالدرهم و الدينار، و قد ابتاعها فيما بعد مصعب

---

(۱) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۳۳.

ابن الزبير فتخلوا عن المختار، و تركوه وحيدا يلقى حتفه ثم اشتراها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فتخلوا عن مصعب، و تركوه يلقى مصيره على يد عبد الملك بن مروان» «۱».

الاحجام عن كبس دار هانئ:

و علم الطاغية ان هانئا هو العضو البارز فى الثورة، فقد اطلعه الجاسوس الخطير معقل على الدور الفعال الذى يقوم به هانئ فى دعم الثورة، و مساندتها بجميع قدراته، و عرفه أن داره اصبحت المركز العام للشيعة، و المقر الرئيسى اسفير الحسين مسلم ... فلما ذا لم يقم بكبسها و تطويقها بالجيش ليقضى بذلك على الثورة، و انما احجم عن ذلك لعجزه عسكريا، و عدم مقدرته على فتح باب الحرب فان دار هانئ مع الدور التى كانت محيطة بها كانت تضم أربعة آلاف مقاتل ممن بايعوا مسلما بالاضافة الى اتباع هانئ و مكانته المرموقة فى المصر، فلهذا لم يستطع ابن زياد من القيام بذلك نظرا للمضاعفات السيئة.

رسل الغدر:

و انفق ابن زياد لياليه ساهرا يطيل التفكير، و يطيل البحث مع حاشيته فى شأن هانئ، فهو أعز من فى المصر، و أقوى شخصية يستطيع القيام بحماية الثورة، و لا يدع مسلما فريسة لأعدائه، فاذا قضى عليه فقد استأصل الثورة من جذورها، و قد أعرضوا عن القاء القبض عليه،

---

(۱) المختار الثقفى مرآة العصر الأموى (ص ۶۹- ۷۰)

و تطويق داره فان ذلك ليس بالأمر الممكن، و قد اتفق رأيهم على خديعته بارسال وفد إليه من قبل السلطة يعرض عليه رغبة ابن زياد فى زيارته، فاذا وقع تحت قبضته فقد تم كل شىء، و يكون تشتيت اتباعه ليس بالأمر العسير، و شكلوا وفدا لدعوته و هم:

۱- حسان بن اسماء بن خارجة زعيم فزارة

۲- محمد بن الأشعث زعيم كندة

۳- عمرو بن الحجاج

و لم يكن لحسان بن أسماء علم بالمؤامرة التى دبرت ضد هانئ، و انما كان يعلم بها محمد بن الأشعث و عمرو بن الحجاج، و قد أمرهم ابن زياد أن يحملوا له عواطفه و رغبته الملحة فى زيارته، و يعلموا جاهدين على اقناعه.

اعتقال هانئ:

و اسرع الوفد إلى هانئ عشية فوجدوه جالسا على باب داره فسلموا عليه، و قالوا له:

«ما يمنعك من لقاء الأمير فانه قد ذكرك؟ و قال: لو أعلم أنه شاك لعدته».

فقال لهم: الشكوى تمنعنى

و ابطلوا هذا الزعم و قالوا له: إنه قد بلغه انك تجلس كل عشية على باب داركَ، و قد استبطاك، و الابطاء و الجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا.

و أخذوا يلحون عليه فى زيارته فاستجاب لهم على كره فدعا بثيابه

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۷۳

فلبسها، و دعا ببغلة فركبها فلما كان قريبا من القصر احست نفسه بالشر فعزم على الانصراف و قال لحسان بن سماء: يا ابن الأخ إنى و اللّه لخائف من هذا الرجل فما ترى؟ فقال حسان: يا عم و اللّه ما اتخوف عليك شيئا و لم تجعل على نفسك سبيلا؟ و اخذ القوم يلحون عليه حتى ادخلوه على ابن مرجانة، فاستقبله بعنف و شراسة، و قال:

«أتتك بخائن رجلاه»

و كان شريح الى جانبه، فقال له:

أريد حياته «۱» و يريد قتلىعذيرك من خليلك من مراد و ذعر هانئ فقال له:

«ما ذاك أيها الأمير؟»

فصاح به الطاغية بعنف

«ايه يا هانئ ما هذه الأمور التى تتربص فى داركَ لأمير المؤمنين و عامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فادخلته داركَ، و جمعت له السلاح و الرجال فى الدور حولك، و ظننت أن ذلك يحفى على؟».

فأنكر ذلك هانئ و قال:

«ما فعلت ذلك و ما مسلم عندى»

«بلى قد فعلت»

و طال النزاع و احتدم الجدال بينهما، فرأى ابن زياد ان يحسم النزاع فدعا معقلا الذى جعله عينا عليهم فلما مثل عنده قال لهانئ حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ج۲ ۳۷۳ اعتقال هانئ: ..... ص : ۳۷۲

ا تعرف هذا؟»

«نعم»

---

(۱) يروى (حياءه) من العطاء

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۷۴

و اسقط ما فى يدى هانئ، و اطرق برأسه الى الأرض، و لكن سرعان ما سيطرت شجاعته على الموقف، فانتفض كالأسد، و قال لابن مرجانة:

«قد كان الذى بلغكَ، و لن اضيع يدكَ عندى «۱» تشخص لأهل الشام أنت و اهل بيتكَ سالمين بأموالكم، فانه جاء حق من هو أحق من حقكَ و حق صاحبكَ ...» «۲».

فثار ابن زياد و صاح به:

«و اللّه لا تفارقنى حتى تأتينى به»

و سخر منه هانئ، و انكر عليه قائلا له مقالة الرجل الشريف:

«لا آتيك بضيفى ابدا»

و لما طال الجدال بينهما انبرى الى هانئ مسلم بن عمر الباهلى و هو من خدام السلطة، و لم يكن رجل فى المجلس غريب غيره فطلب من ابن زياد أن يختلى بهانىء، ليقنعه فأذن له، فقام و خلا به ناحية بحيث يراهما ابن زياد و يسمع صوتهما اذا علا، و حاول الباهلى اقناع هانئ فحذره من نقمة السلطان و ان السلطة لا تنوى السوء بمسلم قائلا:

«يا هانئ أنشدك اللّه ان تقتل نفسك، و تدخل البلاء على قومك، إن هذا الرجل- يعنى مسلما- ابن عم القوم، و ليسوا بقاتليه، و لا ضائريه، فأدفعه إليه فليس عليك بذلك مخزاة، و لا منقصة انما تدفعه إلى السلطان ..».

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱.

(۲) مروج الذهب ۳/ ۷، سمط النجوم العوالى ۳/ ۶۱ تأريخ الاسلام للذهبى ۲/ ۲۶۹ و روى كلامه بصورة أخرى و هى تخالف ما رواه مشهور المؤرخين.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۷۵

و لم يخف على هانئ هذا المنطق الرخيص، فهو يعلم ان السلطة اذا ظفرت بمسلم فسوف تنكل به، و لا تدعه حيا و ان ذلك يعود عليه بالعار و الخزى ان سلم ضيفه وافد آل محمد فريسة لهم قائلا:

«بلى و اللّه على فى ذلك أعظم العار أن يكون مسلم فى جوارى و ضيفى و هو رسول ابن بنت رسول اللّه (ص) و أنا حى صحيح الساعدين كثير الأعوان، و اللّه لو لم اكن إلا وحدى لما سلمته أبدا».

و حفل هذا الكلام بمنطق الأحرار الذين يهبون حياتهم للمثل العليا و لا يخضعون لما يخل بشرفهم.

و لما يئس الباهلى من اقناع هانئ انطلق نحو ابن زياد فقال له:

«أيها الأمير قد أبى ان يسلم مسلما أو يقتل» «۱».

و صاح الطاغية بهانىء:

«أ تأتينى به أو لأضربن عنقك»

فلم يعبأ به هانئ و قال:

«اذن تكثر البارقة حولك»

فثار الطاغية و انتفخت اوداجه و قال:

«وا لهفا عليك أبا لبارقة تخوفنى» «۲»

و صاح بغلامه مهران و قال: خذه، فأخذ بضفيرتى هانئ، و أخذ ابن زياد القضيب فاستعرض به وجهه، و ضربه ضربا عنيفا حتى كسر انفه و نثر لحم خديه و جبينه على لحيته حتى تحطم القضيب و سالت الدماء على ثيابه، و عمد هانئ الى قائم سيف شرطى محاولا اختطافه ليدافع به عن نفسه فمنعه منه، فصاح به ابن زياد:

---

(۱) الفتوح ۵/ ۸۳

(۲) البارقة: السيوف التى يلمع بريقها

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۷۶

«أ حرورى احللت بنفسك و حل لنا قتلك».

و أمر ابن زياد باعتقاله فى أحد بيوت القصر «۱» و اندفع حسان بن اسماء بن خارجة و كان ممن أمن هانئا و جاء به الى ابن زياد، و قد خاف من سطوة عشيرته و نقمتهم عليه، فأنكر عليه ما فعله بهانىء قائلا:

«أرسله يا غادر امرتنا ان نجيئك بالرجل فلما اتيناك به هشمت وجهه، و سيلت دماءه و زعمت أنك تقتله»

و غضب منه ابن زياد فاوعز إلى شرطته بتأديبه فلهز و تعتع ثم ترك و أما ابن الأشعث المتملق الحقير فجعل يحرك رأسه و يقول ليسمع الطاغية.

«قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا، انما الأمير مؤدب» «۲» و لا يهم ابن الأشعث ما اقترفه الطاغية من جريمة فى سبيل تأمين مصالحه و رغباته.

انتفاضة مذحج:

و انتهى خبر هانئ إلى اسرته فاندفعت بتثاقل كالحشرات فقاد جموعها الانتهازى الجبان عمرو بن الحجاج الذى لا عهد له بالشرف و المروءة، فأقبل و معه مذحج و هو يرفع عقيرته لتسمع السلطة مقالته قائلا:

«أنا عمرو بن الحجاج و هذه فرسان مذحج و وجوهها لم نخلع طاعة و لم نفارق جماعة»:

و حفل كلامه بالخنوع و المسالمة للسلطة و ليس فيه اندفاع لانقاذ هانئ و لذا لم يحفل به ابن زياد فالتفت إلى شريح القاضى فقال له: ادخل على

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۷۷

صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج إليهم فاعلمهم أنه حى، و خرج شريح فدخل على هانئ فلما بصر به صاح مستجيرا.

«يا للمسلمين أهلكت عشيرتى؟!! أين أهل الدين أين أهل المصر! أ يحذروننى عدوهم «۱» و كان قد سمع الأصوات و ضجيج الناس فالتفت الى شريح «۲» قائلا:

«يا شريح: انى لاظنها أصوات مذحج و شيعتى من المسلمين، انه ان دخل على عشرة أنفر انقذونى.» «۳».

و خرج شريح و كان عليه عين لابن زياد مخافة أن يدلى بشىء على خلاف رغبات السلطة فيفسد عليها أمرها فقال لهم:

«قد نظرت الى صاحبكم و انه حى لم يقتل»

و بادر عمرو بن الحجاج فقال:

«إذا لم يقتل فالحمد للّه» «۴»

و ولوا منهزمين كأنما اتيح لهم الخلاص من السجن و هم يصحبون العار و الخزى، و ظلوا مثالا للخيانة و الجبن على امتداد التأريخ- و فيما احسب- أن هزيمة مذحج بهذه السرعة و عدم تأكدها من سلامة زعيمها جاءت نتيجة اتفاق سرى بين زعماء مذحج و بين ابن زياد للقضاء على

---

(۱) فى رواية الطبرى: «ا يخلونى و عدوهم»

(۲) شريح القاضى ينتمى لاحدى بطون كندة جاء ذلك فى الكامل للمبرد (ص ۲۱).

(۳) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱، و جاء فى تهذيب التهذيب ۲/ ۳۵۱ ان هانئا قال لشريح: يا شريح اتق اللّه فانه قاتلى:

(۴) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۷۸

هانئ، و لو لا ذلك لنفرت مذحج حينما اخرج هانئ من السجن في وضح النهار، و نفذ فيه حكم الاعدام في سوق الحذائين.

و على أي حال فقد خلدت مذحج للذل، و رضيت بالهوان، و انبرى شاعر مجهول اخفى اسمه حذرا من نقمة الأمويين و بطشهم فرثى هانئا و ندد بأسرته محاولا بذلك أن يثير في نفوسهم روح العصبية القبلية ليثأروا لقتيلهم يقول:

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري‌إلى هانئ في السوق و أبن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجههو آخر يهوى من طمار قتيل «۱»

أصابهما أمر الأمير فأصبحاأحاديث من يسرى بكل سبيل «۲»

ترى جسدا قد غير الموت لونهو نضح دم قد سال كل مسيل

فتى كان أحيى من فتاة حييهو اقطع من ذي شفرتين صقيل

أ يركب اسماء الهماليج آمناو قد طلبته مذحج بذحول «۳»

---

(۱) الطمار: اسم لغرفة شيدت فوق قصر الامارة، و في اعلاها قتل مسلم بن عقيل، و رميت جثته إلى الأرض، و ما ذكره ابن ابى الحديد أن الطمار هو الجدار فليس بصحيح.

(۲) و في رواية «اصابهما بغي الامير»

(۳) الهماليج: جمع هملاج و هو نوع من البرذون، و الذحول: جمع ذحل الثأر

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۷۹ تطوف حواليه (مراد) و كلهمعلى رقبة من سائل و مسول

فان أنتم لم تثأروا بأخيكمفكونوا بغايا أرضيت بقليل «۱» و علق الدكتور يوسف خليف على هذه الأبيات بقوله: «و اللحن هنا تأثر عنيف، و التعبير فيه قوى صريح بل تصل فيه الصراحة الى درجة الجرأة، و شجع الشاعر على هذه الجرأة أنه كان في مأمن من بطش الأمويين لأنه استطاع أن يخفي اسمه، حتى أصبح شخصا مختلفا فيه عند بعض الرواة، و مجهولا تماما عند بعضهم، و هو في هذا اللحن لا يتحدث عن الحسين، و لا عن السياسة، و انما كل حرصه أن يثير روح العصبية القبلية في نفوس اليمنية ليثأروا لقتيلهم و هو- من أجل هذا- أغفل متعمدا من غير شك ذكر محمد بن الأشعث اليمني، و لم يذكر إلا أسماء بن خارجة الفزارى على أنه هو المسئول عن دم هانئ مع أن كليهما كان رسول ابن زياد إليه، و لكن الشاعر حرص على أن يغفل ذكر ابن الأشعث حتى لا يثير فتنة أو انقساما بين اليمنية، و هو في أشد الحاجة إلى أن يوحد صفوفهم حتى يدركوا ثأرهم، و اعتمد الشاعر في قصيدته على هذه الصورة المفزعة التي رسمها للقتيلين اللذين هشم السيف وجه أحدهما و القى بالآخر من أعلى القصر، و اللذين أصبحا أحاديث للناس في كل مكان. و هو حريص في هذه الصورة على أن يعرض للناس منظرين رهيبين يثيران في نفوسهم كل عواطف الحزن و السخط و الانتقام: منظر هذين الجسدين و قد

---

(۱) في مروج الذهب ۲/ ۷۰ انها لشاعر مجهول و كذلك في الأغاني ۱۳/ ۳۵، و في جمهرة الانساب (ص ۲۲۸) انها للاخطل، و في مقاتل الطالبين (ص ۱۰۸) انها لعبد اللّه بن الزبير الأسدي، و في الطبري انها للفرزدق، و في الأخبار الطوال (ص ۲۱۹) انها لعبد الرحمن ابن الزبير الأسدي و في لسان العرب ۶/ ۱۷۴ انها لسليم بن سلام الحنفي.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۸۰

غير الموت من لونهما، و هذا الدم الذي ينضح منهما و يسيل كل مسيل، ثم منظر اسماء بن خارجة و هو يحتال في طرقات الكوفة

على دوابه التى تتبختر به آمنا مطمئنا، و يسأل إلى متى سيظل هذا الرجل فى امنه و خيلائه و من حوله قبيلة القتيل تطالبه بالثأر، فلا يجد أشد من طعنها فى كرامتها، فيقول لهم ان لم تثأروا بقتيلكم فكونوا بغايا ببغى شرفهن بثمن بخس دراهم معدودات «۱».

لقد تنكرت مذحج لزعيمها الكبير فلم تف له حقوقه فتركته أسيرا بيد ابن مرجانة يمعن فى ارهاقه من دون أن تحرك ساكنا فى حين أنها كانت لها السيادة و السيطرة على الكوفة كما يرى ذلك فلهوزن

و على أى حال فقد كان لاعتقال هانئ الأثر الكبير فى ذيوع الفزع و الخوف فى نفوس الكوفيين مما أدى إلى تفرق الناس عن مسلم و اخفاق الثورة

ثورة مسلم:

و لما علم مسلم بما جرى على هانئ بادر لاعلان الثورة على ابن زياد لعلمه بأنه سيلقى نفس المصير الذى لاقاه هانئا، فاوعز إلى عبد اللّه بن حازم أن ينادى فى أصحابه و قد ملأ بهم الدور، فاجتمع إليه أربعة آلاف «۲»

---

(۱) حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة (ص ۴۶۳- ۴۶۴).

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱، المناقب لابن شهر اشوب ۵/ ۱۲۶ من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۱

أو اربعون الفا «۱» و هم ينادون بشعار المسلمين يوم بدر.

«يا منصور أمت» «۲».

و قام مسلم بتنظيم جيشه، و اسند القيادات العامة فى الجيش إلى من عرفوا بالولاء و الاخلاص لأهل البيت (ع) و هم:

۱- عبد اللّه بن عزيز الكندى: جعله على ربع كندة

۲- مسلم بن عوسجة: جعله على ربع مذحج

۳- أبو ثمامة الصائدى: جعله على ربع قبائل بنى تميم و همدان

۴- العباس بن جعدة الجدلى: جعله على ربع المدينة

و اتجه مسلم بجيشه نحو قصر الامارة فاحاطوا به «۳» و كان ابن زياد قد خرج من القصر ليخطب الناس على أثر اعتقاله لهانئ، فجاء إلى المسجد الأعظم فاعتلى أعواد المنبر، ثم التفت الى أصحابه فرآهم عن يمينه و شماله و فى ايديهم الأعمدة و قد شهروا سيوفهم للحفاظ عليه، فهدأ روعه و خاطب اهل الكوفة قائلا:

«أما بعد: يا اهل الكوفة فاعتصموا بطاعة اللّه و رسوله، و طاعة ائمتكم و لا تختلفوا، و لا تفرقوا فتهلكوا، و تذلوا، و تندموا، و تقهروا، فلا يجعلن احد على نفسه سبيلا و قد اعذر من انذر».

و ما أتم الطاغية خطابه حتى سمع الضجة و اصوات الناس قد علت فسأل عن ذلك فقيل له:

---

(۱) تهذيب التهذيب ۲/ ۳۵۱، تذهيب التهذيب ۱/ ۱۵۰ للذهبى من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين.

(۲) هذا الشعار فيه تحريض للجيش على الموت فى الحرب للتغلب على الأعداء، و فيه تفاؤل بالنصر.

(۳) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۲

«الحذر، الحذر، هذا مسلم بن عقيل قد اقبل فى جميع من بايعه.»

و اختطف الرعب لونه، و سرت الرعدة بجميع أوصاله فاسرع الجبان نحو القصر و هو يلهث من شدة الخوف، فدخل القصر، و اغلق عليه ابوابه «۱» و امتلأ المسجد و السوق من اصحاب مسلم، و ضاقت الدنيا على ابن زياد، و ايقن بالهلاك إذ لم تكن عنده قوة تحميه سوى ثلاثين رجلا من الشرط، و عشرين رجلا من الأشراف الذين هم من عملائه «۲»، و قد تزايد جيش مسلم حتى بلغ فيما يقول بعض المؤرخين ثمانية عشر الفا و قد نشروا الأعلام و شهروا السيوف، و قد ارتفعت اصواتهم بقذف ابن زياد و شتمه، و جرى بين اتباع ابن زياد و بين جيش مسلم قتال شديد كما نص على ذلك بعض المؤرخين.

و امعن الطاغية فى اقرب الوسائل التى تمكنه من انقاذ حكومته من الثورة فرأى ان لا طريق له سوى حرب الأعصاب و دعايات الارهاب فسلك ذلك.

حرب الاعصاب:

و اوعز الطاغية الى جماعة من وجوه اهل الكوفة ان يبادروا ببث الذعر و نشر الخوف بين الناس، و قد انتدب للقيام بهذه المهمة الذوات التالية:

۱- كثير بن شهاب الحارثى

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۱۵۴، الفتوح ۵/ ۸۵

(۲) تاريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۱

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۳

۲- القعقاع بن شور الذهلى

۳- شبث بن ربعى التميمى

۴- حجار بن ابجر

۵- شمر بن ذى الجوشن الضبابى «۱»

و انطلق هؤلاء الى صفوف جيش مسلم فاخذوا يشيعون الخوف، و يبثون الأراجيف فيهم و يظهرون لهم الاخلاص و الولاء خوفا عليهم من جيوش اهل الشام فكان ما قاله كثير بن شهاب:

«أيها الناس: الحقوا باهاليكم، و لا تعجلوا الشر، و لا تعرضوا انفسكم للقتل، فان هذه جنود امير المؤمنين- يعنى يزيد- قد اقبلت، و قد اعطى اللّه الأمير- يعنى ابن زياد- العهد لئن اقمتم على حربه، و لم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء، و يفرق مقاتلكم فى مغازى أهل الشام من غير طمع، و أن يأخذ البرىء بالسقيم، و الشاهد بالغائب، حتى لا تبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا ذاقها وبال ما جرت أيديها» «۲»

و كان هذا التهديد كالصاعقة على رءوس أهل الكوفة فقد كان يحمل الوانا قاسية من الارهاب و هى:

أ- التهديد بجيوش اهل الشام، فقد زحفت إليهم، و هى ستشيع فيهم القتل و التنكيل إن بقوا مصرين على المعصية و العناد.

ب- حرمانهم من العطاء: و قد كانت الكوفة حامية عسكرية تتلقى جميع مواردها الاقتصادية من الدولة.

ج- تجميرهم فى مغازى اهل الشام، و زجهم فى ساحات الحروب

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۲

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۰۸

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۴

د- انهم إذا اصروا على التمرد فان ابن زياد سيعلن الأحكام العرفية و يسوسهم بسياسة أبيه التى تحمل شارات الموت و الدمار حتى يقضى على جميع الوان الشغب و العصيان.

و قام بقية عملاء السلطة بنشر الارهاب و اذاعة الذعر، و كان من جملة ما اذاعوه بين الناس.

«يا اهل الكوفة: اتقوا اللّه، و لا تستعجلوا الفتنة، و لا تشقوا عصا هذه الأمة، و لا توردوا على انفسكم خيول الشام، فقد ذقتموها، و جربتم شوكتها ..».

أوبئة الفزع و الخوف:

و سرت أوبئة الخوف و الفزع فى نفوس الكوفيين، و انهارت اعصابهم و كأن الموت قد خيم عليهم، فجعل بعضهم يقول لبعض:

«ما نصنع بتعجيل الفتنة، و غدا تأتينا جموع أهل الشام، ينبغى لنا أن نقيم فى منازلنا، و ندع هؤلاء القوم حتى يصلح اللّه ذات بينهم» «۱»

و كانت المرأة تأتى ابنها او أخاها أو زوجها، و هى مصفرة الوجه من الخوف فتتوسل إليه قائلة:

«الناس يكفونك» «۲»

و كان الرجل يأتى الى ولده و أخيه فيملأ قلبه رعبا و خوفا، و قد نجح ابن زياد فى ذلك إلى حد بعيد فقد تغلب على الأحداث، و سيطر على الموقف سيطرة تامة و قد خلع الكوفيون ما كانوا يرتدونه من ثياب

---

(۱) الفتوح ۵/ ۸۷

(۲) تأريخ أبى الفداء ۱/ ۳۰۰، تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۲

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۵

التمرد على بنى أمية و لبسوا ثياب الذل و العبودية من جراء ذلك الإرهاب الهائل و القسوة فى الحكم فكانت الدماء تترقرق بين العمائم و اللحى.

هزيمة الجيش:

و منى جيش مسلم بهزيمة مخزية لم يحدث لها نظير فى جميع فترات التاريخ، فقد هزمته الدعايات المضللة من دون أن تكون فى قباله أية قوة عسكرية، و يقول المؤرخون: ان مسلما كلما انتهى الى زقاق انسل جماعة من اصحابه، و فروا منهزمين و هم يقولون:

«ما لنا و الدخول بين السلاطين!» «۱»

و لم يمض قليل من الوقت حتى انهزم معظمهم، و قد صلى بجماعة منهم صلاة العشاء فى الجامع الأعظم فكانوا يفرون فى أثناء الصلاة، و ما انهى ابن عقيل صلاته حتى انهزموا باجمعهم بما فيهم قادة جيشه، و لم يجد احدا يدله على الطريق، و بقى حيرانا لا يدرى إلى اين مسراه، و مولجه «۲» و كان قد أثخن بالجراح فيما يقوله بعض المؤرخين «۳» و قد أمسى طريدا مشردا لا مأوى يأوى إليه، و لا قلب يعطف عليه.

---

(۱) الدر المسلوك فى احوال الأنبياء و الأوصياء ۱/ ۱۰۸

(۲) مقامات الحريرى ۱/ ۱۹۲

(۳) الفتوح ۵/ ۸۷

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۸۶

في ضيافة طوعة:

و سار القائل العظيم سليل هاشم و فخر عدنان متلددا في أزقة الكوفة و شوارعها، و مضى هائما على وجهه في جهة كندة «۱» يلتمس دارا لينفق فيها بقية الليل، و قد خلت المدينة من المارة، و عادت كأنها واحة موحشة، فقد اسرع كل واحد من جيشه و اعوانه، الى داره، و اغلق عليه الأبواب مخافة ان تعرفه مباحث الأمن و عيون ابن زياد بانه كان مع ابن عقيل فتلقى عليه القبض.

و احاطت بمسلم تيارات مذهلة من الهموم، و كاد قلبه ان ينفجر من شدة الألم و عظيم الحزن، و قد هاله اجماع القوم على نكث بيعته و غدرهم به، و استبان له انه ليس في المصر رجل شريف يقوم بضيافته و حمايته أو يدله على الطريق، فقد كان لا يعرف مسالك البلد و طرقها .. و سار و هو حائر الفكر خائر القوى حتى انتهى الى سيدة يقال لها (طوعة) هي سيدة من في المصر رجالا و نساء بما تملكه من انسانية و نبل و كانت أمّ ولد للاشعث بن قيس اعتقها، فتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا «۲» و كانت السيدة واقفة على الباب تنتظر ابنها، و ترتقب طاوعه للأحداث الرهيبة التي حلت في المصر، و لما رآها مسلم بادر إليها، فسلم عليها فردت عليه السلام بتثاقل، و قالت له:

- ما حاجتك؟

---

(۱) الاخبار الطوال (ص ۲۴۰)

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۲، و في الفتوح ۵/ ۸۸ انها كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي، فتزوجها رجل من بعده من حضرموت يقال له أسد بن البطين، فاولدها ولدا يقال له أسد.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۳۸۷

- اسقني ماء

فبادرت إلى دارها، و جاءته بالماء، فشرب منه، ثم جلس فارتابت منه فقالت له:

- أ لم تشرب الماء؟

- بلى

- اذهب الى اهلك ان مجلسك مجلس ريبة «۱»

و سكت مسلم، فاعادت عليه القول بالانصراف و هو ساكت، و كررت عليه القول ثالثا فلم يجبها فذعرت منه، و صاحت به:

«سبحان اللّه!! إني لا احل لك الجلوس على بابي!»

و لما حرمت عليه الجلوس لم يجد بدا من الانصراف فقال لها بصوت خافت حزين النبرات:

«ليس لي في هذا المصر منزل و لا عشيرة، فهل لك الى اجر و معروف؟ و لعلي اكافئك بعد اليوم».

و شعرت المرأة بأن الرجل غريب، و انه على شأن كبير، و له مكانة عظمى يستطيع أن يجازيها على معروفها و احسانها فبادرته قائلة:

«ما ذاك؟»

فقال لها و عيناه تفيضان دموعا:

«أنا مسلم بن عقيل كذبني القوم و غروني»

فقالت المرأة في دهشة و اكبار:

«أنت مسلم بن عقيل»

«نعم» «۲»

---

(۱) تذهيب التهذيب ۱/ ۱۵۱ للذهبى

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۲

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۸

و انبرت السيدة بكل خضوع و تقدير فسمحت لضيفها الكبير بالدخول إلى منزلها، و قد حازت الشرف و المجد فقد آوت سليل هاشم، و سفير ريحانة رسول اللّه (ص) و أدخلته فى بيت فى دارها غير البيت الذى كانت تأوى إليه، و جاءته بالضياء و الطعام، فأبى أن يأكل، فقد مزق الأسى قلبه الشريف، و ايقن بالرزء القاصم، و تمثلت أمامه الأحداث الرهيبة التى سيواجهها، و كان اكثر ما يفكر به كتابه للحسين بالقدوم إلى الكوفة

و لم يمض قليل من الوقت حتى جاء بلال ابن السيدة طوعة، فرأى أمه تكثر الدخول و الخروج الى ذلك البيت لتقوم برعاية ضيفها، فانكر عليها ذلك، و استراب منه، فسالها عنه، فانكرته فالح عليها فاخبرته بالأمر بعد أن أخذت عليه العهود و المواثيق بكتمان الأمر .. و طارت نفس الخبيث فرحا و سرورا، و قد أنفق ليله ساهرا يترقب بفارغ الصبر انبثاق نور الصبح ليخبر السلطة بمقام مسلم عندهم .. و قد تنكر هذا الخبيث للاخلاق العربية التى تلزم بقرى الضيف و حمايته، فقد كان هذا الخلق سائدا حتى فى العصر الجاهلى .. و انا لنتخذ من هذه البادرة مقياسا عاما و شاملا لانهيار القيم الاخلاقية و الانسانية فى ذلك المجتمع الذى تنكر لجميع العادات و القيم العربية.

و على أى حال فقد طوى مسلم ليلته حزينا، قد ساورته الهموم، و توسد الارق، و كان فيما يقول المؤرخون قد قضى شطرا من الليل فى عبادة اللّه ما بين الصلاة و قراءة القرآن، و قد خفق فى بعض الليل فرأى عمه امير المؤمنين (ع) فاخبره بسرعة اللحاق به فايقن عند ذلك بدنو الأجل المحتوم منه.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۸۹

تأكد الطاغية من فشل الثورة:

و لما انهزمت جيوش أهل الكوفة، و ولت الأدبار تصحب معها العار و الخيانة، و قد خلا الجامع الأعظم منهم، فلم يطمئن الطاغية الجبان من ذلك، خوفا من أن يكون ذلك مكيدة و خديعة، فعهد الى اذنابه بالتأكد من انهزام جيش مسلم و أمرهم بان يشرفوا على ظلال المسجد لينتظروا هل كمن أحد من الثوار فيه؟ و اخذوا يدلون القناديل، و يشعلون النار فى القصب، و يدلونها بالحبال فتصل الى صحن الجامع، و فعلوا ذلك بالظلة التى فيها المنبر، فلم يروا انسانا، فاخبروه بذلك، فاطمئن بفشل الثورة و ايقن بالقضاء عليها «۱».

اعلان حالة الطوارئ:

و أعلن الطاغية فى الصباح الباكر حالة الطوارئ فى جميع انحاء المصر و قد شدد على المدير العام لشرطته الحصين بن تميم بتنفيذ ما يلى:

أ- تفتيش جميع الدور و المنازل فى الكوفة تفتيشا دقيقا للبحث عن مسلم.

ب- الاحاطة بالطرق و السكك لئلا يهرب منها مسلم.

ج- الاعتقالات الواسعة لجميع المؤيدين للثورة، و قد القت الشرطة القبض على هؤلاء:

۱- عبد الأعلى بن يزيد الكلبى

۲- عمارة بن صلخب الازدى

---

(۱) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۰۹- ۲۱۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۰

۳- عبد اللّه بن نوفل بن الحارث

۴- المختار الثقفى

۵- الاصبغ بن نباتة

۶- الحارث الأعور الهمدانى «۱»

راية الأمان:

و اوعز الطاغية الى محمد بن الأشعث أن يرفع راية الأمان، و يعلن الى الملأ ان من انضم إليها كان آمنا، و لعل اسباب ذلك ما يلى:

۱- التعرف على العناصر الموالية لمسلم لالقاء القبض عليها

۲- اعلان الانتصار و القضاء على الثورة

۳- شل حركة المقاومة، و اظهار سيطرة الدولة على جميع الأوضاع فى البلاد.

و رفعت راية الأمان فسارع الكوفيون الذين كانوا مع مسلم الى الانضمام إليها لنفى التهمة و اظهار اخلاصهم للحكم القائم آنذاك

اشتباه:

و من الغريب ما ذكره ابن قتيبة «۲» و الحر العاملى «۳» من أن مسلما كان فى بيت المختار ثم خرج لحرب ابن زياد، و بعد فشل ثورته التجأ

---

(۱) انساب الأشراف ۵/ ۳۱۴

(۲) الامامة و السياسة ۲/ ۴

(۳) الدر المسلوك ۱/ ۱۰۸

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۱

الى بيت هانئ، فاجاره هانئ، و قال له: ان ابن زياد يدخل دارى فاضرب عنقه، فامتنع مسلم من الفتك به، و قام ابن زياد باعتقال هانئ ثم أرسل شرطه لالقاء القبض على مسلم فقاتلهم حتى ضعف عن المقاومة فوقع اسيرا بأيديهم، و هذا الذى أفاداه لم يذهب إليه احد من المؤرخين فان تفصيل الحادثة حسب ما ذكرناه، و ما عداه فهو من الأقوال الشاذة التى نشأت من قلة التتبع.

خطبة ابن زياد:

و لما ايقن الطاغية بفشل ثورة مسلم، و تفلل قواته المسلحة أمر بجمع الناس فى الجامع، فتوافدت الجماهير، و قد خيم عليها الذعر و الخوف فجاء الطاغية، و هو يرعد و يبرق و يتهدد و يتوعد فصعد المنبر، فقال:

«أيها الناس: ان مسلما بن عقيل أتى هذه البلاد، و أظهر العناد، و شق العصا، و قد برئت الذمة من رجل اصبناه فى داره .. و من جاء به فله ديته، اتقوا اللّه عباد اللّه، و الزموا طاعتكم و بيعتكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، و من أتانى بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف

درهم، و المنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية، و له فى كل يوم حاجة مقضية» «۱».

و حفل هذا الخطاب بالقسوة و الصرامة و فيه هذه النقاط التالية:

أ- الحكم بالاعدام على كل من آوى مسلما مهما كانت لذلك الشخص من مكانة اجتماعية فى المصر.

ب- إن دية مسلم تكون لمن جاء به

ج- ان من ظفر بمسلم تمنحه السلطة عشرة آلاف درهم

---

(۱) الفتوح ۴/ ۹۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۲

د- ان من يأتى به يكون من المقربين عند يزيد، و ينال ثقته

ه- تكافىء السلطة من جاء به بقضاء حاجة له فى كل يوم

و تمنى اكثر اولئك الاوغاد الظفر بمسلم لينالوا المكافأة من ابن مرجانة و التقرب الى يزيد بن معاوية.

الافشاء بمسلم:

و طالت تلك الليلة على بلال ابن السيدة الكريمة طوعة التى آوت مسلما، فقد ظل يترقب بفارغ الصبر طلوع الصبح ليخبر السلطة بمقام مسلم عندهم، و لم يرقد تلك الليلة من الفرح و السرور، فقد تمت- فيما يحسب- بوارق آماله و احلامه، و لما طلع الصبح بادر الى القصر بحالة تلفت النظر إليها من الدهشة، فقصد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، و هو من الأسرة الخبيثة التى لا عهد لها بالشرف و المروءة فساره، و اعلمه بمكان مسلم عنده، فأمره عبد الرحمن بالسكوت لئلا يسمع غيره فيبادر باخبار ابن زياد فينال الجائزة منه، و اسرع عبد الرحمن الى أبيه محمد بن الأشعث، فاخبره بالأمر، و فطن ابن زياد الى خطورة الأمر فبادر يسأل ابن الأشعث قائلا:

- ما قال لك: عبد الرحمن؟

- أصلح اللّه الأمير البشارة العظمى!!

- ما ذاك؟ مثلك من بشر بخير

- ان ابنى هذا يخبرنى أن مسلما بن عقيل فى دار طوعة

و سر ابنى هذا يخبرنى أن مسلما بن عقيل فى دار طوعة

و سر ابن زياد، و لم يملك أهابه من الفرح، فانبرى يمنى ابن الأشعث بالمال و الجاه قائلا:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۳

«قم فأتنى به، و لك ما أردت من الجائزة و الحظ الأوفى».

لقد تمكن ابن مرجانة من الظفر بسليل هاشم ليجعله قربانا الى أمويته اللصيقة التى نحر فى سبيلها هو و ابوه جميع القيم الانسانية، و استباحا كل ما حرمه اللّه من اثم و فساد.

الهجوم على مسلم:

و ندب الطاغية لحرب مسلم عمرو بن حريث المخزومى صاحب شرطته و محمدا بن الأشعث «۱» و ضم إليهما ثلاثمائة رجل من صناديد الكوفة و فرسانها، و اقبلت تلك الوحوش الكاسرة لحرب القائد العظيم الذى أراد أن يحررها من الذل و العبودية، و ينقذها من الظلم و الجور .. و لما سمع وقع حوافر الخيل و زعقات الرجال علم أنه قد أتى إليه فبادر الى فرسه فأسرجه و الجمه وصب عليه

درعه، و تقلد سيفه، و التفت الى السيدة الكريمة طوعة فشكرها على ضيافتها، و أخبرها أنه انما أتى إليه من قبل ابنها الباغى اللئيم قائلا:

«رحمك اللّه، و جزاك عنى خيرا ... اعلمى انما أتيت من قبل ابنك ..» «۲».

و اقتحم الجيش عليه الدار فشد عليهم يضربهم بسيفه، ففروا منهزمين، ثم عادوا إليه فاخرجهم منها و انطلق نحوهم فى السكة شاهرا سيفه لم يختلج فى قلبه خوف و لا رعب، فجعل يحصد رءوسهم بسيفه و قد أبدى من البطولات النادرة ما لم يشاهد لها التأريخ نظيرا فى جميع

---

(۱) تذهيب التهذيب ۱/ ۱۵۱.

(۲) الفتوح ۵/ ۹۲- ۹۳

عمليات الحروب، و كان يقاتلهم و هو يرتجز:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانعفأنت بكأس الموت لا شك جارع

فصبرا لأمر اللّه جلّ جلالهفحكم قضاء اللّه فى الخلق ذايع «۱» و ابدى سليل هاشم من الشجاعة و قوة البأس ما حير الألباب، و ابهر العقول، فقد قتل منهم فيما يقول بعض المؤرخين واحدا و أربعين رجلا «۲» ما عدا الجرحى، و كان من قوته النادرة أنه يأخذ الرجل بيده و يرمى به من فوق البيت «۳» و ليس فى تأريخ الانسانية مثل هذه البطولة، و لا مثل هذه القوة و ليس هذا غريبا عليه فعمه على بن أبى طالب اشجع الناس و اقواهم بأسا، و اشدهم عزيمة.

و استعمل معه الجبناء من انذال اهل الكوفة الوانا قاسية و شاذة من الحرب فقد اعتلوا سطوح بيوتهم، و جعلوا يرمونه بالحجارة و قذائف النار «۴» و لو كانت فى ميدان فسيح لأتى عليهم و لكنها كانت فى الأزقة و الشوارع.

فشل الجيوش:

و فشلت جيوش أهل الكوفة، و عجزت عن مقاومة البطل العظيم فقد اشاع فيهم القتل، و الحق بهم خسائر فادحة و أسرع الخائن الجبان

۱- ۲ مناقب ابن شهر اشوب ۲/ ۲۱۲

۳ الدر النضيد (ص ۱۶۴) نفس المهموم (ص ۵۷)

۴ المحاسن و المساوئ للبيهقى ۱/ ۴۳

محمد بن الأشعث يطلب من سيده ابن مرجانة أن يمده بالخيل و الرجال فقد عجز عن مقاومة مسلم، و لامه الطاغية قائلا:

«سبحان اللّه!! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به، فثلم فى اصحابك هذه الثلمة العظيمة» «۱».

و ثقل هذا التقريع على ابن الأشعث، فراح يشيد بابن عقيل قائلا! «أ تظن أنك أرسلتنى إلى بقال من بقالى الكوفة أو جرمقانى من جرامقة «۲» الحيرة «۳» و انما بعثتنى الى أسد ضرغام و سيف حسام فى كف بطل همام من آل خير الأنام» «۴».

و أمده ابن زياد بقوى مكثفة من الجيش، فجعل البطل العظيم يقاتل وحده و هو يرتجز:

أقسمت لا اقتل إلا حرا و إن رأيت الموت شيئا نكرا

أو يخلط البارد سخنا مرارد شعاع الشمس فاستقرا

كل امرئ يوما يلاقى شراأخاف أن اكذب او اغرا «۵» لقد كنت يا بن عقيل سيد الأحرار، فقد رفعت لواء العزة و الكرامة و رفعت شعار الحرية و الإباء، و اما خصومك الحقراء فهم العبيد الذين رضوا بالذل و الهوان ... و حلل الدكتور يوسف خليف هذا الرجز بقوله: «هو رجز- من الناحية النفسية- صادق كل الصدق، معبرا

---

(۱) الفتوح ۵/ ۶۳

(۲) الجرامقة: قوم من العجم صاروا الى الموصل

(۳) مقتل الحسين للمقرم (ص ۱۸۰)

(۴) الفتوح ۵/ ۹۳

(۵) تاريخ الطبرى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۶

تعبيرا دقيقا عن الموجات النفسية التى كانت تندفع فى نفس الشاعر، و هو فى موقفه الضيق الحرج، فهو قبل كل شىء مصمم على أن يحتفظ بحريته و لو أدى هذا الى قتله، و هو يعلن فى صراحة و صدق أن الموت شىء منكر و لا- يقول هذا كما يقوله غيره ممن يغالطون أنفسهم أن الموت شىء محبب الى نفسه، و انما يعبر عن نفسيته تعبيرا صادقا، فالموت شىء لا يحبه، و لكنه لا يفر منه ما دام قد صمم على الاحتفاظ بحريته. ثم يحاول أن يهدىء من روعه، و يجعل هذه الموجة العالية الرهيبة تنحسر عن نفسه دون أن يجذبها فى تيارات من الهلع و الفزع، فيحدث عن نفسه بان الدنيا متقلبة، و كل امرئ فيها لا بد أن يلاقى ما يسوؤه، و هو يعرض هذا الحديث النفسى فى صورة فنية رائعة.

و أضاف يقول: انه حريص على الحياة، و لكنه حريص على الحرية يجعله مترددا لأنه يخشى- بل يخاف- أن يكذب عليه اعداؤه او يخدعوه فيقتلوه دون محاولة منه لتنفيذ عهده بأن يموت فى سبيل حريته، أو يأسروه فيفقد حريته التى يحرص عليها حرصه على الحياة. أ رأيت كيف استطاع أن يصور موقفه الضيق الحرج هذا التصوير الفنى الرائع الذى يشمل روعته من تعبيره عن نفسيته تعبيرا صادقا لا رياء فيه و لا تضليل؟ ان هذا هو السر الذى يجعل هذه الشطور القليلة تؤثر فى نفوسنا تأثيرا يجعلنا نشعر بما كان يعانيه قائلها من صراع داخلى هائل لا يعد له الا صراعه الخارجى مع أعدائه» «۱».

---

(۱) حياة الشعر فى الكوفة (ص ۳۷۱- ۳۷۲)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۷

أمان ابن الاشعث:

و لما سمع محمد بن الأشعث رجز مسلم الذى أقسم فيه أن يموت ميتة الأحرار، و أن لا يخدع و لا يغر انبرى إليه قائلا: «انك لا تكذب و لا تخدع ان القوم بنو عمك و ليسوا بقاتليك و لا ضاربك» «۱».

فلم يعتن به مسلم، و انما مضى يقاتلهم أعنف القتال و أشده، ففروا منهزمين من بين يديه، و اعتلوا فوق بيوتهم يرمونه بالحجارة، فانكر عليهم مسلم ذلك قائلا:

«ويلكم!! ما لكم ترمونني بالحجارة، كما ترمى الكفار!! و أنا من أهل بيت الأبرار، ويلكم أ ما ترعون حق رسول اللّه (ص) و ذريته ..».

و لم يستطيعوا مقابلته و جبنوا عن مقاتلته، و ضاق بابن الأشعث أمره فصاح بالجيش: ذروه حتى أكلمه، و دنا منه، فخاطبه:

«يا بن عقيل، لا تقتل نفسك، أنت آمن، و دمك فى عنقى»

و لم يحفل به مسلم فانه على علم بأن الأشعث لم يمر فى تأريخه و لا فى تأريخ أسرته أى معنى من معانى الشرف و النبل و الوفاء، فاندفع يقول له:

«يا بن الأشعث، لا أعطى بيدى أبدا، و أنا أقدر على القتال، و اللّه لا كان ذلك أبدا.».

و حمل مسلم على ابن الأشعث ففر الجبان يلهث كانه الكلب، و أخذ العطش القاسى من مسلم مأخذا عظيما فجعل يقول:

«اللهم ان العطش قد بلغ منى».

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۳

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۸

و تكاثرت الجنود عليه الا انها منيت بالذعر و الجبن، و صاح بهم ابن الأشعث:

«إن هذا هو العار و الفشل ان تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع احملوا عليه باجمعكم حملة واحدة» «۱».

و حملوا عليه حملة واحدة فضربه بكير بن حمران الأحمرى ضربة منكرة على شفته العليا، و أسرع السيف الى السفلى، و ضربه مسلم ضربة أردته الى الأرض.

أسره:

و بعد ما أثخن مسلم بالجراح، و اعياه نزيف الدم، انهارت قواه، و ضعف عن المقاومة فوقع أسيرا بأيدى اولئك الأوغاد، فتسابقوا الى ابن زياد يحملون له البشرى بأسرهم للقائد العظيم الذى جاء ليحررهم من الذل و العبودية، و قد طار الطاغية فرحا، فقد ظفر بخصمه، و تم له القضاء على الثوره ... أما كيفية أسره فقد اختلفت فيها أقوال المؤرخين، و هذه بعضها:

۱- ما ذكره ابن اعثم الكوفى أن مسلما وقف ليستريح مما ألمّ. به من الجروح، فطعنه من خلفه رجل من أهل الكوفة طعنة غادرة فسقط إلى الأرض فأسرعوا الى أسره «۲»

۲- ما ذكره الشيخ المفيد ان مسلما لما اثخن بالحجارة و عجز عن القتال اسند ظهره الى جنب دار فقال له ابن الأشعث: لك الأمان:

---

(۱) الفتوح ۵/ ۹۴- ۹۵

(۲) الفتوح ۵/ ۵۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۳۹۹

فقال مسلم: أ أمن؟ قال: نعم، فقال للقوم الذين معه: إلى الأمان؟ قالوا نعم: إلا عبيد اللّه بن العباس السلمى فانه قال: لا ناقة لى فى هذا و لا جمل، و تنحى، فقال مسلم: أما لو لم تؤمنونى ما وضعت يدى فى أيديكم، و أتى ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا حوله، و انتزعوا سيفه فكأنه عند ذلك أيس، فقال: هذا أول الغدر «۱».

۳- ما ذكره ابو مخنف انهم عملوا له حفيرة و ستروها بالتراب، ثم انكشفوا بين يديه، فحمل عليهم فانكشفوا بين يديه، فلما انتهى إليها سقط فيها فازدحموا عليه و أسروه «۲» و هذا القول لم يذهب إليه غير أبى مخنف.

مع عبيد اللّه السلمى:

و لم يفكر مسلم فى تلك الساعة الحرجة بما سيعانيه من القتل و التنكيل على يد الطاغية ابن مرجانة، و انما شغل فكره ما كتبه للامام الحسين بالقدوم الى هذا المصر، فقد أيقن أنه سيلاقى نفس المصير الذى لاقاه، فدمعت عيناه، و ظن عبيد اللّه بن العباس السلمى أنه

يبكى لما صار إليه، من الأسر، فانكر عليه ذلك و قال له:

«ان من يطلب مثل الذى تطلب، إذا نزل به مثل الذى نزل بك لم يبك ..».

فرد عليه مسلم ما توهمه فيه قائلا:

---

(۱) الارشاد (ص ۲۳۸) تأريخ ابن الاثير ۳/ ۲۷۳

(۲) مقتل أبى مخنف مخطوط بمكتبة السيد محمد سعيد ثابت فى كربلا، و ذكر ذلك الطريحى فى المنتخب (ص ۲۹۹).

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۰

«إنى و اللّه ما لنفسى بكيت، و لا لها من القتل ارثى، و إن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا، و لكن أبكى لأهلى المقبلين ... أبكى لحسين ..» «۱».

و ازدحمت الشوارع و الأزقة بالجماهير الحاشدة لتنظر ما يئول إليه أمر القائد العظيم و ما سيلاقيه من الأمويين، و لم يستطع أحد منهم أن ينبس ببنت شفة حذرا من السلطة العاتية.

مع الباهلى:

و جىء بمسلم أسيرا تحف به الشرطة و قد شهرت عليه السيوف، فلما انتهى به إلى قصر الامارة رأى جرة فيها ماء بارد، و قد أخذ العطش منه مأخذا أليما، فالتفت إلى من حوله قائلا:

«اسقونى من هذا الماء»

فانبرى إليه اللئيم الدنس مسلم بن عمرو الباهلى فقال له:

«أ تراها ما أبردها؟ و اللّه لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم فى نار جهنم.»

و لا حد لظلم الانسان، و لا منتهى لوحشيته و جفائه، فما يضر اولئك الجفاة لو سقوه الماء و هو أسير بين أيديهم لا يملك من أمره شيئا، و كان هذا السمت من التردى و سقوط الاخلاق قد عرف به جميع السفلة الساقطين من قتلة المصلحين .. فانبرى مسلم فاراد التعرف على هذا الانسان الممسوخ الذى تنكر لأبسط القيم الانسانية قائلا له:

«من أنت؟»

---

(۱) الارشاد (ص ۲۳۸)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۱

فاجابه مفتخرا بأنه من عملاء السلطة الأموية و اذنابها قائلا:

«أنا من عرف الحق إذ تركته، و نصح الأمة، و الامام إذ غششته و سمع و أطاع اذ عصيته .. أنا مسلم بن عمرو»،

أى حق عرفه الباهلى؟ و أى نصيحة أسداها للأمة هذا الجلف الجافى؟ الذى ارتطم فى الباطل و ماج فى الضلال لقد كان منتهى ما يفخر به تماديه فى خدمة ابن مرجانة الذى هو صفحة عار و خزى على الانسانية فى جميع مراحل التأريخ و رد عليه مسلم بمنطقه الفياض قائلا:

«لأمك الثكل، ما أجفاك و أفظك و اقسى قلبك و اغلظك؟!! أنت يا بن باهلة أولى بالحميم و الخلود فى نار جهنم منى».

و استحبا عمارة بن عقبة «۱» من جفوة الباهلى و قسوته، فدعا بماء بارد، فصبه فى قدح فأخذ مسلم كلما أراد أن يشرب يمتلئ القدح دما و فعل ذلك ثلاثا فقال و قد ذاب قلبه من الظمأ.

«لو كان من الرزق المقسوم لشربته» «۲».

و هكذا شاءت المقادير أن يحرم من الماء و يموت ظامئا، كما حرم من الماء ابن عمه ريحانة الرسول (ص) و سيد شباب أهل الجنة.

مع ابن زياد:

و كان من أعظم ما رزىء به مسلم ان يدخل اسيرا على الدعى ابن مرجانة، فقد ود أن الأرض وارته، و لا يمثل أمامه و قد شاءت المقادير

---

(۱) فى الارشاد (ص ۲۳۹) و بعث عمرو بن حريث غلاما له فجاء بقلة عليها منديل و قدح فصب فيه ماء، و قال له: اشرب

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۳.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۲

ان يدخل عليه و قد دخل تحف به الشرطة، فلم يحفل البطل بابن زياد و لم يعن به فسلم على الناس و لم يسلم عليه، فانكر عليه الحرسى و هو من صعاليك الكوفة قائلا:

«هلا تسلم على الأمير؟»

فصاح به مسلم محتقرا له و لأميره:

«اسكت لا أم لك، مالك و الكلام، و اللّه ليس لى بأمير فأسلم عليه»

و كيف يكون ابن مرجانة أميرا على مسلم سيد الأحرار، واحد المستشهدين فى سبيل الكرامة الانسانية، انما هو أمير على اولئك الممسوخين الذين لم يألفوا الا الخنوع و الذل و العار.

و التاع الطاغية من احتقار مسلم له، و تبدد جبروته، فصاح به:

«لا عليك سلمت أم لم تسلم فانك مقتول»

و لم يملك الطاغية سوى سفك الدم الحرام، و حسب أن ذلك يخيف مسلما او يوجب انهياره و خضوعه له، فانبرى إليه بطل عدنان قائلا بكل ثقة و اعتزاز بالنفس.

«إن قتلتنى فقد قتل من هو شر منك من كان خيرا منى»

و لذعه هذا الكلام الصارم، و اطاح بغلوائه، فقد الحقه مسلم بالجلادين و السفاكين من قتلة الأحرار و المصلحين، و اندفع الطاغية يصبح بمسلم:

«يا شاق، يا عاق خرجت على امام زمانك، و شققت عصا المسلمين و القحت الفتنة ..».

أى امام خرج عليه مسلم و أى عصا للمسلمين شقها، و أى فتنة القحها؟ انما خرج على قرين الفهود و القرود لقد خرج لينقذ الأمة من محنتها ايام ذلك الحكم الأسود، و انبرى مسلم يرد عليه قائلا:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۳

«و اللّه ما كان معاوية خليفة باجماع الأمة، بل تغلب على وصى النبى (ص) بالحيلة، و أخذ منه الخلافة بالغصب، و كذلك ابنه يزيد ..

و أما الفتنة فانما القحتها أنت و أبوك زياد من بنى علاج.

و أنا ارجو أن يرزقنى اللّه الشهادة على يد شر بريته، فو اللّه ما خالفت و لا كفرت و لا بدلت، و انما أنا فى طاعة أمير المؤمنين الحسين بن على و نحن أولى بالخلافة من معاوية و ابنه و آل زياد».

و كانت هذه الكلمات أشد على ابن مرجانة من الموت، فقد كشفت واقعه أمام شرطته و عملائه، و جردته من كل نزعة انسانية، و

ابرزته كأحقر مخلوق على وجه الأرض، و لم يجد الدعى وسيلة يلجأ إليها سوى الافتعالات الكاذبة التى هى بضاعته و بضاعة ابيه زياد من قبل، فأخذ يتهم مسلما بما هو برىء منه قائلا:

«يا فاسق أ لم تكن تشرب الخمر فى المدينة؟»

فصاح به مسلم:

«احق و اللّه بشرب الخمر من يقتل النفس المحرمة، و هو يلهو و يلعب كأنه لم يسمع شيئا».

و استرد الطاغية تفكيره فرأى ان هذه الاكاذيب لا تجديه شيئا فراح يقول له

- منتك نفسك امرا حال اللّه بينك و بينه و جعله لأهله

فقال مسلم باستهزاء و سخرية:

- من اهله؟

- يزيد من معاوية

- الحمد للّه كفى باللّه حاكما بيننا و بينكم

- أ نظن ان لك من الأمر شيئا؟

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۴

- لا و اللّه ما هو الظن و لكنه اليقين

- قتلنى اللّه إن لم اقتلك

- انك لا تدع سوء القتلة، و قبح المثلة، و خبث السريرة، و اللّه لو كان معى عشرة ممن أثق بهم، و قدرت على شربة ماء لطال عليك أن ترانى فى هذا القصر، و لكن ان كنت عزمت على قتلى فاقم لى رجلا- من قريش أوصى له بما أريد «۱» و سمح له الطاغية بأن يوصى بما أهمه.

وصية مسلم:

و نظر مسلم فى مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد فأحب أن يعهد إليه بوصيته فقال له:

«لا أرى فى المجلس قرشيا غيرك «۲» ولى إليك حاجة و هى سر ..» «۳».

و استشاط ابن زياد غضبا حيث نفاه مسلم من قريش، و ابطل استلحاقه ببنى أمية فقد أبطل ذلك النسب اللصيق الذى ثبت بشهادة ابى مريم الخمار و لم يستطع أن يقول ابن زياد شيئا.

و امتنع ابن سعد من الاستجابة لمسلم إرضاء لعواطف سيده ابن مرجانة، و كسبا لمودته، و قد لمس ابن زياد خوره و خنوعه فأسرها فى نفسه

---

(۱) الفتوح ۵/ ۹۷- ۹۹

(۲) جواهر المطالب فى مناقب الامام على بن أبى طالب (ص ۱۳۴)

(۳) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۴، الارشاد (ص ۲۳۹)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۵

و رأى انه خليق بأن يرشحه لقيادة قواته المسلحة التى يزج بها لحرب ريحانة رسول اللّه (ص).

و أمر ابن زياد عمر بن سعد بأن يقوم مع مسلم ليعهد إليه بوصيته، و قام ابن سعد معه فاوصاه مسلم بما يلى:

۱- ان عليه دينا بالكوفة يبلغ سبعمائة درهم، فيبيع سيفه و درعه ليوفيها عنه «۱» و قد دل ذلك على شدة احتياطه و تحرجه فى دينه، كما اوصى أن يعطى لطوعة ما يفضل من وفاء دينه.

۲- أن يستوهب جثته من ابن زياد فيواريها «۲» و ذلك لعلمه بخبث الأمويين، و انهم لا يتركون المثلة.

۳- ان يكتب للحسين بخبره «۳» فقد شغله أمره لأنه كتب إليه بالقدوم إلى الكوفة و أقبل ابن سعد يلهث على ابن زياد فقال له:

«أ تدرى أيها الأمير ما قال لى؟ انه قال كذا و كذا» «۴».

و انكر عليه ابن زياد ابداءه السر فقال:

«لا يخونك الأمين، و لكن قد يؤتمن الخائن، أما ماله فهو لك تصنع به ما شئت، و أما الحسين فان لم يردنا لم نرده، و إن أرادنا لم نكف عنه، و أما جثته فانا لن نشفعك فيها» «۵».

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۴، و فى الطبرى ۶/ ۲۱۲ ان على ستمائة درهم، و فى الأخبار الطوال (ص ۲۴۱) ان على الف درهم.

(۲) تأريخ الطبرى ۶/ ۲۱۲

(۳) الارشاد (ص ۲۳۹)

(۴) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۴

(۵) و فى الارشاد (ص ۲۳۹) اما جثته فانا لا نبالى اذا قتلناه ما صنع بها.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۶

لقد ترك الطاغية شفاعة ابن سعد فى جثة مسلم فقد عزم على التمثيل بها للتشفى منه، و ليتخذ من ذلك وسيلة لارهاب الناس و خوفهم.

الطاغية مع مسلم:

و صاح ابن مرجانة بمسلم فقال له: «بما ذا اتيت إلى هذا البلد؟

شتت أمرهم، و فرقت كلمتهم، و رميت بعضهم على بعض» و انطلق فخر هاشم قائلا بكل ثقة و اعتزاز بالنفس:

«لست لذلك أتيت هذا البلد، و لكنكم اظهرتم المنكر، و دفنتم المعروف، و تأمرتم على الناس من غير رضى، و حملتموهم على غير ما أمركم اللّه به، و عملتم فيهم باعمال كسرى و قيصر، فاتيناهم لنأمر بالمعروف، و ننهى عن المنكر، و ندعوهم الى حكم الكتاب و السنة، و كنا اهلا لذلك فانه لم تزل الخلافة لنا منذ قتل امير المؤمنين على بن أبى طالب، و لا تزال الخلافة لنا فانا قهرنا عليها ... انكم اول من خرج على امام هدى، و شق عصا المسلمين، و اخذ هذا الأمر غصبا، و نازع أهله بالظلم و العدوان ..» «۱».

و أدلى مسلم بهذا الحديث عن أسباب الثورة التى اعلنها الامام الحسين على الحكم الأموى، و قد التاع الطاغية من كلام مسلم، و تبددت نشوة ظفره، فلم يجد مسلكا ينفذ منه لاطفاء غضبه سوى السب للعترة الطاهرة فأخذ يسب عليا و الحسن و الحسين، و ثار مسلم فى وجهه فقال له:

«أنت و أبوك أحق بالشتم منهم، فاقض ما أنت قاض، فنحن

---

(۱) الفتوح ۵/ ۱۰۱.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۷

أهل بيت موكل بنا البلاء» «۱».

لقد ظل مسلم حتى الرمق الأخير من حياته عالى الهمة، و جابه الأخطار ببأس شديد، فكان فى دفاعه و منطقه مع ابن مرجانة مثالا للبطولات النادرة.

الى الرفيق الأعلى:

و آن للقائد العظيم أن ينتقل عن هذه الحياة بعد ما أدى رسالته بامانة و اخلاص، و قد رزق الشهادة على يد الممسوخ القذر ابن مرجانة فندب لقتله بكيرا بن حمران الذى ضربه مسلم، فقال له:

«خذ مسلما، و اصعد به إلى أعلى القصر، و اضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك».

و التفت مسلم إلى ابن الأشعث الذى أعطاه الأمان فقال له: «يا ابن الأشعث أما و اللّه لو لا انك آمنتنى ما استسلمت، قم بسيفك دونى فقد اخفرت ذمتك» فلم يحفل به ابن الأشعث «۲».

و استقبل مسلم الموت بثغر باسم، فصعد به إلى اعلى القصر و هو يسبح اللّه و يستغفره بكل طمأنينة و رضا و هو يقول:

«اللهم احكم بيننا و بين قوم غرونا، و خذلونا» «۳».

و أشرف به الجلاد على موضع الحذائين فضرب عنقه، و رمى برأسه

---

(۱) الفتوح ۵/ ۱۰۲ و فى تأريخ ابن الأثير، و الارشاد ان مسلما لم يكلم ابن زياد بعد شتمه له.

(۲) الطبرى ۶/ ۲۱۳

(۳) الفتوح ۵/ ۱۰۳

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۸

و جسده إلى الأرض «۱» و هكذا انتهت حياة هذا البطل العظيم الذى يحمل نزعات عمه أمير المؤمنين (ع) و مثل ابن عمه الحسين و قد استشهد دفاعا عن الحق و دفاعا عن حقوق المظلومين و المضطهدين

و نزل القائل الأتيم فاستقبله ابن زياد فقال له:

«ما كان يقول: و أنتم تصعدون به؟»

«كان يسبح اللّه، و يستغفره، فلما أردت قتله قلت له: الحمد للّه الذى أمكننى منك و اقادنى منك فضربته ضربة لم تغن شيئا فقال لى: أ ما ترى فىّ خدشا تخدشنيه، وفاء من دمك أيها العبد».

فبهر ابن زياد و راح يبدى اعجابه و اكباره له قائلا.

«او فخرا عند الموت!!» «۲»

و قد انطوت بقتل مسلم صفحة مشرقة من اروع صفحات العقيدة و الجهاد فى الاسلام، فقد استشهد فى سبيل العدالة الاجتماعية، و من اجل انقاذ الأمة و تحريرها من الظلم و الجور، و هو اول شهيد من الأسرة النبوية يقتل علنا امام المسلمين، و لم يقوموا بحمايته و الذب عنه.

سلبه:

و انبرى سليل الخيانة محمد بن الأشعث «۳» الى سلب مسلم، فسلب

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۹

(۲) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۲۷۴

(۳) الأشعث بن قيس: انما سمى بالأشعث لشعوثة رأسه، و اسمه سعد بن كرب هلك بعد مقتل الامام امير المؤمنين (ع) باربعين ليلة و كان عمره ۶۳ سنة، جاء ذلك فى تأريخ الصحابة (ص ۵) أما محمد بن الأشعث فأمه أمّ فروة اخت ابى بكر لأبيه جاء ذلك فى الرياض المستطاب (ص ۸)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۰۹

سيفه و درعه، و هو غير حافل بالعار و الخزى، و قد تعرض للنقد اللاذع من جميع الأوساط فى الكوفة، و يقول بعض الشعراء فى هجائه:

و تركت ابن عمك ان تقاتل دونهفشلا و لو لا أنت كان منيعا

و قتلت وافد آل بيت محمدو سلبت اسيافا له و دروعا «۱» و عمد بعض اجلاف اهل الكوفة فسلبوا رداء مسلم و ثيابه.

تنفيذ الاعدام فى هانئ:

و أمر الطاغية باعدام الزعيم الكبير هانئ بن عروة، و الحاقه بمسلم مبالغة فى اذلال زعماء الكوفة و اذاعة للذعر و الخوف بين الناس، و قام محمد بن الأشعث فتشفع فيه خوفا من بطش اسرته قائلا:

«اصلح اللّه الأمير إنك قد عرفت شرفه فى عشيرته «۲» و قد عرف قومه أنى و اسماء بن خارجة جئنا به إليك، فأنشدك اللّه أيها الأمير لما وهبته لى، فانى أخاف عداوة أهل بيته، و انهم سادات أهل الكوفة و اكثرهم عددا ..».

فلم يحفل به ابن زياد، و انما زبره و صاح به فسكت العبد، و اخرج البطل الى السوق فى موضع تباع فيه الأغنام مبالغة فى اذلاله، و لما علم أنه ملاق حتفه جعل يستنجد باسرته، و قد رفع عقيرته.

«وا مذحجاه و لا مذحج لى اليوم .. وا عشيرتاه» «۳».

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۸

(۲) و فى رواية (عرفت شرفه فى مصره)

(۳) انساب الأشراف ق ۱ ج ۱ ص ۱۵۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۰

و لو كانت عند مذحج صبابة من الشرف و النبل لانبرت الى انقاذ زعيمها، و لكنها كانت كغيرها من قبائل الكوفة، قد طلقت المعروف ثلاثا .. و عمد هانئ الى اخراج يده من الكتاف، و هو يطلب السلاح ليدافع به عن نفسه، فلما بصروا به بادروا إليه فأوثقوه كتافا و قالوا له:

«امدد عنقك.»

فاجاب برباطة جأش و رسوخ يقين: «لا و اللّه ما كنت بالذى أعينكم على نفسى» و انبرى إليه و غد من شرطة ابن زياد يقال له: رشيد التركى «۱» فضربه بالسيف فلم يصنع به شيئا، و رفع هانئ صوته قائلا:

«اللهم الى رحمتك و رضوانكاللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبى، فانى، انما تعصبت لابن بنت نبيك محمد ..».

و ضربه الباغى ضربة أخرى فهوى إلى الأرض يتخبط بدمه الزاكى و لم يلبث قليلا حتى فارق الحياة «۲» و كان عمره يوم استشهد تسعا و تسعين سنة «۳» و قد مضى شهيدا دون مبادئه و عقيدته و جزع لقتله الأحرار و المصلحون، و قد رثاه ابو الأسود الدئلى بقوله:

---

(۱) و قد ثأر لدم هانئ عبد الرحمن بن حصين فقتل رشيدا و فى ذلك يقول:

إنى قتلت راشدا التركياوليته أبيض مشرفيا

أرضى بذلك النبيا

جاء ذلك فى انساب الأشراف ج ۱ ق ۱ ص ۱۵۵.

(۲) الدر النظيم (ص ۱۶۰) من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين أنساب الأشراف ق ۱ ج ۱.

(۳) مرآة الزمان (ص ۸۵)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۱

أقول:

و ذاك من جزع و وجدأزال اللّه ملك بنى زياد

هم جدعوا الأنوف و كن شمابقتلهم الكريم أخا مراد «۱» و رثاه الأخطل بن زياد بقوله:

و لم يك عن يوم ابن عروة غائباكما لم يغب عن ليلة ابن عقيل

اخو الحرب صراها فليس بنا كل‌جبار و لا وجب الفؤاد ثقيل

السحل فى الشوارع:

و عهد الطاغية الى زبانيته و عملائه بسحل جثة مسلم و هانئ فى الشوارع و الأسواق، فعمدوا إلى شد أرجلهما بالحبال، و اخذوا يسحلونهما فى الطرق «۲» و ذلك لاخافة العامة و شيوع الارهاب، و ليكونا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالخروج على الحكم الأموى.

لقد سحب هانئ أمام اسرته و قومه، و لو كان عندهم ذرة من الشرف و الحمية لانبروا إلى تخليص جثة زعيمهم من أيدى الغوغاء الذين بالغوا فى اهانتها.

صلب الجثتين:

و لما قضى الطاغية اربه فى سحل جثة مسلم و هانئ أمر بصلبهما،

---

(۱) انساب الاشراف ق ۱ ج ۱/ ۱۵۵ ديوان أبى الأسود.

(۲) انساب الأشراف ق ۱ ج ۱/ ۱۵۵، الدر النظيم (ص ۱۶۰) مقتل الخوارزمى ۱/ ۲۱۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۲

فصلبا منكوسين «۱» فى الكناسة «۲» فكان مسلم- فيما يقول المؤرخون- أول قتيل صلبت جثته من بنى هاشم «۳» و قد استعظم المسلمون كأشد ما يكون الاستعظام هذا الحادث الخطير، فان هذا التمثيل الفظيع انما هو جزاء الذين يحاربون اللّه و رسوله، و يسعون فى الارض فسادا، و مسلم و هانئ انما هما من رواد الحق و دعاة الاصلاح فى الأرض.

و على أى حال فقد اخضع الطاغية بعد قتله لمسلم و هانئ- العراق الثائر، و ارتمت جميع اوساطه تحت قدميه بدون أية مقاومة.

الرءوس الى دمشق:

و عمد ابن مرجانة الى ارسال رأس مسلم و هانئ و عمارة بن صلخب الأزدى «۴» هدية الى سيده يزيد لينال الجائزة، و يحرز اخلاص الأسرة المالكة له، و قد أرسل معها هذه الرسالة:

«أما بعد: فالحمد للّه الذى أخذ لأمير المؤمنين بحقه، و كفاه مؤونة عدوه. اخبر امير المؤمنين اكرمه اللّه ان مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادى، و انى جعلت عليهما العيون، و دسست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجتهما، و امكن اللّه منهما فضربت أعناقهما، و بعثت إليك برأسيهما مع هانئ بن أبى حية الوداعى الهمدانى، و الزبير ابن الأروح التميمى، و هما من أهل السمع و الطاعة، فليسألهما امير المؤمنين

---

(۱) مناقب ابن شهر اشوب ۲/ ۹۴

(۲) المناقب و المثالب (ص ۱۷۲)

(۳) مروج الذهب ۳/ ۷

(۴) انساب الاشراف ق ۱ ج ۱/ ۱۵۵

عما أحب فان عندهما علما و صدقا و فهما و ورعا و السلام» «۱»

و احتوت هذه الرسالة على العمليات التى قام بها الطاغية للقضاء على الثورة، و التى كان من أهمها:

۱- استعانته بالعيون و الجواسيس فى معرفة شئون الثورة، و الوقوف على اسرارها، و قد قام بهذه العملية معقل مولاه.

۲- انه دس لهانئ العضو البارز فى الثورة الرجال حتى صار تحت قبضته، و اعتقله، و كذلك كاد لمسلم حينما ثار عليه، فقد أرسل عيون أهل الكوفة و وجوهها مع العرفاء فأخذوا يذيعون الذعر و ينشرون الارهاب حتى انهزم جيشه.

جواب يزيد:

و لما انتهت الرءوس الى دمشق سر يزيد بذلك سرورا بالغا، و كتب لابن مرجانة جوابا عن رسالته شكره فيها، و هذا نصه:

«أما بعد: فانك لم تعد اذ كنت كما أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابض، فقد كفيت، و صدقت ظنى. و رأيى فيك و قد دعوت رسوليك فسألتهما عن الذين ذكرت، فقد وجدتهما فى رأيهما و عقلهما و فهمهما و فضلهما، و مذهبهما كما ذكرت، و قد أمرت لكل واحد منهما بعشرة آلاف درهم، و سرحتهما إليك فاستوص بهما خيرا.

و قد بلغنى ان الحسين بن على قد عزم على المسير الى العراق، فضع المراصد و المناظر، و احترس، و احبس على الظن. و اكتب إلى فى كل

---

(۱) الطبرى ۶/ ۲۱۴

يوم بما يتجدد لك من خير أو شر و السلام» «۱»

و حفلت هذه الرسالة بالتقدير البالغ لابن زياد، و اضفت عليه صفة الحازم اليقظ، و انه قد حقق ظن يزيد فيه أنه أهل للقيام بمثل هذه الأعمال الخطيرة .. و قد عرفه يزيد بعزم الامام الحسين على التوجه إلى العراق، و أوصاه باتخاذ التدابير التالية:

۱- وضع المراصد و الحرس على جميع الطرق و المواصلات

۲- التحرس فى أعماله، و أن يكون حذرا يقظا.

۳- اخذ الناس بسياسة البطش و الارهاب.

---

(۱) الفتوح ۵/ ۱۰۹، انساب الأشراف ق ۱ ج ۱، و لم يعرض المؤرخون إلى شئون هذه الرءوس الكريمة فهل دفنت فى دمشق أو فى مكان آخر فقد أهملوا ذلك إلا أنه جاء فى مرآة الزمان (ص ۵۹) فيما يخص رأس هانئ ما نصه: انه فى هذه السنة: أى سنة (۳۰۲ ه) ورد الخبر إلى بغداد انه وجد بخراسان بالقصر ازجا فيه الف رأس فى برج فى اذن كل واحد خيط من ابريسم فيه رقعة فيها اسم صاحبه، و كان من جملتها رأس هانئ بن عروة، و حاتم بن حنة، و طلق بن معاذ و غيرهم، و تأريخهم- أى تأريخ وضعهم فى ذلك الأزج- سنة سبعين من الهجرة، و نقل الزركلى فى هامش اعلامه ۹/ ۵۱ عن صلة تأريخ الطبرى ص ۶۲ من حوادث سنة ۳۰۴ ه انه ورد الى بغداد كتاب من خراسان يذكر فيه انه وجد بالقندهار فى ابراج سورها برج متصل بها فيه خمسة آلاف رأس فى سلال من حشيش، و من هذه الرءوس تسعة و عشرون رأسا فى اذن كل رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم رجل منهم، و عد منهم هانئ ابن عروة، و قال: انهم قد وجدوا على حالهم الا انه قد جفت جلودهم و الشعر عليها بحالته لم يتغير.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۵

۴- أن يكون على اتصال دائم مع يزيد، و يكتب له بجميع ما يحدث فى القطر و طبق ابن مرجانة جميع ما عهده إليه سيده و نفذ ما يلى:

اعلان الأحكام العرفية:

و بعد ما اطاح الطاغية بثورة مسلم قبض على العراق بيد من حديد، و اعلن الأحكام العرفية فى جميع انحاء العراق، و اعتمد فى تنفيذ خططه على القسوة البالغة فاشاع من الظلم و الجور ما لا- يوصف. فكان اسمه موجبا لاثارة الفزع و الخوف فى نفوس العراقيين كما كان اسم أبيه زياد من قبل.

لقد فوضت إليه حكومة دمشق السلطات الواسعة، و أمرته بأخذ الناس بالظنة، و اعدام كل من يحقد على الحكم الأموى، أوله ضلع بالاشتراك فى أية مؤامرة تحاك ضده. و بهذه الأساليب الرهيبة ساق الناس لحرب الحسين، فقد كان يحكم بالموت على كل من يتخلف أو يرتدع عن الخوض فى المعركة «۱».

احتلال الحدود العراقية:

و احتل ابن زياد جميع الحدود العراقية احتلالا عسكريا، و منع الناس من الدخول للعراق و الخروج منه إلا باذن و تأشير خاص من شرطة الحدود و كانوا اذا أخذوا رجلا- اجروا معه التحقيق الكامل فان علموا براءته اطلقوا سراحه، و الا- بعثوه مخفورا الى السلطة المركزية فى الكوفة لتجرى معه المزيد من التحقيق، و قد احتاط فى هذه الجهة أشد الاحتياط مخافة أن يلج أحد إلى العراق أو يخرج منه من شيعة الامام الحسين، و يقول المؤرخون

---

(۱) الدولة الأموية فى الشام (ص ۵۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۶

إنه جعل على جميع المفارق، و رءوس المنازل عيونا من عسكره، كما عين فى البر نقاطا و مسالح ترصد جميع الحركات و قد بعث الحصين بن نمير رئيس شرطته الى القادسية، و منها الى خفان، ثم الى القطقطانية و جبل لعلع و رتب فى كل مكان جماعة من الفرسان و الخيالة لتفتيش الداخل و الخارج، و قد حفظت هذه الاجراءات تلك المناطق من الاشتراك بأى عمل ضد الدولة، كما حفظت خطوط المواصلات بين الكوفة و الشام، و قد القت الشرطة القبض على مسهر الصيداوى رسول الامام الحسين الى الكوفة، و بعثته مخفورا الى ابن زياد، و سنذكر حديثه فى البحوث الآتية:

الاعتقالات الواسعة:

و قام ابن زياد بحملة اعتقالات واسعة النطاق فى صفوف الشيعة فاعتقل منهم فيما يقول بعض المؤرخين اثنى عشر الفا «۱» و كان من بين المعتقلين سليمان بن صرد الخزاعى، و المختار بن يوسف الثقفى و اربعمائة من الأعيان و الوجوه «۲».

و قد اثارت هذه الاجراءات عاصفة من الفزع و الهلع لا فى الكوفة فحسب، و انما فى جميع انحاء العراق و قد ابتعد الكوفيون عن التدخل فى أية مشكلة سياسية، و لم تبد منهم أية حركة من حركات المعارضة و ايقنوا أن لا قدرة لهم على الاطاحة بالعرش الأموى، و ظلوا قابعين تحت وطأة سياطه القاسية.

---

(۱) المختار مرآة العصر الأموى (ص ۷۴- ۷۵)

(۲) الدر المسلوك فى احوال الأنبياء و الأوصياء ۱/ ۱۰۹.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۷

إخفاق الثورة

اشارة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۱۹

و يتساءل الكثيرون عن الأسباب التى أدت الى اخفاق مسلم فى ثورته مع ما كان يتمتع به من القوى العسكرية فى حين أن خصمه لم تكن عنده أية قوة يستطيع أن يدافع بها عن نفسه فضلا عن الهجوم و الدخول فى عمليات القتال، و يعزو بعضهم السبب فى ذلك إلى قلة خبرة مسلم فى الشؤون السياسية، و عجزه من السيطرة على الموقف، فترك المجال مفتوحا لعدوه حتى تغلب عليه ... و هذا الرأى- فيما يبدو- سطحى ليست له أية صبغة من التحقيق، و ذلك لعدم ابتنائه على دراسة الأحداث بعمق و شمول و من أهمها- فيما نحسب دراسة المجتمع الكوفى، و ما منى به من التناقض فى سلوكه الفردى و الاجتماعى، و الوقوف على المخططات السياسية التى اعتمد عليها ابن زياد للتغلب على الأحداث، و النظر فى الصلاحيات المعطاة لمسلم بن عقيل من قبل الامام فان الاحاطة بهذه الأمور توضح لنا الأسباب فى اخفاق الثورة و فيما يلى ذلك.

المجتمع الكوفى:

اشارة

و لا بد لنا أن نتحدث بمزيد من التحقيق عن طبيعة المجتمع الكوفى فانه المرآة الذى تنعكس عليه الأحداث الهائلة التى لعبت دورها الخطير فى تأريخ الاسلام السياسى، و ان نتبين العناصر التى سكنت الكوفة، و ننظر إلى طبيعة الصلات الاجتماعية فيما بينها، و الحياة الاقتصادية التى كانت تعيش فيها، فان البحث عن ذلك يلقى الأضواء على فشل الثورة، كما يلقى الاضواء على التذبذب و الانحرافات الفكرية التى منى بها هذا المجتمع و التى كان من نتائجها ارتكابه لأبشع جريمة فى تأريخ الانسانية، و هى اقدامه على قتل ريحانة رسول اللّه (ص) و الى القراء ذلك:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۰

الظواهر الاجتماعية:

اشارة

أما الظواهر الاجتماعية التى تفرد بها المجتمع الكوفى دون بقية الشعوب فهى:

التناقض فى السلوك:

و الظاهرة الغريبة فى المجتمع الكوفى أنه كان فى تناقض صريح مع حياته الواقعية، فهو يقول شيئا و يفعل ضده، و يؤمن بشىء و يفعل ما ينافيه و الحال انه يجب أن تتطابق أعمال الانسان مع ما يؤمن به، و قد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الامام عن أهل الكوفة فقال له:

«خلقت قلوب الناس معك، و سيوفهم مشهورة عليك»

و كان الواجب يقضى أن تذب سيوفهم عما يؤمنون به، و ان يناضلوا عما يعتقدون به، و لا توجد مثل هذه الظاهرة فى تأريخ أى شعب من الشعوب.

و من غرائب هذا التناقض ان المجتمع الكوفى قد تدخل تدخلا ايجابيا فى المجالات السياسية و هام فى تياراتها، فكان يهتف بسقوط الدولة الاموية، و قد كاتبوا الامام الحسين لينقذهم من جور الأمويين و بطشهم، و بعثوا الوفود إليه مع آلاف الرسائل التى تحثه على القدوم لمصرهم، و لما بعث إليهم سفيره مسلم بن عقيل قابلوه بحماس بالغ، و أظهروا له الدعم الكامل، حتى كاتب الامام الحسين بالقدوم إليهم، و لكن لما دهمهم ابن مرجانة و نشر الرعب و الفزع فى بلادهم تخلوا عن مسلم، و اقفلوا عليهم بيوتهم و راحوا يقولون:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۱

«ما لنا و الدخول بين السلاطين»

ان حياتهم العملية لم تكن صدى لعقيدتهم التى آمنوا بها، فقد كانوا يمنون قادتهم بالوقوف معهم ثم يتخلون عنهم فى اللحظات الحاسمة.

و من مظاهر ذلك التناقض انهم بعد ما ارغموا الامام الحسن (ع) على الصلح مع معاوية، و غادر مصرهم جعلوا ينوحون و يبكون على ما فرطوه تجاهه، و لما قتلوا الامام الحسين (ع) و دخلت سبايا أهل البيت (ع) مدينتهم أخذوا يعجون بالنياحة و البكاء فاستغرب الامام زين العابدين (ع) ذلك منهم و راح يقول:

«إن هؤلاء يبكون و ينوحون من أجلنا، فمن قتلنا؟!!»

ان فقدان التوازن فى حياة ذلك المجتمع جر لهم الويلات و الخطوب و القاهم فى شر عظيم.

الغدر و التذبذب:

و الظاهرة الأخرى فى المجتمع الكوفى الغدر، فقد كان من خصائصهم التى اشتهروا بها، و قد ضرب بهم المثل فقيل: «اغدر من كوفى» «۱» كما ضرب المثل بعدم وفائهم فقيل: «الكوفى لا يوفى» «۲».

و قد وصفهم امير المؤمنين (ع) بقوله: «اسود رواغة و ثعالب رواغة». و قال فيهم: «إنهم أناس مجتمعة ابدانهم، مختلفة اهواؤهم و ان من فاز بهم فاز بالسهم الأخيب و انه أصبح لا يطمع فى نصرتهم

(۱) الفرق بين الفرق (ص ۲۶) لعبد القاهر البغدادى

(۲) أثار البلاد (ص ۱۶۷) لزكريا القزوينى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۲

و لا يصدق قولهم «۱».

لقد كان الجانب العملى فى حياتهم هو التقلب و التردد و التخاذل، و قد غروا زيد بن على الثائر العظيم فقالوا له: ان معك مائة الف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم «۲» و قد أحصى ديوانه منهم خمسة عشر الفا كانوا قد بايعوه على النصرة «۳» ثم لما اعلن الثورة هبط عددهم الى مائتى و ثمانية عشر رجلا «۴» و قد نصح داود بن على زيدا بأن لا ينخدع بأهل الكوفة فقال له:

«يا ابن عم إن هؤلاء يغرونك من نفسك، أ ليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك على بن أبى طالب حتى قتل، و الحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه، و انتهبوا فسطاطه و جرحوه؟ أ و ليس قد أخرجوا جدك الحسين و حلفوا له باوكد الايمان ثم خذلوه و اسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه» «۵».

و كانوا ينكثون البيعة بعد البيعة، و قد ألمع الى هذه الظاهرة أعشى همدان الذى كان شاعر ثورة محمد بن الأشعث الذى ثار على الحجاج يقول داعيا على اهل الكوفة:

أبى اللّه إلا أن يتمم نورهو يطفئ نور الفاسقين فيخمدا

و ينزل ذلا بالعراق و أهلهلما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

و ما أحدثوا من بدعة و عظيمةمن القول لم تصعد الى اللّه مصعدا

---

(۱) الامامة و السياسة ۱/ ۲۳۸

(۲) تأريخ الطبرى ۲/ ۳/ ۱۶۷۷

(۳) الطبرى ۲/ ۳/ ۱۶۸۵

۴- ۵ الطبرى ۲/ ۳/ ۱۶۷۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۳ و ما نكثوا من بيعة بعد بيعةاذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا «۱» و قد عرفوا بهذا السمت عند جميع الباحثين، و يرى «فلهوزن» انهم مترددون متقلبون و انهم لم يألفوا النظام و الطاعة، و ان الاخلاص السياسى و العسكرى لم يكن معروفا لهم على الاطلاق، و اكد ذلك الباحث «وزتر شنين» يقول: إن من صفاتهم المميزة البارزة الهوائية و التقلب و نقص الثقة بانفسهم «۲».

و لم يكن هذا التذبذب فى حياتهم مقتصرا على العامة، و انما كان شائعا حتى عند رجال الفكر و الأدب فسراقة الشاعر المعروف وقف فى وجه المختار، و اشترك فى قتاله يوم جبانة السبيع فلما انتصر المختار وقع سراقة أسيرا بين يدى أصحابه فزج به فى السجن فأخذ سراقة يستعطفه و ينظم القصيد فى مدحه، و يذكر مبادئ ثورته و يبالغ فى تمجيده فكان مما قاله فيه:

نصرت على عدوك كل يومبكل كتيبة تنعى حسينا

كنصر محمد فى يوم بدرو يوم الشعب اذ لاقى حنينا

فاسجح «۳» اذ ملكت فلو ملكنالجرنا فى الحكومة و اعتدينا

تقبل توبة منى فانىسأشكر إن جعلت النقد دينا و لما عفا عنه المختار خرج من الكوفة فلم يبعد عنها قليلا حتى أخذ يهجو المختار و يحرض عليه، و قد قال فى هجائه:

الا ابلغ أبا اسحاق أنىرأيت البلق دهما مصمتات

(۱) تأريخ الطبرى ۲/ ۱۱۱۳

(۲) السيادة العربية (ص ۷۴)

(۳) السجح: حسن العفو

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۴ كفرت بوحيكم و جعلت نذراعلى قتالكم حتى الممات

ارى عينى ما لم تبصراه كلانا عالم بالترهات

اذا قالوا: اقول لهم كذبتمو ان خرجوا لبست لهم اداتى «۱» لقد مضى يصب ثورته و سخريته على المختار و أصحابه فى نفس الوزن الذى نظم فيه قصيدته السابقة، و من الطبيعى ان هذا التناقض فى حياتهم كان ناجما من الاضطراب النفسى، و عدم التوازن فى السلوك:

و من غرائب ذلك التناقض أن بعضهم كان يحتاط فى أبسط الأمور و لا يتحرج من اقتراف أعظم الموبقات، فقد جاء رجل من أهل الكوفة إلى عبد اللّه بن عمر يستفتيه فى دم البعوض يكون على الثوب أ طاهر أم نجس؟

فقال له ابن عمر:

- من أين أنت؟

- من أهل العراق

فبهر ابن عمر و راح يقول: انظروا الى هذا يسألنى عن دم البعوض!! و قد قتلوا ابن بنت رسول اللّه (ص) و قد سمعته يقول فيه و فى أخيه:

هما ريحانتاى من الدنيا «۲».

و يعزو بعضهم السبب فى هذا الاضطراب إلى الظروف السياسية القاسية التى مرت عليهم، فان الحكم الأموى كان قد عاملهم بمنتهى القسوة و الشدة فرماهم بأقسى الولاة و أشدهم عنفا امثال المغيرة بن شعبة و زياد بن سمية مما جعل الحياة السياسية ضيقة و متحرجة مما نجم عنه هذا التناقض فى السلوك.

(۱) أنساب الأشراف ۵/ ۲۳۴، الأخبار الطوال (ص ۲۶۴)

(۲) الصراط السوى فى مناقب آل النبى (ص ۹۴) من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۵

التمرد على الولاة:

و الطابع الخاص الذى عرف به المجتمع الكوفى التمرد على الولاة و التبرم منهم، فلا يكاد يتولى عليهم وال و حاكم حتى أعلنوا الطعن عليه فقد طعنوا فى سعد بن أبى وقاص مؤسس مدينتهم و اتهموه بأنه لا يحسن الصلاة «۱» فعزله عمرو ولى مكانه الصحابى الجليل عمار بن ياسر، و لم يلبثوا أن شكوه إلى عمر فعزله، و ولى مكانه أبا موسى الأشعرى، و لم تمض أيام من ولايته حتى طعنوا فيه، و قالوا: لا حاجة لنا فى أبى موسى «۲» و ضاق عمر بهم ذرعا و بدا عليه الضجر فسأله المغيرة عن شأنه فقال له:

«ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم، فهل نابك من نائب؟».

فانبرى عمر يشكو إليه الألم الذى داخله من أهل الكوفة قائلا:

«و أى نائب أعظم من مائة الف لا يرضون عن أمير، و لا يرضى عنهم أمير.» «۳».

و تحدث عمر عنهم فقال:

«من عذيرى من أهل الكوفة إن استعملت عليهم القوى فجروه، و ان وليت عليهم الضعيف حقروه.» «۴».

لقد جبلوا على التمرد فهم لا يطيقون الهدوء و الاستقرار، و يرى ديمومبين أن هذه الظاهرة اعتادها الكوفيون من أيام الفرس الذين دأبوا

---

(۱) فتوح البلدان (ص ۲۸۷)

(۲) الطبرى، و جاء فيه انهم اتهموه بأنه يتاجر فى اقواتهم.

(۳) فتوح البلدان (ص ۲۷۹)

(۴) مختصر كتاب البلدان (ص ۱۸۴) لابن الفقيه

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۶

على تغيير حكامهم دوما «۱» و يذهب فان فلوتن الى أن العرب المستقرين بالكوفة كانوا قد تعودوا على حياة الصحراء بما فيها من ضغن و شحناء و حب الانتقام، و التخريب و الأخذ بالثأر فلذا تعودوا على التمرد، و عدم الطاعة للنظام «۲»

الانهزامية:

و الظاهرة الغريبة التى عرف بها المجتمع الكوفى هى الانهزامية، و عدم الصمود أمام الأحداث فاذا جد الجد و لوا منهزمين على أعقابهم فقد أجمعوا فى حماس على مبايعة مسلم و نصرته، و لما اعلن الثورة على ابن مرجانة انفضوا من حوله حتى لم يبق معه انسان يدله على الطريق و قد وقفوا مثل هذا الموقف مع زيد بن على، فقد تركوه وحده يصارع جيوش الأمويين، و راح يقول: «فعلوها حسينية» و بايعوا عبد اللّه بن معاوية فقالوا له: «ادع الى نفسك فبنو هاشم أولى بالامر من بنى مروان» «۳» و اخرجوه حيث كان مقيما، و أدخلوه القصر فبايعوه، و لما زحف لقتاله والى الأمويين عبد اللّه بن عمر فروا منهزمين و نظر عبد اللّه بن معاوية فاذا الأرض بيضاء من أصحابه فقد غدر به قائد قواته لأنه كان على اتفاق مع والى الأمويين فانهزم و انهزم معه الجيش «۴» و كان عيسى بن زيد يقول فيهم «لا اعرف موضع ثقة يفى ببيعته، و يثبت عند اللقاء» «۵»

---

(۱) النظم الاسلامية (ص ۲۶)

(۲) السيادة العربية (ص ۱۱)

۳- ۴ الطبرى ۲/ ۳/ ۱۱۸۸۰

۵ مقاتل الطالبيين (ص ۴۱۸)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۷

مساوئ الاخلاق:

و اتصفت الأكثرية الساحقة من أهل الكوفة بمساوئ الأخلاق. يقول فيهم عبد اللّه بن الحسن انهم: (نفج العلانية، خور السريرة. هوج الردة، جزع فى اللقاء، تقدمهم السنتهم، و لا تشايعهم قلوبهم» و وصفهم الامام أمير المؤمنين (ع) بقوله: «إن أهملتم خفتم، و إن حوربتم خرتم، و ان اجتمع الناس على امام طعنتم، و إن جئتم الى مشاقة نكصتم» «۱» و وصفهم المختار لعبد اللّه بن الزبير حينما سأله

عنهم فقال: «لسلطانهم فى العلانية أولياء و فى السر أعداء» و علق ابن الزبير على قول المختار فقال: «هذه صفة عبيد السوء اذا رأوا أربابهم خدموهم و اطاعوهم، فاذا غابوا عنهم شتموهم» «۲».

و هجاهم اعشى همدان بقوله:

و جبنا حشاه ربهم فى قلوبهمفما يقربون الناس الا تهددا

فلا صدق فى قول و لا صبر عندهمو لكن فخرا فيهم و تزيدا «۳» و يقول فيهم أبو السرايا:

و ما رست اقطار البلاد فلم أجدلكم شبها فيما وطأت من الأرض

خلافا و جهلا و انتشار عزيمةو و هنا و عجزا فى الشدائد و الخفض

لقد سبقت فيكم الى الحشر دعوةفلا عنكم راض و لا فيكم مرضى «۴»

۱- ۲ الطبرى ۲/ ۳/ ۱۶۸۱

۳ الطبرى ۲/ ۲/ ۱۱۱۴

۴ يشير إلى دعوة الامام الشهيد الحسين (ع) على أهل الكوفة يوم عاشوراء بقوله «و لا يرضى الولاة عنكم أبدا»

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۸ سأبعد دارى من قلى عن ديارکمفذوقوا اذا وليت عاقبة البغض «۱» و حلل الدكتور يوسف خليف هذه الأبيات بقوله: «و أبو السرابا فى هذه الأبيات يردد تلك الفكرة القديمة التى عرفت عن أهل الكوفة من انهم أهل شقاق و نفاق و مساوئ أخلاق، فيصفهم بالشقاق و الجهل و تفرق العزيمة و الضعف و العجز، و يرى أن هذه صفاتهم التى تلازمهم دائما فى الحرب و السلم، و هى صفات لم تجعل أحدا من زعمائهم أو أئمتهم يرضى عنهم، و هم منفردون بها من بين سائر البشر فى جميع اقطار الأرض التى وطأتها قدماه، ثم يعلن فى النهاية ببغضه لهم و اعتزامه البعد عنهم ليذوقوا من بعده سوء العاقبة و سوء المصير» «۲».

و وصفهم ابو بكر الهذلى بقوله: «ان اهل الكوفة قطعوا الرحم و وصلوا المثانة، كتبوا إلى الحسين بن على انا معك مائة الف، و غروه حتى إذا جاء خرجوا إليه و قتلوه و أهل بيته صغيرهم و كبيرهم، ثم ذهبوا يطلبون دمه، فهل سمع السامعون بمثل هذا؟» «۳».

الجشع و الطمع:

و هناك نزعة عامة سادت فى اوساط المجتمع الكوفى، و هى التهالك على المادة و السعى على حصولها بكل طريق، فلا يبالون فى سبيلها بالعار و الخزى، و لقد لعبت هذه الجهة دورها الخطير فى اخفاق ثورة مسلم، فقد بذل ابن زياد الأموال بسخاء للوجوه و الاشراف فخفوا إليه سراعا

---

(۱) مقاتل للطالبيين (ص ۵۴۴- ۵۴۶)

(۲) حياة الشعر فى الكوفة (ص ۴۴۵)

(۳) مختصر البلدان (ص ۱۷۳)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۲۹

فغدروا بمسلم، و نكثوا عهودهم، و قد ملكهم ابن زياد بعطائه فأخرجهم لحرب ريحانة رسول اللّه (ص) بعد أن أقسموا الايمان المغلظة على نصرته و الذب عنه.

التأثر بالدعايات:

و ظاهرة أخرى من ظواهر المجتمع الكوفى و هى سرعة التأثر بالدعايات من دون فحص و وقوف على واقعها، و قد استغل هذه الظاهرة الأمويون ايام «مسكن» فأشاعوا فى أوساط الجيش العراقى ان الحسن صالح معاوية و حينما سمعوا بذلك ماجوا فى الفتنة و ارتطموا فى الاختلاف، فعمدوا الى امتعة الامام فنهبوها، كما اعتدوا عليه فطعنوه فى فخذه و لما اذاعت عصابة ابن زياد بين جيوش مسلم أن جيش اهل الشام قد أقبل إليكم فلا تجعلوا أنفسكم عرضة للنقمة و العذاب، فلما سمعوا ذلك انهارت اعصابهم، و ولوا منهزمين، و أمسى ابن عقيل وحده ليس معه انسان يدله على الطريق.

هذه بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى الكوفة، و هى تكشف عن ضحالة ذلك المجتمع، و انهياره أمام الأحداث، فلم تكن له ارادة صلبة و لا وعى اجتماعى أصيل و قد جروا لهم بذلك الويل، فدمروا قضاياهم المصيرية و تنكروا لجميع حقوقهم، و فتحوا المجال للطاغية ابن مرجانة أن يتحكم فيهم و يصب عليهم وابلا من العذاب الأليم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۰

الحياة الاقتصادية:

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ج۲ ۴۳۰ الحياة الاقتصادية: ..... ص : ۴۳۰

ا الحياة الاقتصادية فى الكوفة فكانت تتسم بعدم التوازن فقد كانت فيها الطبقة الارستقراطية التى غرقت فى الثراء العريض فقد منحتها الدولة الأموية أيام عثمان و معاوية الهبات و الامتيازات الخاصة فأثرت على حساب الضعفاء و المحرومين، و من بين هؤلاء:

۱- الأشعث بن قيس، و قد اشترى فى أيام عثمان أراضى واسعة فى العراق، و كان فى طليعة الاقطاعيين فى ذلك العصر، و هو الذى ارغم الامام على قبول التحكيم لأن حكومته كانت تهدد مصالحه و امتيازاته الخاصة.

۲- عمرو بن حريث، و كان أثرى رجل فى الكوفة «۱»، و قد لعب دورا خطيرا فى افساد ثورة مسلم و شل حركتها.

۳- شبث بن ربعى، و هو من الطبقة الارستقراطية البارزة فى الكوفة «۲»، و هو أحد المخذلين عن مسلم، كما تولى قيادة بعض الفرق التى حاربت الحسين.

هؤلاء بعض المثرين فى ذلك العصر، و كانوا يدا لابن مرجانة و ساعده القوى الذى اطاح بثورة مسلم، فقد كانوا يملكون نفوذا واسعا فى الكوفة و قد استطاعوا أن يعلنوا معارضتهم للمختار رغم ما كان يتمتع به من الكتل الشعبية الضخمة المؤلفة من الموالى و العبيد، و هم الذين اطاحوا بحكومته.

أما الأكثرية الساحقة فى المجتمع الكوفى فكانت مرتبطة بالدولة تتلقى موادها المعاشية منها باعتبارها المعسكر الرئيسى للدولة فهى التى تقوم

---

(۱) فى الطبرى ان عمرو بن حريث كان اكثر أهل الكوفة مالا

(۲) حياة الشعر فى الكوفة (ص ۱۶۸)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۱

بالانفاق عليها، و قد عانى بعضهم الحرمان و البؤس، و قد صور الشاعر الأسدى سوء حياته الاقتصادية بقصيدة يمدح بها بعض نبلاء الكوفة لينال من معروفه و كرمه يقول فيها:

يا أبا طلحة الجواد اغثنىبسجال من سيبك المقسوم

احى نفسى- فدتك نفسى- فانى مفلس- قد علمت ذاك- عديم

أو تطوع لنا بسلت دقيق أجره- ان فعلت ذاك- عظيم

قد علمتم- فلا تعامس عنى-ما قضى اللّه فى طعام اليتيم

ليس لى غير جرة و اصيص و كتاب منمنم كالوشوم

و كساء أبيعه برغيف قد رقعنا خروقه بأديم

و اكاف اعارنيه نشيطهو لحاف لكل ضيف كريم «۱» أ رأيت هذا الفقر المدقع الذى دعا الشاعر الى هذا الاستعطاف و التذلل إنها مشكلة الفقر الذى أخذ بخناقه و علق شوقى ضيف على هذه الأبيات بقوله: «و من هنا ارتفع صوت المال فى القصيدة الأموية و احتل جوانب غير قليلة منها فقد كان اساسيا فى حياة الناس، فطبيعى أن يكون أساسيا فى فنهم و شعرهم، أ ليس دعامة هامة من دعائم الحياة، فلم لا يكون دعامة هامة من دعائم البناء الفنى، انه يستتر فى قاع الحياة، و قاع الشعر لأن الشعر انما هو تعبير عن الحياة «۲».

ان الحياة الاقتصادية تؤثر أثرا عميقا و فعالا فى كيان المجتمع، و تلعب دورا خطيرا فى توجيه المجتمع نحو الخير او الشر، و قد ثبت أن كثيرا من الجرائم التى يقترفها بعض المصابين فى سلوكهم انما جاءت نتيجة لفقرهم و بؤسهم أو لجشعهم على تحصيل المادة، و قد اندفع اكثر الجيش

---

(۱) حياة الحيوان للجاحظ ۵/ ۲۹۷- ۲۹۹

(۲) التطور و التجديد فى الشعر الأموى (ص ۱۳۴)

الذى خرج لحرب الامام الحسين (ع) حينما مناهم ابن مرجانة بزيادة مرتباتهم التى يتقاضونها من الدولة.

و على أى حال فان سوء الحالة الاقتصادية فى الكوفة كانت من الأسباب الفعالة فى اخفاق ثورة مسلم و تحول الجماهير عنه حينما اغدق ابن زياد الأموال على الوجوه و العرفاء و غيرهم فاندفعوا الى القيام بمناهضة مسلم و صرف الناس عنه.

عناصر السكان:

اشارة

كانت الكوفة أممية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة فى لغاتها، و متباينة فى طباعها و عاداتها و تقاليدها فكان فيها العربى و الفارسى و النبطى الى جانب العبيد و غيرهم، و لم تعد مدينة عربية خالصة كمكة و المدينة و انما كانت مدينة أهلها اخلاط من الناس- كما يقول اليعقوبى- و قد هاجرت إليها هذه العناصر باعتبارها المركز الرئيسى للمعسكر الاسلامى فمنها تتدفق الجيوش الاسلامية للجهاد كما تتدفق بها المغانم الكثيرة التى وعد اللّه بها المجاهدين، و قد بلغ نصيب الجندى المقاتل من فىء المدائن اثنى عشر الفا «۱» مما دعا ذلك الى الهجرة إليها باعتبارها السبيل الى الثروة و نلمع الى بعض تلك العناصر.

---

(۱) طبقات ابن سعد ۶/ ۴ مختصر كتاب البلدان (ص ۱۶۶)

العرب:

اشارة

و حينما تم تأسيس الكوفة على يد فاتح العراق سعد بن أبى وقاص اتجهت إليها أنظار العرب، و تسابقوا إلى الهجرة إليها، فقد سكنها فى وقت مبكر سبعون بدريا و ثلاثمائة من أصحاب الشجرة «۱» و قد ترجم ابن سعد فى طبقاته مائة و خمسين صحابيا ممن نزلوا الكوفة «۲» و يقول فيها السفاح: «و هى- أى الكوفة- منزل خيار الصحابة و أهل الشرف «۳» أما القبائل العربية التى سكنتها فهى:

القبائل اليمنية:

و تسابقت القبائل اليمنية إلى سكنى الكوفة فكان عددهم- فيما يقول المؤرخون- اثنى عشر الفا «۴» و هى:

۱- قضاعة

۲- غسان

۳- بجيلة

۴- خثعم

۵- كندة

---

(۱) طبقات ابن سعد ۶/ ۴

(۲) طبقات ابن سعد ۶/ ۴۳

(۳) مختصر كتاب البلدان (ص ۷۳)

(۴) معجم قبائل العرب ۱/ ۱۵، فتوح البلدان (۲۷۶) معجم البلدان ۷/ ۲۶۷.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۴

۶- حضرموت

۷- الأزد

۸- مذحج

۹- حمير

۱۰- همدان

۱۱- النخع

فهذه هى الأسر التى تنتمى إلى اليمن، و قد استوطنت الكوفة، و نزلت فى الجانب الشرقى من المسجد، و يرى فلهوزن أن القبائل المشهورة من اليمن و هى مذحج و همدان و كندة قد كانت لها السيطرة و السيادة على الكوفة، و يقول عبد الملك بن مروان بعد دخوله الى الكوفة حينما جاءته قبائل مذحج و همدان:

«ما أرى لأحد مع هؤلاء، شيئا»

القبائل العدنانية:

أما القبائل العدنانية التى سكنت الكوفة فكان عددها ثمانية آلاف شخص، و هى تتشكل من اسرتين.

۱ تميم

۲ بنو العصر

قبائل بنى بكر:

و سكنت الكوفة قبائل بنى بكر، و هى عدة أسر منها:

۱- بنو أسد

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۵

۲- غطفان

۳- محارب

۴- نمير

و هناك مجموعة أخرى من القبائل العربية استوطنت الكوفة، و هى كنانة، و جديلة، و ضبيعة و عبد القيس، و تغلب و اياد و طى و ثقيف و عامر و مزينة «۱» و يرى ماسنيون انه إلى جانب القرشيين الذين سكنوا الكوفة عناصر شديدة البداوة من سكان الخيام و بيوت الشعر، و أصحاب الأبل من بنى دارم التميمى و جيرانهم اليمنيين القدماء من طىء، و عناصر نصف رحالة من ربيعة، و أسد من الغرب و الشمال الغربى، و بكر من الشرق و الجنوب الشرقى و عبد القيس الذين جاءوا من هجر من الجنوب الشرقى ثم عناصر متحضرة من القبائل الجنوبية الأصيلة من العربية الذين نزحوا من اليمن و حضرموت، و هؤلاء كانوا قسمين: عناصر نصف متحضرة من كندة و بجيلة و عناصر متحضرة تماما من سكان المدن و القرى اليمنية من مذحج و حمير و همدان «۲».

ان العنصر العربى الذى استوطن الكوفة منذ تأسيسها كان مزيجا من اليمانية و النزارية و غيرها و لكن اليمانية كانت أكثر عددا كما كان تأثيرها فى حياة المجتمع الكوفى أشد من غيرها.

الروح القبلية:

و سادت فى قبائل المجتمع العربى فى الكوفة الروح القبلية فكانت كل قبيلة

---

(۱) الحياة الاجتماعية و الاقتصادية فى الكوفة (ص ۴۲)

(۲) خطط الكوفة (ص ۱۲- ۱۳)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۶

تنزل فى حى معين لها لا يشاركها فيها الا حلفاؤها، كما كان لكل قبيلة مسجدها الخاص، و مقبرتها الخاصة، و يرى ما سنيون ان جبانات الكوفة هى احدى الصفات المميزة لطبوغرافيتها «۱» كما سميت شوارعها و سككها بالقبائل التى كانت تقطن فيها «۲» و غدت المدينة صورة تامة للحياة القبلية و بلغ الاحساس بالروح القبلية و التعصب لها الى درجة عالية، فكانت القبائل تتنافس فيما بينها على احراز النصر كما حدث فى واقعة الجمل.

و من هنا غلب على الحياة فيها طابع الحياة الجاهلية «۳»، و يحدثنا ابن أبى الحديد عن الروح القبلية السائدة فى الكوفة بقوله: «ان أهل الكوفة فى آخر عهد على كانوا قبائل فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى، فينادى باسم قبيلته يا للنخع أو يا لكندة، فيتألب عليه فتيان القبيلة التى مر بها فينادون يا لتميم أو يا لربيعة، و يقبلون الى ذلك الصائح فيضربونه فيمضى إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف و تثور الفتنة» «۴».

لقد كانت الروح القبلية هى العنصر البارز فى حياة المجتمع الكوفى و قد استغل ابن سمية هذه الظاهرة فى القاء القبض على حجر و اخماد ثورته فضرب بعض الأسر ببعض، و كذلك استغل هذه الظاهرة ابنه للقضاء على حركة مسلم و هانئ، و عبد اللّه بن عفيف الأزدى.

۱- ۲ خطط الكوفة (ص ۱۸)

۳ التطور و التجديد فى الشعر الأموى (ص ۸۰- ۸۱)

۴ شرح النهج ۳/ ۲۳۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۷

الفرس:

و إلى جانب العنصر العربى الذى استوطن الكوفة كان العنصر الفارسى، و كانوا يسمون الحمراء «۱» و قد سألوا عن أمنع القبائل العربية فقيل لهم تميم فتحالفوا معهم «۲» و اكبر موجة فارسية استوطنت الكوفة عقيب تأسيسها هى المجموعة الضخمة من بقايا فلول الجيوش الساسانية التى انضمت الى الجيش العربى، و أخذت تقاتل معه، و قد عرفت فى التأريخ باسم «حمراء ديلم» فكان عددهم- فيما يقول المؤرخون- أربعة آلاف جندى برأسهم رجل يسمى (ديلم) قاتلوا معه تحت قيادة رستم فى القادسية فلما انهزمت الفرس، و قتل رستم عقدوا أمانا مع سعد بن أبى وقاص، و شرطوا عليه أن ينزلوا حيث شاءوا، و يحالفوا من أحبوا و ان يفرض لهم العطاء، و قد حالفوا زهرة بن حوية التميمى أحد قادة الفتح، و فرض لهم سعد فى الف الف، و أسلموا و شهدوا فتح المدائن معه كما شهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة «۳».

و قد كونت هذه الجالية مجموعة كبيرة فى المجتمع الكوفى، و يذكر فلهوزن انهم كانوا اكثر من نصف سكان الكوفة، و قد أخذ عددهم بازدياد حتى تضاءلت نسبة العرب فى الكوفة، و تغلبوا فى عصر المأمون حتى كانت اللغة الفارسية تحتل الصدارة فى ذلك العصر «۴» و يقول الجاحظ:

---

(۱) الأخبار الطوال (ص ۲۹۶)

(۲) تأريخ الطبرى

(۳) فتوح البلدان (ص ۲۸۰) خطط الكوفة (ص ۱۱)

(۴) فك العربية (ص ۸۳- ۸۴)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۸

ان اللغة الفارسية أثرت تأثيرا كبيرا فى لغة الكوفة «۱».

و على أى حال فان الفرس كانوا يشكلون عنصرا مهما فى الكوفة و كونوا بها جالية متميزة فكان أهل الكوفة يقولون: «جئت من حمراء ديلم» «۲» و يقول البلاذرى: ان زيادا سير بعضهم إلى الشام، و سير قوما منهم إلى البصرة «۳» و قد شاركت هذه الجالية فى كثير من الفتوحات الاسلامية، كما شكلت المد العالى للاطاحة بالحكم الأموى.

الأنباط:

و كانت الانباط من العناصر التى سكنت الكوفة، و قد أثروا فى الحياة العامة تأثيرا عقليا و اجتماعيا، و يقول المؤرخون: إن الانباط

ليسوا عنصرا خاصا من البشر و انما هم من العرب و كانوا يستخدمون اللغة الدارمية فى كتابتهم، و كانوا يستوطنون بلاد العرب الصخرية و قد انتقلوا منها إلى العراق، و اشتغلوا بالزراعة، و كانوا ينطقون بلغتهم الدارمية «۴».

و قد أثروا تأثيرا بالغا فى حياة الكوفة يقول أبو عمرو بن العلاء لأهل الكوفة: «لكم حذلقة النبط، و صلفهم، و لنا زهاء الفرس و احلامهم» «۵» و يروى الطبرى أن رجلا من بنى عبس أسر رجلا من أهل نهاوند اسمه دينار، و كان يواصل العبسى و يهدى إليه، و قد قدم

---

(۱) البيان و التبيين ۱/ ۱۹- ۲۰

(۲) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى (ص ۵۵)

(۳) فتوح البلدان (ص ۲۷۹)

(۴) الحضارة الاسلامية (ص ۹۷)

(۵) البيان و التبيين ۲/ ۱۰۶

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۳۹

الكوفة فى أيام معاوية فقام فى الناس و قال لهم: «يا معشر أهل الكوفة أنتم أول من مررتم بنا كنتم خيار الناس، فعمرتم بذلك زمان عمر و عثمان ثم تغيرتم، و فشت فيكم خصال أربع: بخل، و خب، و غدر، و ضيق و لم يكن فيكم واحدة منهن فرافقتكم فاذا ذلك فى مواليدكم، فعلمت من أين أتيتم» «۱».

و يرى (دى بود) ان التغير الاجتماعى و تبدل الاخلاق فى الكوفة قد نشأ فى وقت مبكر أيام معاوية بن أبى سفيان «۲» و من الطبيعى ان للانباط ضلعا كبيرا فى هذا التغيير.

السريانية:

و العنصر الرابع الذى شارك فى تكوين الكوفة هى السريانية، فقد كانت منتشرة فى العراق قبل الفتح الاسلامى، و كان الكثيرون منهم مقيمين على حوض دجلة، و بعضهم كان مقيما فى الحيرة و الكوفة و قد ارتبطوا بأهل الكوفة و تأثروا بعاداتهم و اخلاقهم فان الحياة الاجتماعية- كما يقول علماء الاجتماع- حياة تأثير و تأثر فكل انسان يتأثر و يؤثر فيمن حوله.

هذه هى العناصر التى شاركت فى استيطان الكوفة و بناء مجتمعها فهى لم تكن عربية خالصة و انما امتزجت بها هذه العناصر، و قد نشأت بينها المصاهرة، فنشأ جبل مختلط من هذه العناصر و لكن التغلب الجنسى كان للعرب باعتبارهم الاكثرية الساحقة فى القطر، فقد أصبحت التقاليد

---

(۱) تأريخ الطبرى

(۲) تأريخ الفلسفة فى الاسلام (ص ۱۵- ۱۸)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۰

الدينية و العادات الاجتماعية خاضعة للعرب، كما كانت لهم الكلمة العليا فى البلاد ... و بهذا ينتهى بنا الحديث عن عناصر السكان فى الكوفة.

الأديان:

اشارة

و لم يكن المجتمع الكوفى يدين بدين واحد، و انما كانت فيه أديان متعددة، و لكل دين الحرية فى اقامة طقوسه الدينية، و هذه بعضها:

۱- الاسلام

اشارة

و كان الاسلام دين الأكثرية الساحقة للعرب الذين استوطنوا الكوفة فانها انما انشأت لتكون حامية للجنود الاسلامية التى كانت تبعث بهم الدولة لحركات الفتوح، و عمليات الجهاد، و لكن الاسلام لم ينفذ إلى أعماق قلوب الكثيرين منهم، و انما جرى على ألسنتهم طمعا بثمرات الفتوح التى أفاء اللّه بها على المجاهدين، و قد أكد علم الاجتماع ان التحول الاجتماعى لا يكون إلا بعد أجيال و اجيال، و ان المجتمع يظل محافظا على عاداته و تقاليده التى اكتسبها من آبائه، و يؤيد ذلك ما منى به من الحركات الفكرية التى تتنافى مع الاسلام، و إلى الانقسامات الخطيرة بين صفوفه، و نلمع إلى بعض تلك الانقسامات:

الخوارج:

و اعتنق هذه الفكرة القراء و أصحاب الجباه السود حينما رفعت المصاحف فى صفين، و قد أرغموا الامام على قبول التحكيم بعد ما منى

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۱

معاوية بالهزيمة الساحقة، فاستجاب لهم الامام على كره، و قد حذرهم من أنها مكيدة و خديعة فلم يكن يجدى ذلك معهم، و أصروا على فكرتهم و لما استبان لهم ضلال ما اقترفوه اقبلوا على الامام و هم يقولون له: إنا قد كفرنا و تبنا، فاعلن توبتك وقر على نفسك بالكفر، لنكون معك فأبى (ع) فاعتزلوه، و اتخذوا لهم شعارا «لا حكم الا للّه» و انغمسوا فى الباطل و ماجوا فى الضلال، فحاربهم الامام و قضى على الكثيرين منهم إلا أن البقية الباقية منهم ظلت تواصل نشر افكارها بنشاط، و قد لعبت دورا مهما فى افساد جيش الامام الحسن حتى اضطر إلى الصلح مع معاوية، كما كان أكثر الجيش الذى زجه ابن زياد لحرب الامام الحسين من الخوارج و كانوا موتورين من الامام أمير المؤمنين (ع) فرووا احقادهم من ابنائه الطيبين فى كارثة كربلا.

الحزب الأموى:

و هؤلاء يمثلون وجوه الكوفة و زعماءها كقيس بن الأشعث، و عمرو ابن الحجاج الزبيدى، و يزيد بن الحرث، و شبث بن ربعى، و عمرو بن حريث و عمر بن سعد، و كانوا يدينون بالولاء لبنى أمية، و يرون أنهم أحق بالخلافة و أولى بزعامة الأمة من آل البيت (ع) و قد لعبوا دورا خطيرا فى فشل ثورة مسلم، كما زجوا الناس لحرب الامام الحسين.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۲

الشيعة:

و هى التى تدين بالولاء لأهل البيت، و ترى أنه فرض دينى، و قد اخلصت شيعة الكوفة فى الولاء لهم، اما مظاهر حبهم فهى:

۱- الخطب الحماسية التى يمجدون فيها اهل البيت، و يذكرون فضلهم و مآثرهم، و ما شاهدوه من صنوف العدل و الحق فى ظل حكومة الامام امير المؤمنين.

۲- الدموع السخية التى يهريقونها حينما يذكرون آلام آل البيت عليهم السلام و ما عانوه فى عهد معاوية من التوهين و التنكيل، و لكنهم لم يبذلوا أى تضحية تذكر لعقيدتهم فقد كان تشيعهم عاطفيا لا عقائديا و قد تخلوا عن مسلم و تركوه فريسة بيد الطاغية ابن مرجانة، و يروى البلاذرى أنهم كانوا فى كربلا، و هم ينظرون الى ريحانة رسول اللّه (ص) و قد تناهبت جسمه الشريف السيوف و الرماح فكانوا يبكون، و يدعون اللّه قائلين: «اللهم انزل نصرك على ابن بنت نبيك» فانبرى إليهم أحدهم فأنكر عليهم ذلك الدعاء و قال لهم: هلا تهبون الى نصرته بدل هذا الدعاء و قد جردهم الامام الحسين (ع) من اطار التشيع و صاح بهم يا شيعة آل أبى سفيان.

و الحق أن الشيعة بالمعنى الصحيح لم تكن الا فئة نادرة فى ذلك العصر و قد التحق بعضهم بالامام الحسين و استشهدوا معه، كما زج الكثيرون منهم فى ظلمات السجون.

و على أى حال فلم يكن المسلمون فى الكوفة على رأى واحد و انما كانت هناك انقسامات خطيرة بين صفوفهم.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۳

النصارى:

اشارة

من العناصر التى سكنت الكوفة النصارى، فقد أقبلوا إليها من الحيرة بعد زوال مجدها و قد اقاموا لهم فى الكوفة عدة كنائس، فقد كانت لهم كنيسة فى ظهر قبلة المسجد الأعظم «۱» و كان لهم اسقفان أحدهما نسطورى، و الآخر يعقوبى «۲» و كانوا طائفتين!!

۱- نصارى تغلب

و قد استوطنوا الكوفة عند تخطيطها مع سعد، و كانت لهذه الطائفة عزة و منعة «۳» و قد رفض ابناؤها دفع الجزية مما اضطر عمر أن يعاملهم معاملة المسلمين فجعل جزيتهم مثل صدقة المسلمين «۴».

۲- نصارى نجران

نزلوا الكوفة فى خلافة عمر، و استوطنوا فى ناحية منها سميت محلة (النجرانية) «۵».

و قد شاركت النصارى مشاركة ايجابية فى كثير من أعمال الدولة فقد اتخذ ابو موسى الأشعرى أمير الكوفة كاتبا نصرانيا «۶» كما ولى الوليد ابن عقبة والى عثمان رجلا مسيحيا لادارة شئون مسجد قريب من الكوفة «۷».

---

(۱) فتوح البلدان (ص ۲۸۴)

(۲) خطط الكوفة (ص ۳۵)

(۳) تأريخ الطبرى

(۴) تأريخ الطبرى

(۵) حياة الشعر فى الكوفة (ص ۱۴۴)

(۶) عيون الأخبار ۱/ ۴۳

(۷) الاغانى ۴/ ۱۸۴

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۴

و قد شغل المسيحيون فى الكوفة أعمال الصيرفة، و كونوا أسواقا لها «۱» و كانت الحركة المصرفية بايديهم، كما كانوا يقومون بعقد القروض لتسهيل التجارة، و كانت تجارة التبادل و الصيرفة بايديهم «۲»، و قد مهروا فى الصيرفة، و نظموها على شكل يشبه البنوك فى هذا العصر.

و كانت هذه البنوك الأهلية تستقرض منها الحكومة المحلية الأموال اذا حدثت ثورة فى القطر، فكانت الأموال توزع على أعضاء الثورة لاخمادها و قد استقرض منها ابن زياد الأموال فوزعها على وجوه الكوفة و اشرافها للقضاء على ثورة مسلم.

و على أى حال فان المجتمع الكوفى كان مزيجا بين المسلمين و المسيحيين و كانت العلاقة بينهما وثيقة للغاية.

اليهود:

و استوطن اليهود الكوفة سنة (۲۰ ه) «۳» و قد قدم قسم كبير منهم من الحجاز بعد أن اجلاهم منه عمر بن الخطاب «۴» و قد كانت لهم محلة تعرف باسمهم فى الكوفة كما بنوا فيها معابد لهم، و يذكر الرحالة بنيامين

---

(۱) تأريخ الكوفة (۱۴۶) يبدأ سوق البنوك و الصيرفة من مسجد سهيل الى المسجد الأعظم، كما نصت على ذلك بعض المصادر.

(۲) خطط الكوفة (ص ۱۴۶)

(۳) نزهة المشتاق فى تأريخ يهود العراق (ص ۱۰۳) ليوسف رزق اللّه غنيمة

(۴) الحياة الاجتماعية و الاقتصادية فى الكوفة (ص ۱۰۵)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۵

ان بالكوفة سبعة آلاف يهودى، و فيها قبر يسكنه اليهود و حوله كنيس لهم «۱» و قد زاولوا بعض الحرف التى كان العرب يأنفون منها كالصياغة و غيرها ... و كانت اليهود تحقد على الرسول (ص) كاعظم ما يكون الحقد لأنه أباد الكثيرين منهم و الحق بهم العار و الهزيمة، و قد قاموا بدور فعال- فيما يقول بعض المحققين- فى مجزرة كربلا تشفيا من النبى (ص) بابنائه و ذريته ... و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض الأديان السائدة فى الكوفة، و قد اشترك معظمها فى حركات الجهاد و عمليات الحروب فى ذلك العصر.

تنظيم الجيش:

اشارة

و انشأت الكوفة لتكون معسكرا للجيوش الاسلامية، و قد نظم الجيش فيها على اساس قبلى كما كانوا مرتبين وفق قبائلهم، و كانوا يقسمون فى معسكراتهم باعتبار القبائل و البطون التى ينتمون إليها و قد رتبت كما يلى:

نظام الاسباع:

و وزع الجيش توزيعا سباعيا يقوم قبل كل شىء على أساس قبلى بالرغم من أنهم كانوا يقاتلون فى سبيل اللّه الا ان الروح القبلية كانت سائدة و لم تضعف، و فيما يلى انظمتها:

السبع الأول: كنانة و حلفاؤها من الاحابيش و غيرهم، و جديلة و كانوا اعوانا طيعين للولاة القرشيين منذ امارة سعد، و تولوا باخلاص

---

(۱) رحلة بنيامين ترجمة عزار حداد (ص ۱۴۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۶

عمال بنى أمية و ولاتهم.

السبع الثانى: قضاعة، و غسان، و بجيلة، و خثعم، و كندة، و حضرموت، و الأزد.

السبع الثالث: مذحج و حمير و همدان و حلفاؤهم، و قد اتسموا بالعداء لبنى أمية و المساندة الكاملة للامام على و أبنائه.

السبع الرابع: تميم و سائر الرباب و حلفاؤهم

السبع الخامس: أسد و غطفان و محارب و ضبيعة و تغلب و النمر

السبع السادس: أياد وعك و عبد القيس و أهل هجر و الحمراء

السبع السابع: طى «۱»

و تحتوى هذه الأسباع على قطعات قبلية من الجيش، و قد استعمل هذا النظام لأجل التعبئة العامة للحروب التى جرت فى ذلك العصر، و توزيع الغنائم عليها بعد العودة من الحرب و ظلت الكوفة على هذا التقسيم حتى اذا كانت سنة (۵۰ ه) عمد زياد بن أبيه حاكم العراق فغير ذلك المنهج و جعله رباعيا، فكان على النحو التالى:

۱- أهل المدينة، و جعل عليهم عمرو بن حريث

۲- تميم و همدان، و عليهم خالد بن عرفطة

۳- ربيعة بكر و كندة، و عليهم قيس بن الوليد بن عبد شمس

۴- مذحج و أسد «۲» و عليهم أبو بردة بن أبى موسى

و انما عمد إلى هذا التغيير لاخضاع الكوفة لنظام حكمه، كما ان الذين انتخبهم لرئاسة الأنظمة قد عرفوا بالولاء و الاخلاص للدولة، و قد استعان بهم ابن زياد لقمع ثورة مسلم، كما تولى بعضهم قيادة الفرق التى

---

(۱) حياة الشعر فى الكوفة (ص ۲۹- ۳۰)

(۲) خطط الكوفة (ص ۱۵- ۱۶)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۷

زجها الطاغية لحرب الامام الحسين، فقد كان عمرو بن حريث و خالد بن عرفطة من قادة ذلك الجيش.

أما رؤساء الانظمة فقد كانت الدولة لا تنتخب الا من ذوى المكانة الاجتماعية المعروفين بالنجدة و البسالة و التجربة فى الحرب «۱» و رؤساء الارباع يكونون خاضعين للسلطة الحكومية، كما ان اتصال السلطة بالشعب يكون عن طريقهم، و نظرا لأهميتهم البالغة فى المصر فقد كتب إليهم الامام الحسين يدعوهم إلى نصرته و الذب عنه «۲».

العرافة:

و كانت الدولة تعتمد على العرفاء «۳» فكانوا يقومون بامور القبائل و يوزعون عليهم العطاء كما كانوا يقومون بتنظيم السجلات العامة التى فيها أسماء الرجال و النساء و الاطفال، و تسجيل من يولد ليفرض له العطاء من الدولة، و حذف العطاء لمن يموت «۴» كما كانوا مسئولين عن شئون الامن و النظام، و كانوا فى أيام الحرب يندبون الناس للقتال و يحثونهم على

(۱) الطبرى ۷/ ۲۰۷

(۲) أنساب الأشراف ۵/ ۲۴۵

(۳) العرفاء:- جمع مفرده عريف- و هو من يعرف أصحابه، و منه الحديث «فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم امركم» و العريف هو القائم بأمور القبيلة و الجماعة من الناس يلى أمورهم، و يتعرف الأمير منه أحوالهم جاء ذلك فى تاج العروس ۱/ ۱۹۴.

(۴) الحياة الاجتماعية و الاقتصادية فى الكوفة (ص ۵۳)

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۸

الحرب، و يخبرون السلطة بأسماء الذين يتخلفون عن القتال «۱» و اذا قصر العرفاء أو أهملوا واجباتهم فان الحكومة تعاقبهم أقسى العقوبات و أشدها «۲».

و من أهم الأسباب فى تفرق الناس عن مسلم هو قيام العرفاء فى تخذيل الناس عن الثورة و اشاعة الارهاب و الاراجيف بين الناس «۳» كما كانوا السبب الفعال فى زج الناس و اخراجهم لحرب الامام الحسين.

إلى هنا ينتهى بنا الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية فى الكوفة، و كان الامام بها من ضرورات البحث و ذلك لمالها من الاثر فى اخفاق الثورة.

الطاغية ابن مرجانة:

اشارة

و لا بد لنا أن نتعرف على قائد الانقلاب الطاغية ابن مرجانة فنقف على نشأته و صفاته و مخططاته الرهيبة التى أدت إلى القضاء على الثورة، و إلى القراء ذلك.

ولادته:

ولد الطاغية سنة «۳۹ ه» «۴» و قد ولد لخلق الكوارث و اشاعة الخطوب فى الأرض، و على هذا فيكون عمره يوم قتله لريحانة رسول اللّه (ص) «۲۱ سنة» و لم تعين المصادر التى بأيدينا المكان الذى ولد فيه.

(۱) الطبرى ۷/ ۲۲۶

(۲) الاغانى ۲/ ۱۷۹

(۳) البداية و النهاية ۸/ ۱۵۴

(۴) البداية و النهاية ۸/ ۲۸۴

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۴۹

ابواه:

أما ابوه فهو زياد بن سمية، و هو من عناصر الشر و الفساد فى الأرض فقد سمل عيون الناس و صلبهم على جذوع النخل، و قتل على الظنة و التهمة و أخذ البرىء بذنب السقيم، و أغرق العراق بالحزن و الثكل و الحداد.

و أما أمه مرجانة فكانت مجوسية «۱» و قد عرفت بالبغى، و قد عرض بها عبيد اللّه التميمى أمام ابنها عبيد اللّه فقال: ان عمر بن الخطاب كان يقول: اللهم انى أعوذ بك من الزانيات و ابناء الزانيات، فالتاع ابن زياد ورد عليه: إن عمر كان يقول: لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج مائقا «۲» و فارق زياد مرجانة فتزوج بها شيرويه «۳».

نشأته:

نشأ الطاغية فى بيت الجريمة، و قد قطع دور طفولته فى بيت زوج أمه شيرويه، و لم يكن مسلما و لما ترعرع أخذه أبوه زياد، و قد رباه على سفك الدماء و البطش بالناس، و رباه على الغدر و المكر، و قد ورث جميع صفات أبيه الشريرة من الظلم و التلذذ بالإساءة الى الناس، و قد كان لا يقل قسوة عن أبيه، و قد قال الطاغية فى بعض خطبه:

«أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطأ الحصى، و لم ينتزعنى شبه

---

(۱) البداية و النهاية ۸/ ۲۸۴

(۲) البيان و التبيين ۲/ ۲۴۲

(۳) البيان و التبيين ۱/ ۷۲

خال و لا ابن عم» «۱» لقد كان كأبيه فى شدته و صرامته فى الباطل و تنكره للحق.

صفاته:

أما صفاته النفسية فكان من ابرزها القسوة و التلذذ بسفك الدماء، و قد أخذ امرأة من الخوارج فقطع يديها و رجليها، و أمر بعرضها فى السوق «۲» و وصفه الحسن البصرى بأنه غلام سفيه سفك الدماء سفكا شديدا «۳» و يقول فيه مسلم بن عقيل: «و يقتل النفس التى حرم اللّه قتلها على الغضب و العداوة، و سوء الظن و هو يلهو و يلعب كأنه لم يصنع شيئا».

و كان متكبرا لا يسمع من أحد نصيحة، و قد دخل عليه الصحابى عائذ بن عمرو فقال له:

«أى بنى انى سمعت رسول اللّه (ص) يقول: ان شر الرعاء الحطمة «۴» فاياك أن تكون منهم».

فلذعه قوله و صاح به

«اجلس انما أنت من نخالة أصحاب رسول اللّه (ص).»

فأنكر عليه عائذ و قال: «و هل كان فيهم نخالة؟ انما كانت النخالة بعدهم و فى غيرهم» «۵».

---

(۱) تأريخ الطبرى

(۲) قصص العرب ۱/ ۲۱۴

(۳) سير اعلام النبلاء ۳/ ۳۵۷

(۴) الحطمة: القاسى الذى يظلم الناس

(۵) البداية و النهاية ۸/ ۲۸۵

و عرف فى أثناء ولايته على البصرة بالغش للرعية و الخديعة لها، و قد نصحه معقل بن يسار أن يترك ذلك و قال له: انى سمعت

رسول اللّه (ص) يقول: ما من عبـد يسترعيه اللّه رعيته و يموت و هو غاش لرعيته الا حرم اللّه عليه الجنة «۱» هذه بعض نزعاته و صفاته النفسية اما صفاته الجسمية فقد كان منها ما يلى:

اللكنة:

و نشأ الطاغية فى بيت أمه مرجانة، و لم تكن عربية فاخذ لكنتها، و لم يكن يفهم اللغة الغربية، فقد قال لجماعة: «افتحوا سيوفكم» و هو يريد سلوا سيوفكم، و إلى هذا يشير يزيد بن المفرغ فى هجائه له:

و يوم فتحت سيفك من بعيداضعت و كل أمرك للضياع و جرت بينه و بين سويد مشادة فقال له عبيد اللّه:

«اجلس على أست الأرض»

فسخر منه سويد و قال:

«ما كنت أحسب أن للأرض استا» «۲»

و كان لا ينطق بالحاء و قـد قال لهانئ: «ا هروری سائر اليوم» يريد أ حروریّ، و كان يقلب العين همزة كما كان يقلب القاف كافا، فقد قال يوما: «من كاتلنا كاتلناه» يريد من قاتلنا قاتلناه «۳».

---

(۱) صحيح مسلم ۱/ ۶۷

(۲) البيان و التبيين ۱/ ۷۳

(۳) البداية و النهاية ۸/ ۲۸۴

نهمه فى الطعام:

و يقول المؤرخون: انه كـان نهمـا فى الطعام فكان فى كل يوم يأكل خمس أكلات آخرها جنبـة بغل و يوضع بين يـديه بعـد ما يفرغ عناق «۱» أوجدى فيأتى عليه وحده «۲» و كذلك كان مسرفا فى النساء فقد بنى ليلة قدومه إلى الكوفة بام نافع بنت عمارة بن عقبة بن أبى معيط «۳» هذه بعض صفاته الجسمية.

ولايته على البصرة:

و اسـند إليه معاوية امارة البصـرة و ولاه امور المسـلمين، و كان فى ميعة الشـباب و غروره و طيشه، و قد ساس البصـرة كما ساسها أبوه فكان يقتل على الظنـة و التهمـة، و يأخـذ البرىء بالسـقيم و المقبل بالمـدبر، و قـد وثق به معاوية و ارتضـى سـيرته، و كتب إليه بولاية الكوفة إلا أنه هلك قبل أن يبعث إليه بهذا العهد.

---

(۱) العناق: الأنثى من أولاد المعز

(۲) نهاية الارب ۳/ ۳۴۳

(۳) مرآة الزمان (ص ۲۸۵)

احقاد يزيد على ابن مرجانة:

و كـان يزيـد ناقما على ابن مرجانـة، كأشـد ما يكون الانتقام لأمور كان من أهمها أن أباه زيادا كان من المنكرين على معاويـة ولايته ليزيـد، لاسـتهتاره، و اقباله على اللهو و المجون، و قد أراد يزيد أن يعزل عبيد اللّه من البصـرة، و يجرده من جميع الامتيازات الا انه لما اعلن الامام الحسين عليه السلام الثورة و بعث سفيره مسلما لأخذ البيعة من أهل الكوفة أشار عليه سرجون بأن يقره على ولاية البصرة و يضم إليه الكوفة، و يندبه للقضاء على الثورة فاسـتجاب له يزيد، و قد خلص العراق بأسره لحكم ابن زياد فقبض عليه بيد من حديد، و اندفع كالمسعور للقضاء على الثورة ليحرز بذلك ثقة يزيد به، و ينال اخلاص البيت الأموى له.

مخططات الانقلاب:

و بالرغم من حداثة سن ابن زياد فانه كان من أمهر السياسيين فى الانقلابات، و اكثرهم تغلبا على الأحداث و قد استطاع بغدره و مكره أن يسيطر على حامية الكوفة، و يقضى على جذور الثورة و يخمد نارها، و قد كانت أهم مخططاته ما يلى:

۱- التجسس على مسلم و الوقوف على جميع شئون الثورة.

۲- نشـر أوبئة الخوف، و قد أثار جوا من الفزع و الارهاب لم تشـهد له الكوفة نظيرا، و انشغل الناس بنفوسهم عن التدخل فى أى شأن من الشؤون السياسية.

۳- بذل المال للوجوه و الأشراف، و قد صاروا عملاء عنده يوجههم

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۵۴

حيثما شاء، و قد أفسدوا عشائرهم و الحقوا الهزيمة بجيش مسلم.

۴- الاحتيال على هانئ بالقاء القبض عليه، و هو أمنع شخصية فى المصر، و قد قضى بذلك على أهم العناصر الفعالة فى الثورة.

هـذه بعض المخططات الرهيبـة التى اسـتطاع أن يسـيطر بها الطاغية على الموقف، و يقضـى على الثورة و يزج حامية الكوفة الى حرب ريحانة رسول اللّه (ص).

مسلم بن عقيل:

أمـا مسـلم بن عقيـل فكان من أعلام التقوى فى الاسـلام، و كان متحرجا فى دينه كأشـد ما يكون التحرج فلم يسـلك أى منعطف فى طريقه، و لا يقر أى وسـيلة من وسائل المكر و الخـداع، و ان توقف عليها النصـر السياسـى شأنه فى ذلك شأن عمه أمير المؤمنين (ع) بالاضافـة الى ذلـك انه لم يبعث الى الكوفـة كوال مطلق حتى يتصـرف حسـبما يراه، و انمـا كـانت مهمته محـدودة و هى أخـذ البيعة للامام، و الاسـتطاع على حقيقـة الكوفيين فان رآهم مجتمعين بعث الى الامام الحسـين بالقدوم إليهم، و لم يؤمر بغير ذلك، و قد أطلنا الحديث فى هذه الجهة فى البحوث السابقة.

و بهـذا ينتهى بنا الحـديث عن اخفاق ثورة مسـلم التى كانت فاتحة لفاجعة كربلا، و مصدرا لآلامها العميقة كما ينتهى بنا الحديث عن الحلقة الثانية من هذا الكتاب.

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۵۵

محتويات الكتاب

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۵۷

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة البسملة مع آی من الذکر الحکیم ۵

المقدمة ۷

مع القاسطين و الناكثين ۲۱ الناكثون، دوافع التمرد ۲۴

خديعة معاوية للزبير ۲۶ مؤتمر مكة ۲۶

قرارات المؤتمر ۲۷ تجهيز الجيش بالأموال المنهوبة ۲۷

الخطاب السياسی لعائشة ۲۸

عائشة مع أم سلمة ۲۹

الزحف إلى البصرة ۳۱ عسكر ۳۱

الحوأب ۳۲

فی ربوع البصرة ۳۳

النزاع على الصلاة ۳۸ رسل الامام إلى الكوفة ۳۸

التقاء الجيش، رسل السلام ۴۰

الدعوة الى القرآن ۴۱

الحرب العامة ۴۲

مصرع الزبير ۴۳

مصرع طلحة ۴۶

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشی ،ج۲،ص:۴۵۸

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة قيادة عائشة للجيش ۴۶

عقر الجمل ۴۷

العفو العام ۴۸

متارك الحرب ۵۰

القاسطون ۵۱

ايفاد حرير، معاوية مع ابن العاص ۵۳

رد جرير ۵۶ قميص عثمان ۵۶

زحف معاوية لصفين، زحف الامام للحرب ۵۷

احتلال الفرات ۵۸

رسل السلام ۵۹

الحرب ۶۰

منع الحسنين الحرب ۶۱

مصرع عمار ۶۲

مكيدة ابن العاص ۶۵

التحكيم ۷۰

وثيقة التحكيم ۷۱

رجوع الامام للكوفة ۷۲

مع المارقين ۷۳

اجتماع الحكمين ۷۵

تمرد المارقين ۸۱

قتال المارقين ۸۳

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۵۹

الموضوع محتويات الحكومة الصفحة مخلفات الحرب ۸۵

انتصار معاوية، تفلل جيش الامام احتلال مصر، الغارات، الغارة على العراق (۱) عين التمر (۲) هيت (۳) واقصة، الغارة على الحجاز و اليمن.

عبث الخوارج ۹۵

دعاء الامام على نفسه ۹۶

أفول دولة الحق ۹۹ مؤتمر مكة ۱۰۳ رأى رخيص ۱۰۳

اشتراك الأمويين فى المؤامرة ۱۰۴

اغتيال الامام ۱۰۶

الى الرفيق الأعلى ۱۰۹ متارك حكومة الامام ۱۰۹

خلافة الحسن ۱۱۱

(۱) الاعتداء على الحسن (۲) الحكم عليه بالكفر (۳) الخيانة العظمى (۴) نهب امتعة الامام

الصلح ۱۱۴

موقف الامام الحسين ۱۱۵

عدى بن حاتم مع الحسين ۱۱۶

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۰

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة تحول الخلافة ۱۱۶

حكومة معاوية ۱۱۹ سياسته الاقتصادية ۱۲۲

الحرمان الاقتصادى ۱۲۳

(۱) يثرب (۲) العراق (۳) مصر

الرفاه على الشام، استخدام المال فى تدعيم ملكه ۱۲۶

المنح الهائلة لأسرته، منح خراج مصر لعمرو بن العاص ۱۲۷

هبات الأموال للمؤيدين، شراء الأديان ۱۲۸

عجز الخزينة المركزية ۱۲۹

مصادرة أموال المواطنين ۱۳۰

ضريبة النيروز، نهب الولاة و العمال ۱۳۱

جباية الخراج، اصطفاء الذهب و الفضة ۱۳۲

شل الحركة الاقتصادية ۱۳۳

حجة معاوية ۱۳۴ سياسة التفريق ۱۳۴

اضطهاد الموالى ۱۳۵

العصبية القبلية ۱۳۷

سياسة البطش و الجبروت ۱۳۸

احتقار الفقراء ۱۴۰

سياسة الخداع ۱۴۱

اشاعة الانتهازية ۱۴۳

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۱

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة الخلاعة و المجون ۱۴۴

اشاعة المجون فى الحرمين ۱۴۷

الاستخفاف بالقيم الدينية ۱۴۸

استلحاق زياد ۱۴۹

انكار الامام الحسين ۱۵۰ الحقد على النبى ۱۵۰

تغيير الواقع الاسلامى ۱۵۳

مع أهل البيت وسائل انتقاصهم ۱۵۴

(۱) تسخير الوعاظ (۲) استخدام معاهد التعليم (۳) افتعال الأخبار

حديث مفتعل على الحسين ۱۵۸

سب الامام امير المؤمنين ۱۶۰

ستر فضائل أهل البيت ۱۶۲

التحرج من ذكر الامام ۱۶۴

مع الشيعة ۱۶۶

القتل الجماعى، ابادة القوى الواعية ۱۶۷

(۱) حجر بن عدى، مذكرة الامام الحسين فى شأنه (۲) رشيد الهجرى (۳) عمرو بن المحق الخزاعى، مذكرة الامام الحسين (۴) أوفى بن حصن (۵) الحضرمى مع جماعته انكار الامام الحسين، (۶) جويرية العبدى (۷) صيفى بن فسيل (۸) عبد الرحمن

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۲

المروعون من اعلام الشيعة ۱۷۶

(۱) عبد اللّه بن هاشم المرقال (۲) عدى ابن حاتم الطائى (۳) صعصعة بن صوحان (۴) عبد اللّه بن خليفة الطائى

ترويع النساء ۱۷۶

هدم دور الشيعة، حرمان الشيعة من العطاء ۱۷۷

عدم قبول شهادة الشيعة، ابعاد الشيعة الى خراسان ۱۷۸ البيعة ليزيد ۱۷۸

ولادة يزيد ۱۷۹

نشأته، صفاته ۱۸۰

ولعه بالصيد ۱۸۱

شغفه بالقرود ۱۸۲

ادمانه على الخمر ۱۸۳

ندماؤه ۱۸۴

نصيحة معاوية ليزيد، دفاع محمد عزة دروزة ۱۸۵

اقرار معاوية لاستهتار يزيد ۱۸۶

حقد يزيد على النبى ۱۸۷

بغضه للانصار ۱۸۸

دعوة المغيرة لبيعة يزيد ۱۹۰

تبرير معاوية ۱۹۲

المبررون له (۱) احمد دجلان (۲) الدكتور عبد للنعم (۳) حسين محمد يوسف

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۳

كلمة الحسن البصرى ۱۹۵

كلمة الفيلسوف ابن رشد ۱۹۶

دوافع معاوية لبيعة ليزيد ۱۹۶

الوسائل الدبلوماسية فى اخذ البيعة ۱۹۷

استخدام الشعراء، بذل الأموال للوجوه، مراسلة الولاة

وفود الاقطار الإسلامية، مؤتمر الوفود الاسلامية ۲۰۱ المؤيدون للبيعة ۲۰۱

خطاب الاحنف بن قيس ۲۰۲

فشل المؤتمر ۲۰۳ سفر معاوية ليثرب ۲۰۳

اجتماع مغلق، كلمة معاوية ۲۰۴

كلمة عبد اللّه بن عباس، كلمة عبد اللّه بن جعفر ۲۰۵

كلمة عبد اللّه بن الزبير ۲۰۶

كلمة عبد اللّه بن عمر، كلمة معاوية ۲۰۷

فزع المسلمين من البيعة ليزيد ۲۰۸

الجبهة المعارضة ۲۰۹

(۱) الامام الحسين، الحرمان الاقتصادى للهاشميين (۲) عبد الرحمن بن أبى بكر (۳) عبد اللّه بن الزبير (۴) المنذر بن الزبير (۵) عبد الرحمن ابن سعيد (۶) عابس بن سعيد (۷) عبد اللّه ابن حنظلة

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۴

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة موقف الأسرة الأموية، الشاجبون للبيعة ۲۱۲

(۱) سعيد بن عثمان (۲) مروان ابن الحكم (۳) زياد بن أبيه

ايقاع الخلافة بين الأمويين ۲۱۴

تجميد البيعة ۲۱۵

اغتيال الشخصيات الاسلامية ۲۱۵

(۱) سعد بن أبى وقاص (۲) عبد الرحمن بن خالد (۳) عبد الرحمن بن أبى بكر (۴) الامام الحسن

اعلان البيعة رسميا، مع المعارضين فى يثرب ۲۱۸

خطاب الامام الحسين ۲۱۹

ارغام المعارضين ۲۲۱

موقف الامام الحسين ۲۲۲ وفود الأقطار الاسلامية ۲۲۲

مذكرة مروان لمعاوية، جواب معاوية ۲۲۳ رأى مروان فى ابعاد الامام الحسين ۲۲۳

رسالة معاوية للامام ۲۲۴

جواب الامام ۲۲۵

صدى الرسالة، للمؤتمر السياسى العام ۲۲۸

رسالة جعدة للامام ۲۲۹

جواب الامام ۲۳۰

نصيحة الخدرى للامام ۲۳۱ استيلاء الحسين على أموال للدولة ۲۳۱

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۵

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة حديث موضوع على الحسين ۲۳۳

الحسين مع بنى أمية ۲۳۴

مرض معاوية، وصاياه ۲۳۶

موت معاوية ۲۳۹

حكومة يزيد ۲۴۱ خطاب العرش ۲۴۴

خطابه فى أهل الشام ۲۴۵ مع المعارضة فى يثرب ۲۴۵

الأوامر المشددة إلى الوليد ۲۴۶

فزع الوليد ۲۴۹

استشارته لمروان، رأى مروان ۲۵۰

اضواء على موقف مروان ۲۵۱

استدعاء الحسين ۲۵۳

الحسين مع مروان ۲۵۶

اتصال الوليد بدمشق ۲۵۸ الأوامر المشددة من دمشق، رفض الوليد ۲۵۸

وداع الحسين لقبر جده، رؤيا الحسين لجده ۲۵۹

وداعه لقبر أمه و أخيه، فزع الهاشميات ۲۶۱

مع أخيه ابن الحنفية ۲۶۲

وصيته لابن الحنفية ۲۶۴

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۶

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة الثورة الحسينية أسبابها و مخططاتها ۲۶۷ أسباب الثورة ۲۷۰ (۱) المسئولية الدينية ۲۷۰

(۲) المسئولية الاجتماعية ۲۷۴

(۳) اقامة الحجة عليه ۲۷۵ (۴) حماية الاسلام ۲۷۵

(۵) صيانة الخلافة ۲۷۶

(۶) تحرير ارادة الأمة ۲۷۸ (۷) تحرير اقتصاد الامة ۲۷۸

(۸) المظالم الاجتماعية ۲۸۰

(۹) المظالم الهائلة على الشيعة ۲۸۱

(۱۰) نحو ذكر أهل البيت ۲۸۲ (۱۱) تدمير القيم الاسلامية ۲۸۲

(۱۲) انهيار المجتمع مظاهر الانهيار ۲۸۴

(۱) نقض العهود (۲) عدم التحرج من الكذب (۳) عرض الضمائر للبيع (۴) الاقبال على اللهو

(۱۳) الدفاع عن حقوقه و هى: ۲۸۶

(۱) الخلافة (۲) الخمس

(۱۴) الامر بالمعروف ۲۸۸

(۱۵) اماتة البدع ۲۸۹

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۷

(۱۶) العهد النبوى ۲۹۰ (۱۷) العزة و الكرامة ۲۹۰

(۱۸) غدر الامويين و فتكهم ۲۹۱

رأى رخيص ۲۹۲

تخطيط الثورة ۲۹۴

(۱) التضحية بنفسه ۲۹۵

(۲) التضحية بأهل بيته ۲۹۶

(۳) التضحية بأمواله ۲۹۷ (۴) حمل عقائل النبوة، آراء العلماء و الكتاب ۲۹۷

(۱) الامام كاشف الغطاء (۲) أحمد فهمى (۳)

احمد محمود صبحى

فى مكة ۳۰۳ مع عبد اللّه بن مطيع ۳۰۶

فى مكة، احتفاف الحجاج و المعتمرين به ۳۰۸

فزع ابن الزبير ۳۰۹

رأى الغزالى ۳۱۱

رأى رخيص ۳۱۲ فزع السلطة المحلية ۳۱۲

قلق يزيد، رسالة يزيد لابن عباس ۳۱۳

جواب ابن عباس ۳۱۴

اقصاء حاكم المدينة ۳۱۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۸

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة الحسين مع ابن عمر و ابن عباس ۳۱۷

وصيته لابن عباس ۳۲۱ رسائله الى زعماء البصرة ۳۲۱

جواب الأحنف بن قيس ۳۲۳ جريمة المنذر ۳۲۳

استجابة يزيد بن مسعود ۳۲۴

جوابه للامام ۳۲۷

استجابة يزيد البصرى ۳۲۸ نقمة العراق على الأمويين ۳۲۸

اعلان التمرد فى العراق ۳۳۰

المؤتمر العام ۳۳۱ خطبة سليمان ۳۳۱

وفد الكوفة للامام، الرسائل ۳۳۲

ايفاد مسلم الى العراق ۳۳۷ تزويد مسلم برسالة لأهل الكوفة ۳۳۹

رسالة مسلم للحسين، جواب الحسين ۳۴۲

أضواء على الموضوع ۳۴۳

فى بيت المختار ۳۴۴

ابتهاج الكوفة، البيعة للحسين ۳۴۵

كلمة عابس الشاكرى ۳۴۶

عدد المبايعين ۳۴۷

رسالة مسلم للحسين ۳۴۸

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۶۹

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة موقف النعمان بن بشير ۳۴۹

خطبة النعمان ۳۵۰

سخط الحزب الأموى، اتصال الحزب الأموى بدمشق ۳۵۱

فزع يزيد ۳۵۲

استشارته لسرجون ۳۵۳

ولاية ابن زياد على الكوفة ۳۵۴

خطبة ابن زياد فى البصرة ۳۵۵

سفر الطاغية إلى الكوفة ۳۵۶

فى قصر الامارة ۳۵۷

خطابه فى الكوفة ۳۵۹

نشر الارهاب ۳۶۰

تحول مسلم الى دار هانئ ۳۶۱ امتناع مسلم من اغتيال ابن زياد ۳۶۲

أضواء على الموقف ۳۶۵

المخططات الرهيبة ۳۶۸ (۱) التجسس على مسلم ۳۶۸

(۲) رشوة الزعماء و الوجوه ۳۷۰

الاحجام عن كبس دار هانئ ۳۷۱ رسل الغدر ۳۷۱

اعتقال هانئ ۳۷۲

انتفاضة مذحج ۳۷۶

ثورة مسلم ۳۸۰

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۷۰

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة حرب الاعصاب ۳۸۲

اوبئة الفزع و الخوف ۳۸۴

هزيمة الجيش ۳۸۵

فى ضيافة طوعة ۳۸۶

تأكد الطاغية من فشل الثورة، اعلان حالة الطوارئ ۳۸۹

راية الامان ۳۹۰ اشتباه ۳۹۰

خطبة ابن زياد ۳۹۱

الافشاء بمسلم ۳۹۲

الهجوم على مسلم ۳۹۳

فشل الجيوش ۳۹۴

أمان ابن الأشعث ۳۹۷

اسره ۳۹۸

مع عبيد اللّه السلمى ۳۹۹

مع الباهلى ۴۰۰

مع ابن زياد ۴۰۱

وصية مسلم ۴۰۴

الطاغية مع مسلم ۴۰۶

إلى الرفيق الأعلى ۴۰۷

سلبه ۴۰۸

تنفيذ الاعدام فى هانئ ۴۰۹

السحل فى الشوارع، صلب الجثتين ۴۱۱

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۷۱

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة الرءوس إلى دمشق ۴۱۲

جواب يزيد ۴۱۳

اعلان الأحكام العرفية، احتلال الحدود العراقية ۴۱۵

الاعتقالات الواسعة ۴۱۶

اخفاق الثورة ۴۱۷ المجتمع الكوفى ۴۱۹

الظواهر الاجتماعية ۴۲۰ التناقض فى السلوك ۴۲۰

الغدر و التذبذب ۴۲۱

التمرد على الولاة ۴۲۵

الانهزامية ۴۲۶

مساوئ الأخلاق ۴۲۷

الجشع و الطمع ۴۲۸

التأثر بالدعايات ۴۲۹

الحياة الاقتصادية ۴۳۰

عناصر السكان ۴۳۲

العرب، القبائل اليمنية ۴۳۳

القبائل العدنانية، قبائل بنى بكر ۴۳۴

الروح القبلية ۴۳۵

الفرس ۴۳۷

الانباط ۴۳۸

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۴۷۲

الموضوع محتويات الكتاب الصفحة السريانية ۴۳۹

الأديان، الاسلام ۴۴۰

الخوارج، الحزب الأموى، الشيعة النصارى ۴۴۳

(۱) نصارى تغلب (۲) نصارى نجران اليهود ۴۴۴

تنظيم الجيش، نظام الاسباع ۴۴۵

نظام الاسباع العرافة ۴۴۷

الطاغية ابن مرجانة، ولادته ۴۴۸

أبواه، نشأته ۴۴۹

صفاته ۴۵۰

اللكنة ۴۵۱

نهمه فى الطعام ۴۵۲ ولايته على البصرة ۴۵۲

احقاد يزيد على ابن مرجانة ۴۵۳

مخططات الانقلاب ۴۵۳

مسلم بن عقيل ۴۵۴

محتويات الكتاب ۴۵۵

حياة الإمام الحسين(ع)، القرشى ،ج۳،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ

الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹